

سیرة لغز زلی

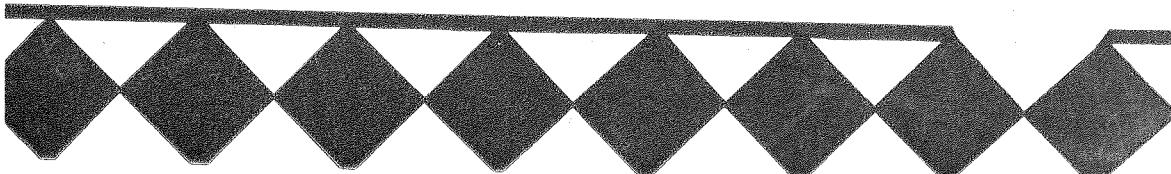
وأقوال المُتَقدِّمینَ فی هـ

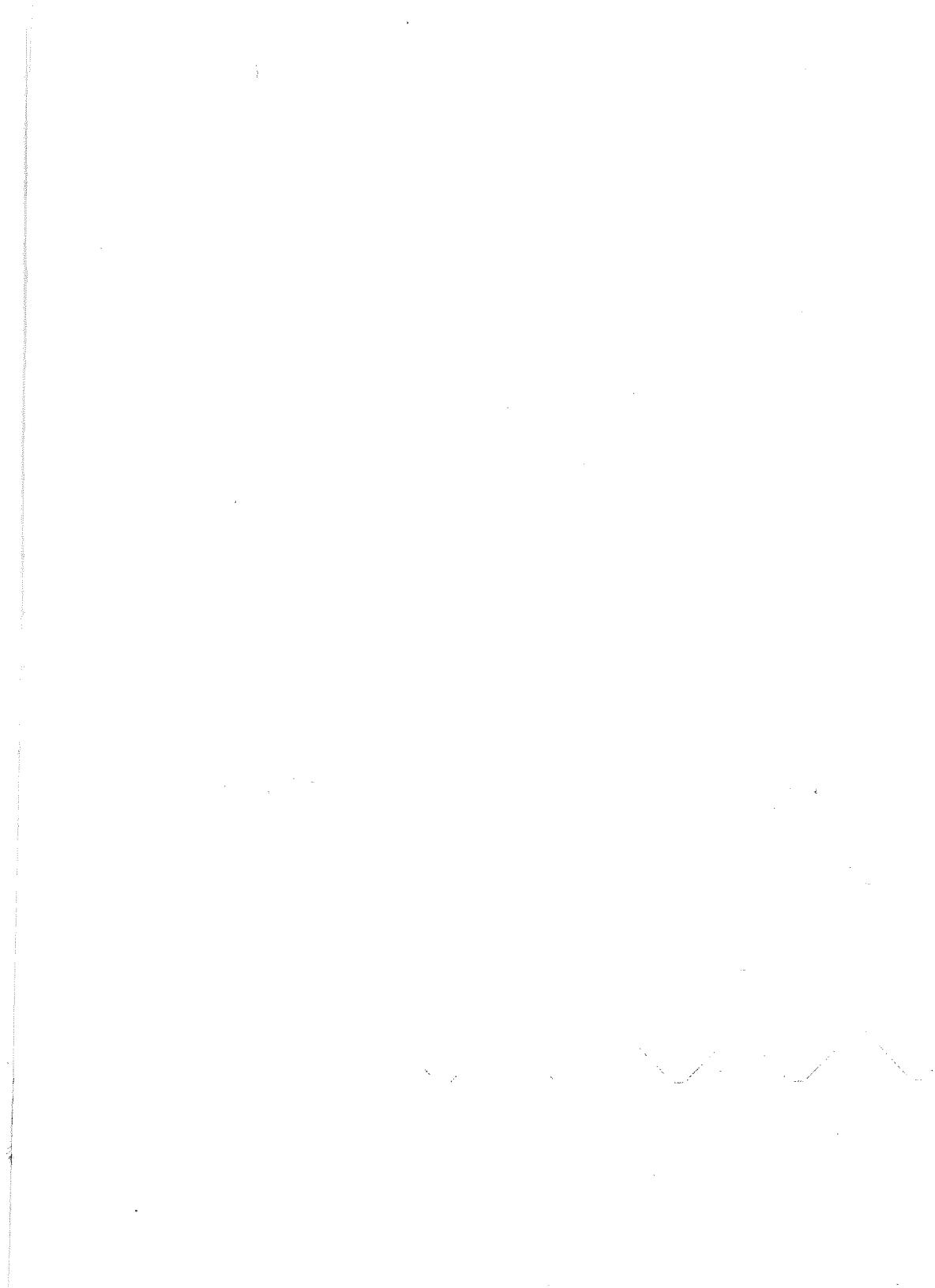
قدم له

جمعه وحقيقه

عبدالكريم العثمان

الدكتور أحمد فؤاد الأهلواني
أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة





عبدالكريم العثمان

Sirat al-Ghazzali.

سیرۃ الغزالی

وَأَقُولَ الْمُتَّقَدِّمِينَ فِيْهِ

قدم له

الدكتور احمد فؤاد الأهلواني

أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

دار الفن كبرى دمشق

B

753

G 34

487

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقدير

الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ فُؤُادُ الْأَهْوَانِيُّ

اسْتَاذُ الْفَلَسْفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ الْقَاهْرَةِ

حجۃ الاسلام ، أبو حامد الغزالی ، من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاسلامي ، — بل والعالمي — وأعظمها أثراً في حياة المسلمين العقلية والسلوكية على حد سواء . وعلى الرغم من هذه الشهرة وهذا الأثر لم يدرس من المحدثين بما يتفق مع منزلته ، والكتب التي تناولت جوانب فكره في اللغة العربية قليلة جداً بالإضافة الى تلك المكانة . ولا شك أنَّ البحث الذي يضطلع به الآن الاستاذ عبد الكريم عثمان عن « النفس عند الغزالی » تمييزاً للحصول على إجازة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، سيكون ذا أثر في الكشف عن ناحية من أهم نواحي فلسفة حجۃ الاسلام . والبحث في النفس هو حجر الزاوية في فلسفة الغزالی ، كما أنه المحور الذي تدور عليه كل فلسفة ، ويقتضي الخوض في جميع مؤلفات أبي حامد ، كما يتطلب النظر في سيرته ، للتعرف به من جهة ومعرفة ما كان لحياته الخاصة من أثر في نظريته الفلسفية من جهة أخرى .
ومن أجل ذلك بدأ الأستاذ عبد الكريم بالبداية ، فبحث في سيرته ، ما كتبه

حججة الاسلام عن نفسه في المقدمن الضلال ، وما كتبه المؤرخون وأصحاب
الطبقات . ثم جمع مؤلفاته وأحصاها ، مطبع منها ، وما زال مخطوطاً .

ولكنه لا يحتاج في مقدمة بحثه عن الفزالي ، وكتابه شيء عن سيرته الى الماده
الغزيره التي ضم شتاتها ، وجمعها من مختلف مظانها ؟ ثم رأى أن المؤتمر الخاص
بمرور تسعه قرون على ذكرى الفزالي سينعقد في دمشق هذا العام ، فوجد من
المناسب أن يطبع هذه الماده مساهمة في ذكره ، ولتكون مرجعاً لمن شاء أن
يؤرخ سيرته تأريخاً جديداً .

★ ★ ★

أقدم من أرخ للفزالي هو عبد الغافر الفارسي ، وكان معاصرًا له ، وتقل
معظم المؤاخرين كلامه إما بنصه ، وإما باختصار . كذلك فعل السبكي في الطبقات ،
وابن عساكر في تبيين كذب المفترى . وحيث كانت رواية الفارسي على هذه
الأهميه ، فقد أفردها مصنف هذه السيرة ، وجعلها أول وصف لحججة الاسلام .
ثم رتب أقواليل القديما عن الفزالي متسلسلاً بعد ذلك حتى بلغ الزيدى؛ وحذف ما نقلوه
عن عبد الغافر الفارسي ، اكتفاءً بأفراد ذلك النص في أول الكتاب . وبذلك
يكتمل كل ما ذكره القديما عن الفزالي فيما يختص ب حياته أمام الباحثين في
هذا الجانب .

وقد وضعنا حججة الاسلام في موقف يتحتم على كل من يريد أن ينظر في سيرته
أن ينزله منزلة الاعتبار ، وذلك حين أرخ لنفسه في « المقدمن الضلال » . حقاً
إنه لا يعني إلا يسيرًا بالإشارة الى حياته الخاصة ، لأنه في المقدمن إما يكتب السيرة
الفلسفية ، وكيف تقلب في المذاهب الفلسفية المختلفة حتى اتهى به أمر الى
اصطدام طريق الصوفية . ولكن مع ذلك سجل أطرا فاما من أحداث الحياة ،
وصروف الزمان ، والعلاقة مع أصحاب السلطان ومع الناس ، ولو أنه لم يفصح ،

مكتفيًا بالتمييع دون التصریح . ولهذا السبب كان المفید ، بل من الواجب ، أن يرجع المؤرخ الحديث لحياته إلى هذه السیرة الشخصية ، ليرى مدى تطابقها مع ما ذكره قدماء المؤرخين .

ولسنا بصدد الطريقة التي تكتب بها سیرته من خلال «المنفذ» ، ولكننا نود أن نعرض الخطوط العريضة التي يمكن في ضوئها تصویر حیاة الغزالی بحسب روایات القدماء . وهي في نظرنا تقضی تقسیم حیاته إلى المراحل الآتیة بحسب إقامته في مختلف العواصم :

١ - حیاته في طوس :

وتقسم هذه الحیاة مرتبتين ، الأولى أسرته ، وهي ملائكة .
نعلم عنها شيئاً ، سوى أن آباء كان فقيراً لا يملك شيئاً ، ولم يكن شيئاً مذكوراً . والمرحلة الثانية ما تلقاه الغزالی من تعليم شيء بكلفة ابناء المساهرين من حفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتابة ، وما يتبع ذلك من بعض النحو ، واللغة العربية ، والحساب . ثم دراسة الفقه على الراذكاني .

٢ - حیاته في نیساپور :

تلذته في هذه المدينة على إمام الحرمين الجویني ، وتفوقه في مجلسه ، وماري وی عن غيره الجویني منه ، وهو شيء شبيه بما كان بين أرسسطو واستاده أفلاطون ، إن صحت رواية القدماء . وفي نیساپور اصطحب الغزالی بطريق الجویني مذهب الأشعار ، واطلع على المذاهب الكلامية ، وكذلك مذاهب الفلسفه لما بين علم الكلام والفلسفه من صلة وثيقة .

٣ - في بغداد :

ازتقل الغزالی من نیساپور إلى العسكر حيث اتصل بنظام الملك ، ثم عین تاتدریس في المدرسة النظامية ببغداد ، وألف في هذه الفترة كتبه في أصول الفقه ..

٤ - في مكة :

ثم قطع علاقته ببغداد ، وهرب منها ، وذهب الى الحجاز حاجاً في جوار حبيت الله . وهذا في الواقع بعد انصرافه عن الدنيا وإنقاذه على الآخرة ، وتحوله من الاستئثار بالعلوم الدنيوية الى التصوف .

٦ - في دمشق :

ودخل الى الشام ، واستقر في دمشق حيث ألف اعظم كتبه وأعظمها اثراً في الفكر الاسلامي ، نفي « إحياء علوم الدين » ، وهو اكبر كتبه في التصوف ، الى درجة ان ابن عساكر نقل « كتاب العقائد » برمته عن الاحياء ، عند التاريخ الله ، وقد بلغ من شهرة الاحياء ، ان « كثيراً من اجزائه فصل على حدة ، واتخذ كتاباً مستقلة . وهو الى ذلك فريد في تبويبه وترتيبه ، ويحوي جميع العلوم الشرعية والاجتماعية التي يحتاج اليها كل مسلم في حياته الدينية من شتى وجوهها .

٧ - العودة الى نيسابور :

ثم عاد الى خراسان ، واستقر في نيسابور مرة اخرى ، استجابة لرجاء فخر الملك . واشتغل بالتدريس وقد بلغ الذروة ، الى ان توفي سنة ٥٠٥ هجرية .



ونحن نرى أن من يريد التصدي لسيرة الغزالى على النحو الذي ذكرنا ، لا بد له أن يحيط بالظروف التاريخية والاجتماعية والفنية التي سادت العالم الاسلامي خلال القرن الخامس ، وبداية القرن السادس ، فلا زراع ان الفيلسوف اذا كان خالقاً للمذاهب العقلية التي يهتم بها قومه ، فإنه الى جانب ذلك ، بل وقبل ذلك ، من خلق البيئة العقلية نفسها ، وتعد آراؤه تعبيراً صادقاً أميناً لروح الأمة . وكانت هناك تيارات فكرية متعددة ، منها التيار العلمي الخالص كالباحث في الفلك

والرياضيات والطب والنبات والفلاحة والكيمياء؛ والتيار الفلسفي الذي بلغ أوجهه، مثلاً في فلسفة الشيخ الرئيس ، الذي أثَّرَ أعظمَ الأثر في حياة المسلمين ، وسلمواً بأراءه وعدوها الحق الذي لا يأتهي الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فلا غرابة إن ينهض الغزالي يرد على تلك الآراء وبين بطانها في كتابه « تهافت الفلاسفة » الذي يعتبر من أعظم الآثار الفلسفية التي كتبت في تاريخ الفكر ، سواء وافقت صاحبها على حججه أم لم توافقه .

وفي القرن الخامس أخذت آراء المعتزلة في الأزواء ، وحلت محلها مذاهب الأشاعرة ، التي بدأت بالأشعري ثم بالجويني ، ثم بالغزالي . وهكذا نجد أن حجة الإسلام كان أحد المد التي قام عليها مذهب الأشاعرة ، بل انه يمثل اتجاهًا لم يكن موجوداً من قبل منذ ظهور ذلك المذهب . وقد فطن ابن خلدون الى هذا الاتجاه الجديد في المذهب الأشعري ، فقسم آراءهم قسمين بحسب الطريق الذي سار فيه كل فريق ، طريق القدماء ينتهي عند الجويني والباقلانى من يعترفون بالأسباب والمسبيات . وطريق المحدثين الذي فتح الغزالي بابه حين هدم الارتباط بين الأسباب والمسبيات .

هذا فضلاً عن الاختلاف بين الشيعة وبين السنة ، وبين الفقهاء أنفسهم ، واشتداد ساعد المذاهب الصوفية التي نبتت في فارس ، وأكتسبت ألواناً جديدة مع انتقالها الى بيوت أخرى .

وكان الغزالي إماماً صاحب مذهب في جميع النواحي ، فهو إمام في الفقه ، وصاحب اتجاه في علم الكلام ، وله موقف من الفلسفة يجعلنا نسلكه في زمرة الفلاسفة ، وشيخ من شيوخ الصوفية ولو أنه لم يكن صاحب طريقة وأتباع ومربيين . جدير إذن بمن يدرس الغزالي أن يبحث في تأثير البيئة ، أو قل البيئات

المختلفة التي عاش فيها ، على حياته الفكرية ، لمعرفة الصلة بين هذا التحول الواضح في حياته من فلسفة إلى كلام إلى فقه إلى تصوف ، وبين الظروف التاريخية التي وجد فيها .

وأرجو أن تيسّر هذه السيرة التي تضم أقوال القدماء في حجّة الإسلام
البحث المنشود .

أحمد فؤاد الأهوازي

المقدمة

كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر يصف الغزالي وتنوع معرفته فقال «أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم ينحصر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدراته وقيمه».

ينحصر في البال ، الغزالي الأصولي ، الحاذق الماهر ؛ والغزالي الفقيه الحر ؛ والغزالي المتكلم ، إمام السنة وحامي حماها ؛ والغزالي الاجتماعي ، الخبرير بأحوال العالم ، وخفيات الصمائر ومكتنوات القلوب ؛ والغزالي الفيلسوف ، الذي ناهض الفلسفة ، وكشف عما فيها من زخرف وزيف ؛ والغزالي الرببي ؛ والغزالي الصوفي الزاهد .

وإن شئت فقل إنه ينحصر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره ، رجل متعطش إلى معرفة كل شيء ، نهم إلى جميع فروع المعرفة^(١) .

والحقيقة أن من النادر أن تجده في تاريخ الفكر البشري إلا قليلاً من يماثل الغزالي في نعمه للمعرفة ، وجلده على البحث ، ورغبته في الوصول إلى الحقيقة .

وقد كان طموحه إلى معرفة الحقيقة دافعاً له إلى تحصيل أكثر أنواع المعرف في عصره ، ونستطيع أن نلمس هذا من سجله المخالف عن حياته العقلية ، والذي أودعه كتابه «المقذ من الصلال» . . .

فقد تناول علم الكلام دراسة وتحقيقاً وتأليفاً ، ولم يكن فيه مجرد ناقل عن

(١) محمد فريد الرماعي - الغزالي ص ٩ وما بعدها .

الأشعري سالكاً في سبيله، بل كان يغلب رأياً على آخر ويقذف بالرأي الجديد ولو أغضب الأشاعرة.

وعمد إلى الفلسفة فقتلها بحثاً وتنقيباً ، وخرج من دراستها بتأليف عدة ، وكتابه « مقاصد الفلسفة » يعتبر من أحسن الكتب التي تلخص وضع الفلسفة آنذاك ، كما يُنظر إلى كتابه « هافت الفلسفة » كحدث فكري فاصل في التاريخ الفلسفي .

ولم يكن شغفه بمعرفة مذاهب التعليمية ، أو الباطنية بأقل قوة ، خاصة وإن الباطنية استشرت في زمانه وباتت تهدد العالم الإسلامي وتفرض إرها باأسود عليه ، حتى كادت أن ترسى قواعدها كاتجاه فكري قوي ، لذلك غمد بعد دراستها إلى التأليف فيها شارحاً حقيقتها ، مهاجماً لها مبيناً خطورها .
وكان في دراساته متطلعاً دائماً إلى يقين عقلي ، وهدوء نفسي وقد وجد هذا في الصوفية فكرة وسلوكاً .

ولم يكن بعد هذا كله مقصرًا في الدراسات الفقهية ، فقد ألف في الأصول ، وفي الفقه الشافعي كتاباً تعتبر حتى الآن من أمهات كتب هذا المذهب كالوجيز والوسیط والبسیط والخلاصة .

ومن مطالعة القوائم المتعددة التي وضعها الباحثون لكتب الغزالى نستطيع ان نعلم أي مدى من السعة والتنوع بلغه هذا الرجل في المعرفة .
فقد استطاع ان يلم بشقاقة عصره كلها تقريرياً :

قرأ كتب الفلسفة ، رسائل إخوان الصفا ، ومؤلفات الفارابي (٣٣٩ هـ) وابن سينا (٤٢٨) ومسكويه (٤٢١) وأخذ عن هذين الآخرين كثيراً من آراءهما الفلسفية وخاصة من كتاب النجاة لابن سينا ، وكتاب تذيب الأخلاق لمسكويه .

واستفاد من كتب الصوفية وخاصة من آثار أبي طالب المكي (٣٨٦) صاحب

قوت القلوب ، والقشيري (٤٦٥) صاحب الرسالة المشهورة ، والخاسي
والجنيد وغيرهم .

ولا شك أنه استفاد من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ، وات
كان ضعيف الرواية والنقل للحديث وقد عَكَمَ عليه في آخر عمره
ليوضع مافاته منه .

كما أنه كان مطلعاً بصورة واسعة على الانجيل والآداب المسيحية ، لأنَّه كثيرًا
ما يستشهد في كتبه والأخلاقى منها خاصة بأقوال وحوادث للسيد المسيح .
ولَا بد أن نشير إلى أنه كان حرًّا في اتفاقه من هذه الثقافات كلها ، من نافى
مقارتها وهضمها ، واسع الصدر في مناقشتها وعرضها .

لم يمنعه تبنيه لآراء الأشاعرة في علم الكلام من أن يخرج على بعض آراءهم
— كما قلنا — وفي أن يستبعد منها « المناقشات غير المجدية ، ويعيد الفضول
الدقيق ، والزهو العقلي ، ويظهر الشعور الديني ببساطة ووضوح ، واشرح
صدر ، وعطف شديد إلى روح الشعب »^(١) .

كما لم يمنعه تذبذبه بالملذب الشافعي من أن يخالف الشافعية في بعض ما يقولون
به ، ويسير على طريق الاجتهد في عدد من آرائه .

وسلوكه لطريق التصوف ، والخدمة المظيمة التي قدمها للاصوفية التي كانت
كما يقول مككونالد « موجودة في الإسلام قبل الغزالي إلا أنها كان يُنظر إليها
كأنها شيءٌ خالف للشرع مزر عقام من يتبعه ، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان
الحياة عزَّ الصوفية في تعاليمه أيا تعزيز ، وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها
وزاد في تكريها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم المسلمين السنين
بل بين جميع الفرق الإسلامية منذ ذلك الحين »^(٢) .

١ « كارا روزو . الغزالى من ١٠٣ » . ٢ « الغواص والآلبي . زوجيرو من ١٢٨ » .

نقول ان الغزالى الصوفى فى كثير من آرائه وسلوکه لم يقص فى مهاجمة الآراء الصوفية السائدة حينذاك والتي اعتقاد أنها مجانية للحق ، وخاصة فكرتي الحلول والاتحاد ..

كما أنه عقد فصلاً خاصاً فى كتابه «**الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين**» هاجم فيه الصوفية ونقدّهم نقداً مراً ..

وكان يصدر في هذا كله عن فكرته عن التقليد والتقليد فهو خصم عنيف للتقليد ولعل هذه الخصومة تبدو واضحة فيما كتبه في «**فيصل التفرقة**» «أما بعد فاني رأيتك أياها الأخ المشفعى ، والصديق المتعصب ، موغر الصدر ، منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفية من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين والمشايخ المتلذذين ، وأن العدول عن مذهب الاشعرى ولو في قيد شبر كفر ، ومبaitة ولو في شيء نزر خلال وخسر ، فهوون أياها الأخ المشفعى المتعصب على نفسك ... واستنصر من بالكفر أو الضلال يعرف^(١)».

ثم يتبع حديثه فيقول «**خاطب نفسك وصاحبك ، وطالبه بحد الكفر** فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعرى ، أو مذهب المعتزلى ، أو مذهب الحنبلي أو غيرهم ، فاعلم أنه غر بليد ، قد قيده التقليد^(٢)» ..

ولعل من المفيد أن نتابع الغزالى في هذه الساحة الفكرية فقرأ حد الكفر والایان عنده ، «**الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به ، والایمان تصديقه في جميع ماجاء به ..**^(٣)»

«١» فيصل التفرقة بين الاسلام والزنادقة - الغزالى - الطبعة الاولى ص ٦ - ٨

«٢» الفيصل ص ١١

«٣» المرجع السابق ص ١٩

وي بيان العلة في هذه السعة الفكرية في تعريف الاعيال والكفر فيقول « وهذا لأن الكفر حكم شرعى كالرق والحرية مثلاً ، إذ معناه اباحة الدم ، والحكم بالخلود بالنار ، ومدركه شرعى فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص ١٠٠ »

فالحقيقة هي من وراء الغزالي دائمًا

واسع إلى حد يه في المقد شارحاً شجاعته في هجومه على مناهيل المعرفة بغض النظر عن أواهها وأشكالها « ولم أزل في عنفوان شبابي ، منذ داهمت البلوغ إلى الآن وقد أناف السن على الخميسين أتقحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض عن أمته خوض الجسور ، لاخوض الجبان المهزور ، وأنوغل في كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأنقص عن عقيدة كل فرقه وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محني ومبطل ومفتن ومبتدع »^(٢)



لا عجب والغزالى على هذا الشكل من الورود على مناهيل المعرفة ، والهجوم على ما يعتقد أنها تستحق النقد ، والوقوف بجانب ما يعتقد أنه الحق من أن يكون محور دراسات كثيرة ومحنة بين الاقدمين والحدثين والمعاصرين ، ولا عجب أيضاً أن تختلف آراء الناس فيه اختلافاً كبيراً .. ولا غرو أن نجد اذً من يدحه حتى تحسب أنه مغال في هذا المدح وأن تسمى لقباً « حجة الإسلام » « زين الدين » وغيرها ، وأن تجد في نفس الوقت من يجعله مسؤولاً عن تدهور الفطرة الإسلامية ، في نفوس المسلمين ، ولكن المعرفة لا تعدم منصفين يسلكون السبيل ، وينجعون الحيل للوصول إلى الحقيقة الصحيحة .



وسيعقد بعد أيام مؤتمر عن « الغزالى » يشرف عليه المجلس الأعلى للآداب

^(٢) المقد ص ٦٥

« ١ » المرجع السابق ص ٢٩

والفنون دعا إليه المهتمين بالدراسات الإسلامية القلسفي منها والفقهي من شتى أنحاء العالم .. ولأنني أعد بحثاً عن الغزالي فقد رأيت أن يكون لي نصيب ولو بسيط في الاسهام في التعريف بهذه الشخصية الفذة ، ووجدت أنه قد يكون من المفيد أن أقدم بين يدي هذا المؤتمر مجموعة من أبحاث رجال التاريخ والطبقات والسير ، التي تتناول حياته ، وعصره وما إلى غير ذلك ...

وقد رأيت أن يكون بين هؤلاء ، المعاصر كعبد الغافر الفارسي ، والمؤخر قليلاً كابن عساكر ، وهكذا حتى القرن الثالث عشر المجري .

وقد جمعت هذه الابحاث من عدد من الكتب المخطوطة ، والمطبوعة ، والمطبوع منها أغلبها — إن لم نقل كلها — نادر مفقود .

وما أظن أن هذه المقالات غادرت شيئاً كثيراً من حياة هذا الرجل الشخصية والعقلية ...

وفي اعتقادي أن نشر هذه الابحاث من الضرورة بمكان ، لأنه يجعل أهم المراجع التي لا بد من العودة إليها للتاريخ للغزالي متيسرة بين أيدي الباحثين .. وقد صفتها أوسع دراسة قدية عن حياة الغزالي وبئته ومؤلفاته وتلاميذه وأراء العلماء فيه بقلم السيد المرتضى الزيدى ، شارح الاحياء المشهور كتها مقدماً بها لشروحه الكبير .



وكنت أود أن يكون عملي مقتضراً على تقديم هذه الابحاث حالياً من أي مقدمة مكتفياً بوضعها بين أيدي الباحثين تاركاً لهم مهمة دراستها واستخلاص ملخصاتها فيها . غير أنني وجدت الواجب يحتم علي أن أشير إلى بعض الملاحظات حول حياة الغزالي وأسباب خروجه من بغداد وهل سافر إلى مصر ، ولم أقصد من سرد هذه الملاحظات كتابة سيرة جديدة للغزالي .

١ — حياة الفزالي:

نستطيع ان نلخص حياة الفزالي بالمراحل التالية :

سنة ٤٥٠ هـ ولادته بطوس

حوالي ٤٦٥ دراسته على الشيخ احمد الراذكاني ، وذهابه الى جرجان .
 ودراسته على الشيخ الاسماعيلي ^(١) .

عودته الى طوس حيث بقي فيها ثلاثة سنوات .

ذهابه الى نيسابور ودراسته على أبي المعالي الجوني والفارمدي .

أي بعد وفاة الجوني ، ذهابه الى العسكرية قاصداً نظام الملك .

إرساله مدرساً الى بغداد .

فترة تدريسه في بغداد ، حيث أصبح فيما من الرجال المشهورين .

ترك التدريس ، وخروجه من بغداد مدعياً الحج ..

مسافراً الى الشام

متناولاً بين دمشق والقدس ومكة والمدينة

عودته الى بغداد ، وبقاوته فيها مدة يسيرة مدرساً

الاحياء في رباط أبي سعد .. ثم سفره الى همدان .

عودته الى طوس حيث بقي فيها طويلاً .

التدرис في نظامية نيسابور

تركه التدريس وعودته الى طوس .

الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ وفاته في مسقط رأسه « طوس » .



(١) يشير جبر في مقاله في الـ mideo الى أن الشيخ المقصود قد لا يكون بالنصر لانه توفى سنة ٤٢٧ بل الشيخ اسماعيل بن سعده الاسماعيلي المتوفى سنة ٤٨٧ .

٢ - أسباب خروج الغزالى من بغداد :

يلقى بعض المؤرخين ورجال الطبقات ظللاً كثيفة على حادثة خروج الغزالى من بغداد ، بعضاً يكتفى بالسبب الذي ذكره الغزالى عن نفسه في كتابه « المقدمة في الصدلال » حيث يقول :

« ثم لاحظت أحواى فإذا أنا منعم في العلائق، وقد أحدثتني من كل الجوانب، ولا لاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فإذا أنا مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نبأي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت .. فلم أزل أتفكر في الأمر مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوماً ، وأحل العزم يوماً ، وأقدم فيه رجلاً وأآخر فيه أخرى ، لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة ، إلا ويحمل عليها جند الشهوة فيفترسها عشية ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلسلها إلى المقام ، ومنادي الأيان ينادي الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك العمر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رباء وتخمين ، فان لم تستعد الآن الآخرة فلتستعد ، وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فلتقطع ، فعند ذلك تتبعث الداعية ، وينجزم العزم على المهرب والفرار ، ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حال عارضة إياك ان تطاوئها فانها سريعة الزوال فان أنت أذعن لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكثير والتنفيس ، والأمن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفت اليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة .

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودعائي الآخرة ، قريراً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاختصار إذ أقفل الله على لسانى ، حتى اعتقل عن التدريس فكانت

أجاهد نفسي ان أدرس يوماً واحداً تطبيباً لقلوب المختلفة إلي ، فكان لاينطق
لسامي بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة ، حتى أورثت هذه العقدة في الانسان
حزناً في القلب ، بطلت معه قوة المضم ومراءة الطعام والشراب ، فكان لا ينساغ
لي ثريد ، ولا تهضم لي لقمة ، وتعدي الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء
طعمهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج .
شم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التتجأ الى الله التجاء المصطر
الذى لا حيلة له ، فأجابني الذى يحيب المصطر إذا دعاه ، وسهل على قلبي الاعراض
عن الجاه والمآل والأولاد والأصحاب ، وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنأرید
في نفسي سفر الشام . حذار ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عنمي في
المقام بالشام فتلتطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عنم على الا اعادوها أبداً ،
واستهدفت لأمة العراق كافة إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض عما
كنت فيه سبباً دينياً ، اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك
مبغضهم من العلم ، ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن
ذلك كان لاستشعار من جهة الولاية ، وأما من قرب من الولاية ، وكان يشاهد
إلحاحهم في التعليقي والانكباب على ، وإعراضي عنهم ، وعن الالتفات الى
قولهم ، فيقولون هذا أمر سماوي ، ليس له سبب إلا عين أصحاب الاسلام وزمرة
العلم ، ففارقت بغداد^(١) .

أما كارا دوفو فيرى أن الغزالى لم يكن بحاجة الى هذا التسلسل المسرحي الذي
ذكره حتى يصل الى تقرير ما يريد من ان طريق التصوف هو السبيل الوحيد للوصول
إلى المعرفة وبالتالي فإن الرغبة في السلوكي مع الصوفية لا ينظر اليها في ذلك الحين بالذات
كدافع أساسى نحو وجه من بغداد ، فالغزالى صوفي أصلاً ، أبوه صوفي ، والذى
عني به صوفي والذين أحاطوا به في صباح واثناء شبابه واكتمله أناس أتقياء^(٢) .

٤٩ - (٢) الغزالى . كارا دوفو ص ٤٨ --

(١) المنفذ من ١٢٦ وما بعدها

كما نجد فريد جبر يشك في ان يكون خروج الغزالى من بغداد مباغتاً مفاجئاً
كما يصور ذلك السبكي .. ويلفت النظر إلى الحوادث السياسية التي لم يعلق عليها
السبكي بكلمة ويرى ان هذه الحوادث أثرها في الخروج من بغداد^(١).

فقد سقط نظام الملك في رمضان سنة ٤٨٥ في بغداد بيد أحد الباطنين ، ولا يبعد
أن يكون لسلطان يد في اغتياله ، وكانت العلاقة قوية بين نظام الملك والخلفية وكان
الباطنية يهددون مخالفتهم في ذلك الحين ، والغزالى خصم لدود ، ثم ان عبد الغافر
يذكر انه قد فتح على الغزالى باب من الخوف صرفه عن التدريس والحياة العامة ،
وليس من المستغرب أن يكون هذا الخوف الشديد من جراء الأزمات السياسية
الخاصة في ذلك العهد .

ويشك الدكتور البكري بعدد من الاسباب في جدية عزلة الغزالى الصوفية ،
وكونها سبباً في خروجه من بغداد^(٢) .

أما ما كدonna فيرى ان الخروج من بغداد سببه سياسي ، أو أنه كان
لاستشعاره الخوف وخسية الأذى فقد كان الموقف السياسي يومئذ خطراً وكانت
الأحوال مضطربة لا تبعث على الاطمئنان عقب وفاة نظام الملك^(٣) .

ولا يغفل ابن خلدون أن يشير إلى علاقة الغزالى بيوسف بن تاسفين ،
ورضا عن اللقب الذي لقب به وهو أمير المؤمنين وما قد يكون لذلك من أثر في
إثارة حفيظة أصحاب السلطة في بغداد^(٤) .

والحق أن الغزالى لم يكن بعيداً عن الحياة السياسية :

(١) DE.O . I . مقال له عن حياة الغزالى ومؤلفاته .

(٢) عبد الدائم البكري -- اعتراضات الغزالى من ١٢٣ وما بعدها .

(٣) مقال The life of Al Ghazali

(٤) ابن خلدون : العرس ٣ ج ١١٩

فقد كان أحد المشهورين الذين يشار إليهم بالبنان في بغداد ، وكان لفقهاء وكبار العلماء منزلة في نفوس الناس وعند الحكماء ، خاصة وأن السلاجوقيين الحاكمين حينذاك كانوا يدعمون الاتجاه السنوي أمام العقيدة الفاطمية . وكان اعتمادهم في ذلك على فقهاء وعلماء أهل السنة ، وكان لأنساتذة المدرسة النظامية بالذات شأن كبير، ولعلنا نستدل على ذلك مما تذكره الكتب التاريخية عن تدخلهم لحل الخلافات بين الامراء ، وعن رجوع الحكمائهم في كثير من الأمور ، فقد ذكر ابن خلدون مثلاً كيف كان الخلاف مستحکماً بين السلطان محمد (أبو شجاع) وابن أخيه ملكشاه ، وكيف تدخل الفقهاء بالصلح بينها . قال ابن خلدون « وحضر من الغد القاضي والنقيبان واستحلف الكيا المهراسي مدرس النظامية بحضور القاضي وزير أبا زب بحضورهم للملكشاه ولا باز وللأمراء الذين معه ، فقال أما ملكشاه فهو أبي وأما أبا ز وال أمراء فأحلف لهم ألا ينال ابن انش ، وساروا واستحلفه الكيا المهراسي^١ » . وقد شارك الغزالى بالذات بعض الامور السياسية فقد كلفه المستظاهر بالله الخليفة العباسي بتأليف كتاب يفتدي فيه آراء الباطنية وقد فعل ، وسماه المستظاهري . كما أن ابن خلدون يذكر أنه حين توفي السلطان (جلال الدين أبو الفتح) سنة ٤٨٥ كتمت زوجته الأمر وأرادت أن يولي الخليفة ابنها محمود ، وعمره آنذاك أربع سنين « فأجلبها على شرط أن يكون أحد من أمراء أبيه هو القائم بتديير الملك وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك ويكون له ترتيب العمل وجباية الاموال فأبانت عليه أولاً من قبول هذا الشرط حتى جاءها الإمام أبو حامد الغزالى وأخبرها أن الشرع لا يحجز تصرفاته فأذعنـت لذلك^٢ » .

كل هذه الامور تجعل المجال واسعاً لتفصـير عبارة الغزالى بأنه فتح عليه بـ

(١) ابن خلدون: العبر ج ٣ ص ٩٣

(٢) المرجع السابق ص ٧٨

من الخوف شديد^(١) بأنه الخوف أن يصبه رذاذ المؤامرات السياسية المستحكمة ، كما تجعل البعض يحاول تفسير سبب اختيار الغزالى دمشق على غيرها بأنها أبعد البلاد الإسلامية حينذاك عن سلطة الباطنيين^(٢) .

٣ — هل بقي الغزالى طيلة مدة العزلة في الشام :

اختلف المؤرخون ورجال الطبقات في تحديد المدة التي بقى فيها الغزالى في بلاد الشام فبعضهم يؤيد ما يقوله الغزالى في المقدى من أنه بقى فيها سنتين فقط « ثم دخلت الشام وأقمت بها قريباً من سنتين ، لأشغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالاً بتركية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية ، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ، ثم دخلت منها إلى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأقفل بابها على نفسي . »

ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزياره رسول الله ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسررت إلى الحجاز .

ثم جذبتي الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن ، فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه ، فآثرت العزلة به أيضاً ، حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهات العيال وضرورات المعاش تغير وجه المراد وتشوش صفو الخلوة ، وكان لا يصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة ، لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها ، ودامت على ذلك مقدار عشر سنتين^(٣) »

(١) السبكى ج ٤ ص ١٠٩

(٢) جبر نفس المرجع السابق .

(٣) المقدى ص ١٢٩

ومن الذين نحوا نحو هذا الاتجاه ابن الجوزي في المنظم إذ يقول «وفي ذي القعدة خرج ابو حامد الغزالى من بغداد متوجهاً الى بيت المقدس تاركاً للتدریس في النظامية زاهداً في ذلك ، لا بساً خشن الثياب بعد ناعمها ، وناب عنه أخوه في التدریس ، وعاد في السنة الثالثة من خروجه وقد صنف كتاب الاحياء فكان يجتمع اليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه منه ^١ ». كذلك فعل ابو الفداء وابن العمام .

يقول ابو الفداء في حوادث سنة ٤٨٨ « وفيها سار ابو حامد الغزالى الى الشام وترك التدریس في النظامية لأخيه ثباته عنه ، وتزهد ولبس الخشن ، وزار القدس وحج ثم عاد الى بغداد ، وسار الى خراسان ^٢ » .

اما ابن العمام فيذكر في الشذرات في حوادث سنة ٤٨٨ أيضاً « وفيها قدم الامام الغزالى دمشق متزهداً وصنف الإحياء وأسمعه بدمشق وأقام فيها ستين ثم حج ورداوى وطنه ^٣ » .

ويحدث القاضي ابن العربي أنه لقي الغزالى في بغداد ، وفي رباط أبي سعد بالذات في جمادى الآخرى ، سنة ٤٩٠ هـ « ورد علينا (أبي الغزالى) فنزل برباط أبي سعد بإزار المدرسة النظامية ، معرضاً عن الدنيا ، مقبلاً على الله تعالى فهشينا إليه وعرضنا انفسنا عليه ، وقلت له أنت صالتنا التي كنا نقشد وإمامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة » ^٤ .

ولكن بعض رجال الطبقات يرون انه كان مدة المزلة كلها في بلاد الشام بين

(١) المنظم حوادث ٤٨٨

(٢) تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٠٨

(٣) شذرات الذهب ج ٣ حوادث سنة ٤٨٨

(٤) المقرى نفح الطيب ج ١ ص ٣٤٣

دمشق والقدس . ذهب منها مرة الى الحجج . أي أن الغزالى أمضى عشرة
سنوات في الشام .

ومن نحا هذا النحو عبد الغافر ، وابن عساكر ، والسبكي .
والذى يخيل الي انه لم يبق في دمشق إلا ستين عاماً بعدها الى بغداد فمكث
فيها قليلاً ثم اعتزل في خراسان^(١) فترة طويلة قطعاً بالعودة الى التدرис في
سيسابور ثم عاد الى عزته في بلده طوس^(٢) .

ومما يقوى هذا الرأي في نظرنا بالإضافة إلى ما ذكرناه ان الصليبيين استولوا
على بيت المقدس عام ٩٦٤ هـ . وذلك بعد ان ملوكوا اقطاعية وقتلوا ملك معروفة
العنان وتواли استيلاؤهم على بلاد الشام واحدة بعد الأخرى ومع ذلك لانهم
الصليبيين ذكرأ في كتابات الغزالى ، ولا تحرى ضامنه للمسامين على الجهاد والدفاع عن
الدين والبلاد ، ولا نظنه لو كان في الشام آنذاك يغفل عن مثل هذا الواجب .
وقد سبق له ان شارك في تبيان خطير الباطنية ووقف امامهم وهم في قوتهم وعظمتهم^(٣) ! .

٤ — ذهابه الى مصر :

يدرك بعض المؤرخين ورجال الطبقات ان الغزالى اثناء تجواله في بلاد الشام
قصد مصر فدخل الاسكندرية وأقام فيها مدة وكان يردد على ما ذكروا السفر الى
يوسف بن تاسفين في المغرب الأقصى ، ولكنه علم انه مات فرجع .

قال ياقوت في معجم البلدان في معرض حديثه عن الغزالى « ويقال انه اقام
بمنارة الاسكندرية^(٤) »

(١) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٨٧

(٢) Bouyge : essai de chronologie p. 3

(٣) يرى كثير من الكتاب في موقف السكوت الذي سلكه الغزالى من الصليبيين
 شيئاً من الضفف والتهاون .

(٤) معجم البلدان طبعة لايزريخ مجلد ٣ ص ٥٦١

أما أبو الفداء فقال «وقد دمشق واقام بها مدة ثم انتقل الى القدس
واجتهد في العبادة . ثم قصد مصر واقام بالاسكندرية مدة ...»^(١)

وذكر السبكي ان الغزالى بعد مفارقة دمشق أخذ يجول في البلاد وقد صدر مصر
ثم الاسكندرية فأقام بها مدة ، ويقال أنه عزم على المضي الى السلطان يوسف بن
تاشفين لما بلغه من عدله »^(٢)

غير اتنا نميل الى تغليب الظن بأنه لم يسافر الى مصر متابعين بذلك ابن الأثير
وابن كثير ، والغزالى نفسه الذي لم يذكر شيئاً في كتبه كلها عن هذه الرحلة.

٥ — الطبيعة السياسية في عصر الغزالى :

وقد كان الغزالى يعمل في جو سياسى مضطرب ، « وكانت الخلافة
العباسية في غاية التدنى والانحطاط : السلطان العربى في بغداد اقرض أو كاد
ينقرض ، إسبانيا ثائرة ضد حكامها المسلمين ، بطرس الناسك يحرض الناس على
الحروب الصليبية ، القسم الناس الى شيعة وسنة على أساس دينية وسياسية ،
الأشعرية والفلسفية المدرسية في الاسلام بمساندة السلاجوقيين تناهض المعتزلة»^(٣).

وقد كان نظام الحكم في بغداد معقداً مربكاً ، كان هنالك الخليفة الذي
لا يملك من الحكم إلا الخطبة باسمه على المنابر ، وإلى جانبه السلطان السلاجوقي
الذى يسيطر على الجيش والسياسة .

وكان مناصرو الغزالى من الخلفاء ، المقتدى بالله (٤٨٧) ، ثم المستظر بالله
(٤٦٥) ... ومعاصروه من السلاطين عضد الدولة ابن أرسلان (٥١٢)

(١) تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) السبكي ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) التصوف الاسلامي العربي ، عبد اللطيف الطياري ص ٤٣

الدين ملکشاه (٤٨٥) ، ناصر الدين محمود (٤٨٧) ، رکن الدين أبو المظفر برکياروق (٤٩٨) رکن الدين ملکشاه الثاني (٤٩٨) ، محمد بن ملکشاه (٥١١) و كان الى جانب السلطان وزير الذي كان غالباً ما يمسك بزمام السلطة .

و نظام الملك أحد هؤلاء الوزراء الاقوياء فقد استطاع أن يسيطر على الدولة حوالي ربع قرن ، وكان لهذا الوزير أثره الكبير في الحياة الثقافية ، إذ هو الذي أسس المدارس النظامية المشهورة . وقد كان معاصرًا بل زميلاً في الدراسة لغزالى .

كما أن الوزير خفر الدولة بن نظام الملك هو الذي ألح على الغزالى في العودة الى التدريس في نظامية نيسابور .

أما في باقي الولايات الإسلامية .. فقد كان بالغرب الاقصى دولة المثمين والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين وابنه من بعده .

وفي افريقيا كان يحكم آكل زيري وأشهرهم عيم بن العز بن باديس، ثم يحيى بن غنيم . وكانت الحكم في مصر فاطمياً وأشهر من عاصر الغزالى من خلفائهم المستعلي بالله ابو القاسم احمد بن المستنصر ، ثم الامر بأحكام الله علي المنصور بن المستعلي^{١)} .

وقد شهد الغزالى أو سمع بالداهية التي أصابت العالم الإسلامي في السنين الأخيرة من حياته ، وذلك حين بدأت بحافل الصليبيين تغزو البلاد ، وتوسّس فيها الملك والدول ، فقد أنسوا أمارة الرها بوادي الفرات عام ٤٩٠ هـ ، ثم في انطاكيّة عام ٤٩١ ، وفتحوا بيت المقدس عام ٤٩٢ وطرابلس سنة ٤٩٥ وهكذا^{٢)} .

(١) تاريخ الامم الاسلامية للخوري ج ٢ ص ٥٧٦ وما بعدها

(٢) تاريخ ابن العميد ص ٢٩٢

ولكته مع ذلك لم يحرك ساكناً ضدهم ، ولم يجر ذكرهم في أي كتاب من كتبه الكثيرة وقد هاجمه زكي المبارك لهذا الموقف^١ . والتمس له فريد جبر العذر إذ أنه كان في خراسان بعيداً عن المعركة ، في عنقه وخلوته ، ولعله لو كان في الشام لتخاذل موقفاً مختلفاً ، ثم إن البلاد الإسلامية كانت كلها حينذاك غارقة في الفتن والمؤامرات ، والمعارك على السلطة بين الامراء لم تكن تقطع وفي كل هذا شغل المسلمين في قطر عن أحوال المسلمين في الأقطار الأخرى^(٢) .

٦ — الباطنية^(٣) :

وكان خطراً الباطنية بازدياد ووصلت خطورتهم إلى درجة كبيرة حتى انهم قتلوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ . وابنه خفر الدولة سنة ٥٠٠ ، والأعنز وزير السلطان بركيارون سنة ٤٩٥ ...

وفرضوا نوعاً من الإرهاب على المناطق الشرقية من العالم الإسلامي . وكان الفاطميون من وراء الحركة الباطنية، وقد استغلت فرصة الفوضى السياسية وعدم وجود أصحاب عيون وأخبار في البلاد فعاثت فيها فساداً . وكان الرئيس الثاني للباطنية الحسن بن الصباح ، الذي رحل إلى مصر ، ولقي فيها الخليفة المستنصر واستولى بعد عودته على قلعة « الموت » وقد أرسل إليه نظام الملك من حاصره فلما ضاق عليه الحصار أرسل إلى النظام من قتلته .. وقد استولوا بعد قتلهم على قلعة أصحابه .

وكان الباطنية شجاعاناً ، ينون اتباعهم بالاعجيب ، اقسم الناس بالنسبة لهم

(١) الأخلاق عند الغزالي ص ٥

(٢) جبر المقال السابق .

(٣) ملخص عن كتاب تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ٦٥ وما بعدها

غير قاتل فهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة ، ومنهم من عاهدهم على المسالمة والموادعة . فمن عادهم خاف من فتكهم ومن سالمهم نسبه الناس الى الارتكاس في عقيدتهم ، وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين .

وزاد أمرهم استفحلاً ، فصاروا يهددون من لا يوافقهم بالقتل ، فصار يخافهم من يخالفهم حتى لم يجسر أحد من مخالفتهم ولو كان أميراً من الخروج من منزله حاسراً ، بل كان يلبس تحت ثيابه درعاً ، واستأذن السلطان بركياروق خواصه في الدخول عليه بسلامهم ، وعرفوه خوفهم من الباطنية وأشاروا على أن يفتوك بهم قبل أن يعجز عن تلقي أمرهم .. وهكذا حاول بركياروق أن يطهر الصفوف الداخلية منهم فأوقع بهم وذهب بعض البربراء ، وكاد يذهب الكيا الهراسي رفيق الغزالى في التدريس في النظامية والتلمذة على الجوني لو لا أن استخلصه الخليفة المستظہر .

ثم أصبحوا يتعرضون لقوافل الحجاج حينما شغل عنهم الطلب بسبب خلاف السلطانين محمد وبركياروق ولما صفا الأمر لمحمد خرج الى حربرهم وحاصرهم في أصبهان وقضى على ابن عكاش أحد رؤسائهم وأرسل من يقضي على حسن بن الصباح في قلعة الموت ولكنه توفي قبل ذلك ورجع الجندي عنهم^(١) .

وكان للغزالى مع الباطنية جولات فكرية في أكثر من واحد من كتبه وألف ضدّهم خاصّة كتاب المستظہري بتكييف من المستظہر بالله ، ألح فيه على هدم فكرة الامام المعصوم الذي كان يؤمن بها أولئك ، فالامور الدينية عندهم لا تؤخذ في ثوبها اليقيني إلا عن الامام المعصوم الذي يتلقاها عن الله مباشرة.

(١) وقد مات ابن الصباح سنة «٥٢٨»

٧ — الحياة الثقافية في عصره وثقافته الشخصية :

وكان العالم الإسلامي أيام الغزالي يخضع لمؤثرات ثقافية مختلفة .
فبالإضافة إلى العنصر الإسلامي الأصيل الذي يتمثل بالقرآن والحديث
وآراء الصحابة والفقهاء كانت هنالك تيارات ثقافية مختلفة تخلع رداءها على
تفكير المسلمين .

ولعل الثقافة اليونانية من أكثر هذه التيارات أثراً ، ويرجع البعض أثراها
إلى ما قبل الإسلام » وجملة القول إن الثقافة اليونانية كانت هي السائدة في بيئه
شرقنا هذا منذ فتوح الإسكندر ، وظلت متقدمة مع الزمن ، يضاف إليها عوامل
تختلف باختلاف الأزمان ، وقد اختلطت بالفلسفة الهندية والفارسية والمصرية ،
ولكنها ظلت هي الظاهرة المسيطرة إلى أن جاء المسلمون الذين نشطوا بعد تأثير
الملك إلى اقباس مدينة من سبقهم فوجدوها ميسرة ^١ ..

ومن اختلاط الثقافة اليونانية قبل الإسلام مع بقية الثقافات الأخرى ، ومع
اصطباغها بفكرة ماوراء الطبيعة بالأسلوب المسيحي ، ظهرت الفلسفية الجديدة
في القرن الثالث للميلاد وكان لها أثر كبير على الفكر الإسلامي وخاصة الصوفي منه.
وكان أثر الفلسفة الهندية متأخرًا عن الفلسفة اليونانية ، فقد بدأ في أواخر
القرن الثالث المجري ، وكانت أكثر ما يبدو تأثيرهم في التفكير الصوفي
حيث تأثر بفكرة الفناء الروحي .

ولم يقل تأثير فلسفة الفرس عن تأثير فلسفة الهندوس وأكثر ما تظهر آثارهم
في المقائد الشيعية المتطرفة في الحق الالهي للملك ، وفي حلول الله في جسد الإمام

(١) التصوف الإسلامي ، الطيباوي ص ٩ .

كما أن مدرسة حران بن فيها من الصابئة تركت تأثيرها ولو أنه جاء متأخراً ،
وكان الصابئة وثنين متبرئين بكلمة الصابئة الواردة في القرآن^{١١} .

ونستطيع أن نقسم العصور العباسية من الناحية الثقافية إلى ثلاثة عصور :

- ١ - العصر الأول وهو دور النقل والتوصع والاستحداث والتجدد عن طريق الترجمة ومنجز الثقافة العربية الإسلامية بغيرها .
- ٢ - العصر الثاني وهو دور التطبيق ومحاولة التقرير بين الفلسفة والدين .
- ٣ - العصر الثالث (عصر الغزالي) ظهرت فيه فورة جديدة ، وهي فورة الفضب للدين على الفلسفة .

وكان الغزالي من أهم ركائز هذا العصر ، وقد تأثر بنشأته الصوفية التي هيأتها له بيته فدفعت به إلى دراسة كل مasicقه من الفلسفات وأحوال أصحابها ثم عادت به روحانيته إلى جوهر تعاليم الإسلام^٢ .

ولاشك أن تأثر المسلمين بالعناصر الثقافية الوافدة كان كبيراً بسبب كثرة ماجاء به النقلة من جميع أنواع الفلسفات والعلوم والفنون .

وكان من طبيعة وجود هذه العوامل الثقافية المختلفة المتعارضة في كثير من الأحيان ، أن ظهر على هذا العصر طابع الاسماف في التفكير ، وجموع الخيال ، بل لقد انقلب وجه الاسماف إلى بلبلة عجيبة وعرض عجيب لالملى والنحل والمذاهب وأصبح المجتمع عجيباً « امتلأت حقائب تاريخه بمئات من الطرق والمذاهب الدينية والفلسفية والكلامية ، حتى لقد أصبح لكل لسان ذرuber مذهب خاص به ، ولكل قلم ممتنعاً أمة فكرية تتبعه^٣ ».

(١) المرجع السابق ص ١٠ .

(٢) الغزالي للرافعي ص ٣١ .

(٣) الغزالي طه عبد الباقى مرور ص ٨

فالفلسفة اليونانية ، والرغبة في الخروج على القديم لها أنصارها ، وأنصار القديم ومحاربه هذا الاتجاه لهم أنصارهم ، ثم إن أنصار القديم مختلفون على أنفسهم ، وعلماء الكلام في خلاف مستمر بين أشعري ومعتزل ..

ولا يصح ان نقول أنصار الصوفية الذين رأوا هذا التطور الجديد فلم يسكنوا اليه ولم يطمئنوا الى تناجهه ، فنهضوا الى المعايرة بالعبادة العلمية ، او الكشف الباطني ، والمشاهدة الحضنة ، فنشأت من الصوفية بعض الاتجاهات التي اختلطت بعناصر من مذاهب الفرس والمهدواليونان ^١ .

ولعل من المفيد أن نعرض هنا بعض الصور الرهيبة عن هذه الحالة من الفوضى الفكرية يذكرها ابن خلدون في العبر « كانت مدينة بغداد قد اختلفت في كثرة العمran بما لم تنته اليه مدينة في العالم منذ بدء الخليقة فيها عالمنا ، واخضررت آخر الدولة العباسية بالفتن ، وكثير فيها المفسدون والمدعار والعيارون ... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الامامة ومذاهبتها ، وبين الحنابلة والشافعية ، وغيرهم ، من تصريح الحنابلة بالتشبيه في المذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام احمد وحاشاه منه ، فيقع الجدال والنكير ثم يفضي ذلك الى الفتنة بين العوام ... وتكرر ذلك .. ^٢ »

ويقول أيضاً « وكان ابو النصر بن الاستاذ أبي القاسم القشيري قد حج سنة ٦٩٤ فوردها بغداد منحصراً من الحج ووضع الناس بالنظامية وفي رباط شيخ من الشيوخ ونصر مذهب الاشعري فأنكر عليه الحنابلة وكثير التعصب من الجانين وحدثت الفتن والنها عن المدرسة النظامية ^٣ »

(١) الغزالى للرافعى ص ٧٥ .

(٢) العبر لابن خلدون ج ٣ ص ٤٧٧ .

(٣) العبر لابن خلدون ج ٣ ص ٤٧٢ .

أضف الى هذه العوامل تأييد الحكام بعض الاتجاهات الفكرية دون الاخرى ، فقد تدخل نظام الملك لاعادة شأن الأشعار وقوتهم ، وكان نظام الملك صاحب فكرة تتعلق بالسياسة فقد وقف مع السنة تجاه الفاطميين والباطنية ، وأسس المدارس النظامية لدعم هذا الاتجاه وهكذا ...

في هذا الجو المضطرب كانت سفينة الغزالى تشق طريقها ، وقد تسلح باطلاعه على أكثر الثقافات كما رأينا ، بالإضافة إلى أنه كان « شديد الذكاء سديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الادراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور ، غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبل علم مناظراً محجاجاً^(١) ». وقد وصفه أستاذه الجويني بأنه « بحر مدقق^(٢) » .

وقال عنه أحد معارضيه في الرأي وهو ابن الجوزي « وتفقه على أبي المعالي الجويني وبرع في النظر في مدة قريبيـة وقاوم الاقران وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأول والفروع التي انفرد بمحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر الجويني إلى كتابه المسمى بالمنخول فقال له دفنتي وأنا حي هل انتظرت أموت؟ وأراد أن كتابك غطى على كتابي^(٣) ». وقد عرف عنه مرونته في التفكير ، وقدره على التوفيق بين الآراء المختلفة ، للوصول إلى رأي وسط بينـما « كما كان يلطف الفرقاء ويستعمل ألفاظهم ويسمى بأسمائهم وذلك ليكسب ثقفهم ثم ليهدم مابنوه^(٤) ». وقد استطاع أن يخدم السنة ، والصوفية ، والأشاعرة ، ووقف حائلاً بينـ

(١) طبقات السبكي ج ٤ ص ١٠٣ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) المنظم ج ٩ حوادث سنة ٥ . هـ .

(٤) الحقيقة في نظر الغزالى سليمان دنياص ٨ .

الفلسفة واضطراـد تقدمها. وكان كتاب «الهافت»، فيصلـاً بين عهـدين من عهـود الفلسفة في المـشرق ، إذ لم يـتسـر لها أن تـحتـفـظ بالـتقـدير الـدي كانتـ تـتـمـتع به من قـبـل^(١) .

ويـظـن «دوـجا» أن انتـصار الغـزالـي على الفلـسـفة كان سـهـلاً لـسبـب تـهـيـيد المـدارـسـ، السـنةـ وـخـاصـةـ النـظـامـيةـ^(٢) .

ولـكـنـ يـقـىـ لـلـغـزالـيـ لوـأـخـذـناـ بـرأـيـ دـوـجاـ انـ أـحـدـاـ قـبـلـهـ «لـمـ يـحاـولـ انـ يـشـنـ عـلـىـ جـمـلةـ المـذاـهـبـ الـفـلـسـفـيـةـ الـتـيـ قـامـتـ فـيـ التـشـرـقـ عـلـىـ أـسـاسـ مـنـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ غـارـةـ تـسـتـنـدـ إـلـىـ وـجـهـاتـ نـظـرـ عـامـةـ وـتـقـومـ عـلـىـ درـاسـةـ عـمـيقـةـ^(٣)ـ». وـيـلـخـصـ الدـكـتـورـ ماـكـدـونـالـدـ سـبـبـ قـوـةـ تـأـثـيرـ الغـزالـيـ عـلـىـ الـعـالـمـ الـاسـلـامـيـ . منـ أـرـبـعـةـ أـوـجـهـ فـهـوـ :

أـولـاـًـ : كانـ زـعـيمـاـ عـالـمـاـعـلـىـ إـرـجـاعـ الـمـسـلـمـيـنـ عـنـ التـعـالـيمـ الـمـجـرـدةـ الـيـ لـامـغـزـىـ، وـلـامـعـنـىـ لـهـاـ إـلـىـ تـصـالـ قـوـيـ معـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ لـأـنـهـاـ فـيـ نـظـرـهـ يـنـبـوـعـ الـاسـلـامـ، الـوـحـيدـ وـيـكـنـ بـلـ يـجـوزـ لـنـاـ إـنـ نـسـمـيـهـ فـقـيـهـاـ فـيـ الـقـرـآنـ كـماـ نـفـهـمـ مـنـ هـذـهـ التـسـمـيـةـ، فـيـ عـصـرـنـاـ الـحـالـيـ لـأـنـ تـفـسـيرـهـ لـلـكـتـابـ لـيـسـ إـلـيـادـاـ لـمـاـ أـورـدـهـ الـغـابـرـوـنـ مـنـ التـفـاسـيرـ، وـلـكـنـهـ تـفـسـيرـ رـوـحـيـ لـنـصـوصـ الـقـرـآنـ صـادـرـ مـنـ فـيـوضـاتـ آـرـائـهـ الـخـاصـةـ .

ثـانـيـاـ : أـدـخـلـ الغـزالـيـ فـيـ الـعـالـمـ الـاسـلـامـيـ عـنـصـرـ الـخـوفـ مـنـ جـدـيدـ لـأـنـهـ فـيـ الأـيـامـ السـابـقـةـ كـانـ مـخـاـوفـ يـوـمـ الـدـيـنـوـنـةـ وـأـهـوـالـجـحـيمـ كـماـ فـيـ نـصـوصـ الـقـرـآنـ . عـبـارـةـ عـنـ زـاجـرـ قـوـيـ يـزـجـرـ الـقـوـمـ وـيـرـدـعـهـمـ وـيـوـقـظـهـمـ وـيـدـعـهـمـ لـلـرجـوعـ إـلـىـ التـوـبـةـ .

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام دوبورص ٢٤٠ .

Histoire Des Philosophes Et Des Theologues Musulmans P. 162, (٢)

(٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام — دوبور ص ١٢٤ .

ولكن ميل الخلفاء والرؤساء والعلماء إلى ما يلذذ أجسادهم جعل القوم يحررون على إهال هذه التعاليم وعلى التهاون بها فجاء الغزالى وأعاد إلى هذه التعاليم قوتها الأولى ورونقها ، وعززها ، وأطرب فيها حتى جعل الفرائص تردد من كثرة ما ذكر فيها من المخاوف والأهوال وقد استدللنا على هذه الحقيقة مما كتبه الإمام الغزالى في كتابه « الدرة الفاخرة » الذى له المقام الأسمى في قلوب المسلمين إلى الآن .

ثالثاً كانت الصوفية موجودة في الإسلام قبل الغزالى ، إلا أنها كان ينظر إليها كأنها شيء مخالف للشرع ، مزر عقلاً من يتبعه ، ولكن الغزالى لما ظهر في ميدان الحياة عن ز الصوفية في تعاليمه أياً تعزيز وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم السنين المسلمين بل بين جميع الفرق الإسلامية منذ ذلك الحين .

رابعاً : إن هذا الإمام حلل الفلسفة حتى جعلها قرينة من العقول العادلة ، ثم بين خطورها ومبادئها الأساسية ، ثم أظهر كتابه بشكل جلي أنه لا فرق بين « الفلسفة الحقة ومبادئ الإسلام »^(١) .

وأعل ما كدonna يصيب الحقيقة حين يقول « إنه لم يكن كشافاً ، ولا أول من ركب الطريق واهتدى إلى النجد ، ولكنه كان رجلاً كبير الشخصية ، شديد التأثير ، نهج سبلاً مطروقة ، فجعلها شرعاً عاماً ، ومحجة واضحة ، وهذا من فضل شخصيته وقوة خليقته ، وقد يكون ثم من هو أربع منه وأدق منطقاً وأفقه منه علمًا ، وأكثر منه مواعظ من قديسين ومتدينين ^(٢) ».

٨ — حول مؤلفات الغزالى :

من الواضح أن الغزالى من أكثر كتاب العالم إنتاجاً ، وتنوعاً ، لذلك وصفه

(١) الفواض والآراء لزوير ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) الغزالى البرفاغي ج ١ ص ١٨٠ ..

أحدهم بأمير الكتاب فقال «محمد بن عبد الله أمير الأنبياء ، و محمد بن ادريس الشافعي أمير الإيان ، و محمد بن حامد الغزالي أمير الكتاب »^(١) .
و كان أعلم ما تناوله الغزالي في هذه المؤلفات :

١ — الفقه وأصوله .

٢ — المنطق والفلسفة والرد على الفلاسفة .

٣ — الرد على الباطنية .

٤ — النظريات الدينية .

٥ — دراسات حول القرآن .

٦ — علم الكلام .

٧ — التجارب الروحية والمذهبية .

٨ — تاريخ حياته .

٩ — كتب مصنفوها بها تضم بعض آرائه الخاصة .

١٠ — دراسات أخرى متفرقة .

وقد أوصل بعض المؤلفين كتب الغزالي إلى حوالي ٣٠٠، ويرجع في هذا
الخصوص إلى كتب الغزالي نفسه وإلى بروكلان ، وكارادوفو وبويج والسبكي
والزبيدي والزركلي وجبر وسركيس والبغدادي و حاجي خليفة وغيرهم .
ومن أعلم ما يلفت النظر بالنسبة لمؤلفات الغزالي :

١ — غزارة الإنتاج .

٢ — تنوع الإنتاج .

٣ — الاحالة إلى كتبه .

(١) الفواد واللآلئ لزوير ص ١٧١

ولذلك قيل إن ما كتبه الفزالي يعرف من كتبه أكثر مما كتب عنه «
ولا تثبت أن تقرأ كتاباً من كتب الفزالي ، حتى تعرف جملة من أسماء كتبه ،
لأنه لا يدع مناسبة لكتاب من كتبه تمر دون أن يشير فيها إلى ذلك الكتاب
ويحيل عليه (١) ».

وهذا ما يجعل البعض يجعل من أسباب الشك في نسبة الكتاب إليه عدم ذكره
في كتبه الأخرى ، هذا مالاحظه بالاسيوس بالنسبة لكتاب « معارج القدس »
وجعل ذات يشك فيه (٢) ».

ع — سهولة العبارة : والبعد عن التعقيد ، وعدم تقديره بقواعد البلاغة
أحياناً مما يجعل البعض يضعف أسلوبه (٣) ».

٥ — وضوح الأفكار وتنسيقها وتبويبها وتصنيف الموضوعات .

٦ — الاعتماد على الجدل في معرض الحاجة ؛ ولعل كتاب « التهافت » أحسن
دليل على طريقة الجدلية .

٧ — مراعاة المرتبة العقلية لمن يخاطبهم : وذلك على قاعدة « خطبوا الناس
على قدر عقولهم » ، وكان الفزالي ماهرًا في معرفته لنفسيات المخاطبين و درجة تمثيلهم
العقلية وقد صنف الناس إلى ثلاثة أنواع (٤) :

آ - عوام وهو أهل السلامة ، البليه ، وهو أهل الجنة .

ب - خواص وهو أهل الذكاء وال بصيرة .

(١) الحقيقة - سليمان دنياص ٩٧

(٢) كتاب Bauyeges السابق من ٨٧

(٣) الفزالي تيسير شيخ الأرض من ١٧٦ و سليمان دنيا - الحقيقة من ٩٨

(٤) الفزالي تيسير شيخ الأرض من ١٧٨

(٥) القسطاس المستقيم من ٨٦ وما بعدها .

واسع إليه كيف يسلك بين هؤلاء جميعاً : أما الخواص ، نـي أـعـاجـبـهـمـ بـأـنـ
أـعـالـمـهـمـ المـزـانـ القـسـطـ ، وـكـيـفـيـةـ الـوزـنـ بـهـ ، فـيـرـقـعـ الخـوـفـ عـلـىـ قـرـبـ ، وـهـؤـلـاءـ
قـوـمـ اـجـتـمـعـ فـيـهـمـ ثـلـاثـ خـصـالـ :

إحداها: القرحة النافذة ، والقطنرة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة حلية لا يمكن كسبها .

والثانية خلو باطنهم عن تقليد ، وتعصب لذهب موروث مسموع ، فإن
القليل لا يصحى والليل وإن أصغى لا يفهم .

والثالثة: أن يعتقد فيَّ أني من أهل البصيرة باليزان، ومن لم يؤمن بأنك الحساب، لا يمكنه أن يتعلم منك.

والصنف الثاني ، البلة ، وهو جمیع العوام ، و هو لاءهم الذين ليس لهم فضنة لهم الحقائق وإن كانت لهم فضنة فليس لهم داعية الطلب ، بل شغلهم الصناعات والحرف وليس لهم داعية الجدل .

فأدعو هؤلاء إلى الله بالوعظة ، كما أدعو أهل بصيرة بالحكمة ، وأدعو
أهل الشغب بالمجادلة ...

وأما الصنف الثالث وهو أهل الجدل فإني أدعوه بالتلطف إلى الحق، وأعني بالتلطف، ألا تتعصب عليهم، ولا أعنفهم، ولكن أرفق وأجادل بما هي أحسن وكذلك أمر الله ورسوله ﷺ.

ومعنى المجادلة باتي هي أحسن ، أن آخذ الأصول التي يسامحها الجدل ، وأستنتج منها الحق بالميزان المحقق ، على الوجه الذي أورده في كتاب «الاقتصادي الاعتقاد» إلى هذا الحد .

٨ - ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن عدداً من الكتب دست على الغزالي ، كما حصل مع غيره من المشهورين في تاريخ الفكر .
ويذكر الزييدي عدة كتب يعتبرها مدوسة عليه وهي السر المكتوم، تحسين الطنون ، النفح والتسوية (وهو المصنون الصغير) ، المصنون به على غير أهله .
وهو يشتراك بالنسبة للكتاب الأخير مع ابن الصلاح الذي يذكر أن يكون هذا الكتاب له لأنة يشتمل - بزعمه - على التصریح بقدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ونفي الصفات وكل واحدة من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون^(١) .
ويفيد هذا الرأي من الحديثين الدكتور العتاني ورثي المبارك^(٢) .

ويذهب الدكتور صليبا والمذكور عياد في تحقيقهما لكتاب المنقد إلى رأي حمـي الدين بن عـربـي في أن المصنون الكبير للغـزالـي وأـمـاـ المـنـحـولـ فهوـ المـصـنـونـ الصـغـيرـ أوـ ماـيـسـمـيـ «ـالـنـفـحـ وـالـتـسـوـيـةـ»ـ .ـ ولـلـأـسـتـاذـ دـنـيـاـ مـنـاقـشـةـ لـطـيفـةـ حـوـلـ هـذـاـ المـوـضـوـعـ فـيـ كـتـابـهـ الحـقـيقـةـ فـيـ نـظـرـ الغـزالـيـ^(٣)ـ .ـ

ويرجح جرجي زيدان أن التبر المسبوك مدسوس على الغزالي^(٤) ، ويرى محققـالـمنـقدـ أنـ هـذـاـ الـكـتـابـ منـحـولـ .ـ

ومن المؤلفات التي ثار اللغط حول نسبتها للغـزالـيـ كتاب «ـمعـارـجـ الـقـدـسـ»ـ فـيـ مـدارـجـ مـعـرـفـةـ النـفـسـ»ـ .ـ

فقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه الأخلاق في الإسلام «إننا كثيراً ما أعرضنا عن شكتنا في نسبة معارج القدس للغـزالـيـ ، وإن كـنـجـدهـ مـذـكـورـاـ فيـ ثـبـتـ الـكـتـبـ الصـحـيـحةـ النـسـبـةـ إـلـيـهـ ، وـلـيـسـ شـكـنـاـ لـمـاـ فـيـهـ مـنـ النـقـلـ الـحـرـفيـ عنـ

(١) طبقات السبكي ج ٤ ص ١٣٢

(٢) الأخلاق عند الغـزالـيـ لـرـثـيـ المـبـارـكـ ص ١١٩

(٣) الحقيقة - دنياص ١٠٩

(٤) مجلة الهمالل مجلد ١٥ ج ٦

ابن سينا ، بل لا شتمله على غير قليل من الآراء التي تقمها على الفلاسفة ورماهم من أجلها بالابتداع إن لم نقل بأكثر من الابتداع^(١) .

ويضع بويع هذا الكتاب في قائمة الكتب التي لم يستطع أن يحدد لها فترة زمنية والتي يجب أن ينظر إلى شرعيتها بعناية^(٢) .

أما بالاسيوس فيلاحظ عدم الالحالة إلى هذا الكتاب من الغزالي ، ويعتمد وات على هذه الملاحظة فينكر نسبة له^(٣) .

ويرى الأستاذ دنيا أنه صحيح النسبة إليه للأسباب التالية :

١ - إن كثيراً من فصوله موجودة بعضها في كتب أخرى^(٤) مثل ميزان العمل ، ومراج السالكين ، وإحياء علوم الدين .

٢ - اذا كان الاصل الذي من أجله يجعلنا نشك في نسبة الكتاب لغزالي أنه يتضمن آراء يناقض فيها آراءه في الكتب الأخرى ، فان من طبيعة الغزالي أن يصرح في الكتب العامة برأي ، ويسجل في كتب الخاصة رأياً آخر^(٥) .

٣ - وعند الغزالي في كتاب مراج السالكين^(٦) أنه سيتناول النفس بالدراسة في كتاب خاص ، فلم لا يكون هذا الكتاب هو نفسه الذي وعد به ..

٤ - اشترط في كتاب « معارج القدس » نفس ما يشترط في جواهر القرآن لكتب الخاصة^(٧) .

٥ - ذكر الغزالي هذا الكتاب في « خلاصة التصانيف » في معرض جوابه على

(١) الأخلاق في الإسلام ص ١٥٦ الكتاب السابق ص ٨٩ Bouyeges

(٢) المرجع السابق . الهامش (٤) الحقيقة - دنيا ٩٤ وما بعدها ..

(٦) المراج ص ٣٤ (٥) دنيا ص ١٥٣

(٧) دنيا ص ١٥٤

أحد تلاميذه ، فأشار عليه بقراءة كتاب « معراج القدس » والظن أنه تحريف « معراج القدس » ..

ولابد من الاشارة الى أن الدكتور عبد الرحمن بدوي أعد كتاباً عن مؤلفات العزالي بتكليف من المجلس الأعلى للآداب والفنون استعداداً لمؤتمر « الغزالى » في دمشق .



وفي ختام هذه المقدمة لا بد لي من ان اقدم جزيل الشكر وأوفه لأستاذِي الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهوازي ، الذي كان صاحب الفضل حين أشار علي بأن أقوم بهذا العمل ، وفي متابعة ارشاده ونصحه .

واني لأرجو أن أكون قد أنجذت مهمتي كما أراد خدمة المهتمين بهذا الفرع من المدراسات الاسلامية ، وللراغبين في معرفة « الغزالى » الرجل الذي قال عنه هوبر « انه أ عجب شخصية في تاريخ الاسلام » .

عبد الكويم العثمان

ذكر كلام عبد العفاف بن إسماعيل الفارسي (١)

٥٢٩ - ٥

قال أبو الحسن عبد الغفار بن إسماعيل الخطيب الفارسي خطيب نيسابور^(٢) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالى ، حججه الإسلام والمسامين ، إمام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ، ومنطقاً وخطراً وذكاء وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباح بطلوس^(٣) من الفقه على الإمام أحمد الراذكاني^(٤) ، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين^(٥) في طائفة من الشبان من طوس ، وجد واجهه حتى تخرج في مدة قريبة ، وزر الأقران وحمل القرآن ، وصار أذنطسرَ أهل زمانه ،

(١) هو عبد الدافر بن إسماعيل الخطيب الفارسي ، المخاطب أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري ولد سنة ٥١٤ هـ وتفقه على إمام الحرمين ، وكان إماماً حافظاً أديباً صفت السياق لتاريخ نيسابور وشرح غريب مسلم . توفي سنة ٥٢٩ هـ . والكلام مأخوذ من الطبقات الكبرى للسبكي .

(٢) مدينة بخراسان نظر يافوت مجمع البلدان طبعة لا يزيد عن مجلد ٢ ص ٨٥٧

(٣) إحدى مدن خراسان تتألف من طبران ونوقان . انظر المرجع السابق

مجلد ٣ ص ٥٦٠

(٤) هو أحمد بن محمد أبو حامد الراذكاني من قرى طوس . لم يذكر له تاريخ وفاته انظر السبكي الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦ الطبعة الحسينية .

(٥) هو عبد الملك الجوني الملقب بأبي المعالي ، من كبار فقهاء الشافعية درس في النظامية ببغداد وسافر إلى الحجاز فتوفى توفي سنة ٤٧٨ هـ

وأونَّحدَ أقرانه في أيام إمام الحرمين ، وكان الطلبة يستفيدون منه ، ويُدرِّس لهم ، ويرشدهم ، ويتحمّل في نفسه . وبلغ الأمر به إلى أنَّ أخذ في التصنيف . وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام ، لا يصفي نظره إلى الغزالي سرًا لإبائه عليه في سرعة العبارة وقوه الطبع ، ولا يطيب له تصديقه للتصانيف وإن كان متخرجاً به منتبهاً إليه كما لا يخفى من طبع البشر ، ولكنَّه يظهر التبجع به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف ما يضمُّه ثم يقى كذلك إلى انقضاء أيام الإمام .

فخرج من نيسابور وصار إلى العسكر^(١) واحتل من نظام الملك^(٢) محل القبول ، وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته ، وظهور اسمه ، وحسن مناظرته وجري عبارته . وكانت تلك الحضرة محظوظ حال العلامة ، ومقصد الأمة والفصحاء ، فوُقعت لغزالى اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالآئمة وملاقاة الخصوم المد ومناظرة الفحول ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق وارتافق بذلك أكمل الارتفاق حتى أدت به الحال إلى أن رسم المصير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة اليمونة النظامية^(٣) بها فصار إليها ، وأعجب الكل تدريسه ومناظرته ، وما قي مثل نفسه؛ وصار بعد إمامية خراسان إمام العراق .

ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف ، وسبك الخلاف ، فجدد فيه أيضًا تصانيف . وعملت

(١) عَسْكَرْ نِيَسَابُورْ يَاقُوتْ مُعْجمُ الْبَلَادِ ج ٣ ص ٦٧٧

(٢) الحسن بن علي .. نظام الملك الطوسي وزير لأب ارسلان ، ثم للسلطان ملكشاه افتتحت المدارس النظامية باسمه ، وقد انشأها لتدعيم الثقافة السننية مقابل الثقافية الفاطمية وأهم هذه المدارس : مدرسة بغداد ، مدرسة نيسابور ، مدرسة بلخ .. الخ .. قتل سنة ٤٨٥ بيد أحد الباطينية .

(٣) احدى المدارس التي أنشأها نظام الملك .

حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة، فانقلب الأمر من وجه آخر.

وظهر عليه بعد مطالعة العلوم الدقيقة ومارسة الكتب المصنفة فيها وسلك طريق الزهد والتأله، وترك الحشمة وطرح مثال من الدرجة للاشتغال بأسباب التقوى وزاد الآخرة، فخرج عما كان فيه وقصد بيت الله وحج ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قرابةً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يُسبق إليها، مثل إحياء علوم الدين^١، وكتب المختصرة منه، مثل الأربعين وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم وأخذ في مجاهدة النفس، وتدبر الأخلاق، وتحسين الشهائل، وتهذيب المعاشر، فانقلب شيطان الرعونة، وطلب الرئاسة والجاه، والتخلق بالأخلاق الذميمة، إلى سكون النفس، وكرم الأخلاق والفراغ عن الرسوم والتربيات، وتزاكي الصالحين وفسر الأمل ووقف الأوقات على هداية الخلق، ودعائهم إلى ما يعنهم من أمر الآخرة وتغييض الدنيا والاشتغال بها على السالكين، والاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية، والانقياد بكل من يتوسّم فيه أو يشم منه رائحة المغونة أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة حتى مرن على ذلك ولأنه

ثم عاد إلى وطنه ملازماً بيته مستغلاً بالتفكير، ملازماً للوقت، مقصوداً تقيناً وذخراً للقلوب لكل من يقتضي له ويدخل عليه، إلى أن أتى على ذلك مدة، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض لأحد على مأموره. حتى انتهت نوبة الوزارة إلى الأجل فخر الملك^(٢) جمال الشهداء تعمده الله برحمته، وترىنت خراسان بحشمته ودولته، وقد سمع

(١) من أهم الكتب تأثيراً في الفكر والمجتمع الإسلامي وسيأتي الحديث عنه.

(٢) أبو المظفر علي بن نظام الملك وكان أكبر أولاده قتل سنة .. بيد أحد الباطنية.

وتحقق بمكان الغزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ومعاشرته ، فتبرأ
 به وحضره وسمع كلامه ، فاستدعي منه أن لا يُبقي أنفاسه وفواته عقيمية
 لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها ، وألح عليه كل اللاح وشدد في الاقتراب
 إلى أن أجب إلى الخروج وحمل إلى نيسابور وكان المايت غائباً عن عرينه ، والأمر
 خافياً في مستور قضاء الله ومكتونه ، فأشير عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة
 النظامية عمرها الله فلم يجد بدأ من الادعاء لولاه ، ونوى باظهار ما استغل به
 هداية الشدة ، وإفادة القاصدين ، دون الرجوع إلى ما انخلع عنه وتحرر عن رقه
 من طلب الجاه وماراة الأقران ومكابرة المعاندين ؛ وكم قرع عصاه بالخلاف
 والوقوع فيه ، والطعن فيما يذره ويأتيه ، والسعية به والتثنيع عليه ، فما تأثر
 به ولا استغل بجواب الطاعنين ولا أظهر استيحاشاً بغمىزة المخلطين . ولقد زرته
 مراراً وما كنت أحدث نفسي ماعهدته في سالف الزمان عليه من الزعارة وإيماحا
 الناس والنظر إليهم بعين الازدراء ، والاستخفاف بهم كبراً وخلياء ، واغتراراً
 بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبارة ، وطلب الجاه والعلو في المنزلة إله
 صار على الصد وتصفى عن تلك الكدورات . وكانت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف
 متيممن بما صار إليه . فتحققت بعد التروي والتذير أن الأمر على خلاف المظوف
 وأن الرجل أفق بعد الجنون ، وحكي لنا في ليال كيفية أحواله من ابتداء ماظهر
 له من سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحره في العلوم واستطالته
 على السكل بكلامه ، والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل أنواع العلوم ،
 وتمكنته من البحث والنظر حتى تبرم من الاستغلال بالعلوم الغربية عن المعاملة
 وتفكر في العاقبة وما يجدي وما ينفع في الآخرة ، فابتداً بصحبة الفارمدي^(١)
 وأخذ منه استفتح الطريقه ، وامتثل ما كان يشير به عليه من القيام بوظائف

(١) الفضل بن محمد من أهل طوس تفقه على الغزالي الكبير « وهو غير أبي حامد »
 وصاحب الفشرى توفي سنة ٧٧

العبادات والامean في النواقل واستدامة الأذكار والجذد والاجتهاد طلباً للنجاة »
إلى أن جاز تلك العقبات ، وتكافف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه
من مقصوده . ثم حكى أنه راجع العلوم وخاصة في الفنون وعاود الجذد
والاجتهاد في كتب العلوم الدقيقة واقتفي تأوilyها حتى افتتح له أبوابها ، وتقى مدة
في الواقع وتكافؤ الأدلة وأطراف المسائل ، ثم حكى أنه فتح عليه باب من
الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الإعراض عما سواه حتى سهل
ذلك وهكذا هكذا إلى أن ارتاض كل الرياضة ، وظهرت له الحقائق «
وصار ما كنا نظن به ترساً وتنلاقاً ، طبعاً وتحققاً ، وإن ذلك أثر السعادة
المقدرة له من الله .

ثم سأله عن كيفية رغبته في الخروج من بيته ، والرجوع إلى مادعي
إليه من أمر نيسابور فقال معتقداً عنه : ما كنت أجوز في ديني إلى أن
أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالإلقاء . وقد حق علي أن أبوح بالحق وأنطق
به وأدعوه إليه ، وكان صادقاً في ذلك .

ثم ترك ذلك قبل أن يترك^(١) وعاد إلى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة
طلبة العلم ، و Pax القافية ، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين
من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدریس ، بحيث لا تخلو لحظة من
لحاظاته ولحظات من معه عن فائدة ، إلى أن أصابه عين الزمان ، وضنت به
الايم على أهل عصره ، فنقله إلى كريم جواره بعد مقاساة أنواع من التقدمة
والمناولة من الخصوم ، والسعى به إلى الملوك ، وكفاه الله وحفظه وصانه من
أن تتوشه أيدي المنكبات ، أو يتهمك ستر دينه بشيء من الزلات . وكانت

(١) قد تفيد هذه العبارة تحسس الغزالي بتغير الجو عليه في بلاط السلطان وقد يكون
المقصود منها ، المعنى الصوفي أي انه رغب عن الدنيا والتدریس خشية التقصير في امور الآخرة

خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ، وبمحالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الاسلام ، ولو عاش لسبق السكل في ذلك الفن بيسير من الايام يستفرغه في تحصيله . ولا شك أنه سمع الاحاديث في الايام الماضية وافتغل باخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية ، ولا ضرر فيها حله من الكتب المصنفة في الأصول والفروع ، وسائر الأنواع تخلد ذكره ، وتقرر عند المطالعين المستفیدين منها أنه لم يختلف مثله بعده .

مضى الى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين . ودفن بظاهر قصبة طبران^(١) والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة في آخرته ، كما خصه ببنون العلم في دنياه بمنه . ولم يعقب إلا البنات . وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ، ما يقوم بكافياته ، ونفقة أهله وأولاده ، فما كان يبسط أحداً في الأمور الدنيوية ، وقد عرضت عليه أموال فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال ومنال من غيره .

ومما كان يتعرض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه . وروج في فأنصف من نفسه ، واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه في كلامه ، مع أنه كان يؤلف الخطب ، ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن امثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذر وهم ما كان قصده إلا المعاني وتحقيقها ، دون الالفاظ وتلقيتها .

ومما نقم عليه ما ذكر من الالفاظ المستبشعه بالفارسية ، في كتاب كيمياء السعادة^(٢)

(١) إحدى مدينتي طوس والمدينة الأخرى نوقان . ياقوت مجم البلدان ج ٣ ص ٤٨

(٢) انظر فهرس الآثار المطبوعة لغزالى في نهاية الكتاب .

والعلوم ، وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا يواافق مراسم الشرع ، وظاهر ما عليه قواعد الاسلام ، وكان الأولى به والحق أحق ما يقال ، ترك ذلك التصنيف والاعراض عن الشرح به ، فان العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والمحجج ، فإذا سمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ما هو المقص بعقائدهم ، وينسبون ذلك إلى مــذاهب الأوليــن . على ان المنصف المبــيب ، اذا رجع إلى نفسه علم أن اكثــر ما ذكره نــار من اليــه إــشارة الشرع ، وإن لم يــبح به ، ويوجــد أمثلــة في كلام مشــيخ الطريــقة مرموــزة ومصرــح بها متفرــقة ، وليس لفــظ منها إــلا وكــا يــشعر احد وجــوهــه بكلــام موــهم فإــنه يــشعر ســائر وجــوهــه بما يــواافق عقــائد أــهل الملة ، فلا يــجب إــذا حــمله إــلا على موــافق ، ولا يــنبغي أن يتــعلــق به في الرــد مــتعلق ، إذا أــمكــنه أــن يــبين له وجــهاً في الصــحة يــواافق الأــصول ، على أن هذا الــقدر يحتاج إلى من يــظهره ويــقوم به ، وكان الأولى أن يــترك الــافصاح بذلك كــما تــقدم ذــكره ، وليس كل ما يتــفرد ويــتمــشــي لأــحد تقــديره بــبنيــي أن يــظهرــه بل اــكثــر الاــشيــاء فيما يــدرــي ويــطــوي ولا يــحكــي ، فعلــى ذلك درــج الأولــون من الســلف الصــالــحين ، إــبقاء على مراسم الشــرع وصــيانــة الدين عن طــعنــ الطــاعــنــين وغيرــة المــارــقــين الجــاحــدين والله المــوفــق لــاصــواب.

وقد ثبت أنه سمع ســنــنــ أبي داود الســجــستــاني^(١) عن الحــاـكــمــيــ أبي الفــتــحــ الحــاكــميــ الطــوــسيــ وما عــرــتــ على ســمــاعــهــ ، وسمــعــ منــ الــاحــادــيــثــ المتــفــرــقةــ آــلــافــاــ منــ الــفــقــهــاءــ فيما عــرــتــ عليه مــاســمهــ منــ كــتــابــ مــولــدــ النــبــيــ ﷺــ منــ تــأــلــيفــ أبي بــكــرــ أــحــمــدــ بنــ عــمــروــ بنــ أــبــيــ عــاصــمــ الشــيــيــانــيــ ، روــاـيــةــ الشــيــخــ أــبــيــ بــكــرــ أــحــمــدــ بنــ الحــرــثــ الــاصــهــانــيــ الإمامــ ، عنــ أــبــيــ مــحــمــدــ عبدــ اللهــ بنــ مــحــمــدــ جــعــفــرــ بنــ حــيــانــ بنــ المــنــصــفــ ، وقد ســمــعــهــ الإمامــ النــزاــليــ منــ الشــيــخــ أــبــيــ عــبدــ اللهــ مــحــمــدــ بنــ أــحــمــدــ الــخــوارــيــ خــوارــ طــابــانــ

(١) من كبار المشــتــغلــين بالــحدــيــثــ تــوفيــ سنةــ ٢٧٥ــ

مع ابنيه الشيختين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهاء . ومن ذلك ما قاله
أخبرنا الشيخ أبو عبد الله بن محمد ^{أحمد} الخواري ، أخبرنا أبو بكر بن الحارث
الأصبهاني ، أخبرنا أبو محمد بن حيان ، أخبرنا أبو بكر ^{أحمد} بن عمرو بن أبي عاصم
بن ابراهيم بن المنذر الخوارزمي ، حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدثني الزبير
بن موسى ، عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان ، سأل قتات بن أشيم
الكتاني ، أنت أكابر أم رسول الله ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} ، فقال رسول الله ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} أكابر مني ، وأنا
أسن منه ، ولد رسول الله ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} عام الفيل وقام الكتاب في جزء من مسموع له .

ذكر كلام ابن عكر الماشي (١)

٩٤٩ - ٥٧١

أخبرنا الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في كتابه قال :
 (محمد بن محمد أبو حامد الغزالي)

سمعت الشيخ الفقيه ، الإمام أبي القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم ، بن أبي هريرة الأسفري ، الصوفي ، الشافعي ، بدمشق ^٣ . قال : سمعت الشيخ الإمام الأول زين القراء ، جمال الحرم ، أبو الفتح عامر بن فحام بن عامر العربي الساوي ، بجكة حرسها الله ، يقول : دخلت المسجد الحرام ، يوم الأحد ، فيما بين الظاهر والمعصر ، الرابع عشر من شوال سنة خمس واربعين وخمسين ، وكان بي نوع تكسر ودوران رأس ، بحيث أني لا أقدر أن أقف ، أو أجلس ، لشدة مائي . وكنت أطلب موضعًا ، استريح

(١) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله . صنف كتاب تاريخ الشام ، وتبين كذب المفترى ، ولد سنة ٩٩ ، وتوفي بدمشق سنة ٥٧١ .
 والكلام مأخوذ من كتابه « تبيان كذب المفترى فيها نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري .

(٢) انظر كلام عبد الغافر ص ٤٢ - ٤٧ من الكتاب
 (٣) حدثنا بهذه الحكاية الإمام أبو جعفر أحمد بن أبي بكر القرطبي قال سمعت الشيخ أبي الفتح عامر بن فحام وذلك بحضورة شيخنا أبي القاسم في حين ساعتنا لهذا الكتاب عليه . ومن ثبتت اسمه بالسماع سمعها من لفظ الشيخ أبي جعفر .

فيه ساعة على جنبي ، فرأيت باب بيت الجماعة المرباط الرامشي عند باب العزورة ، مفتوحاً ، فقصدته ودخلت فيه ووقيت على جنبي الأيمن ، بحذاء الكعبة المشرفة مفترشاً يدي تحت خدي ، لكيلا يأخذني النوم ، فتنقض طهارتي ؟ فإذا برجل من أهل البدعة ، معروف بـ جاء ونشر مصلحة ، على باب ذلك البيت وأخرج لوبيحاً من جبيه أظنه كان من الحجر وعليه كتابة قبليه ، ووضعه بين يديه ، ووصلى صلاة طويلة ، مرسلاً يديه فيها على عادتهم . وكان يسجد على ذلك الموضع في كل مرة ، فإذا فرغ من صلاته ، سجد عليه وأطال فيه ، وكان يعث خده من الجانبين عليه ، ويترسّع في الدعاء ، ثم رفع رأسه قبليه ، ووضعه على عينيه ، ثم قبليه ثانية ، وأدخله في جبيه كما كان . قال فلما رأيت ذلك كرهته واستوحشت منه ذلك ؟ وقلت في نفسي لیت أن رسول الله ﷺ كان حياً فيما يتنا ليخبرهم بسوء صنيعهم ، ومناه عليه من البدعة ، ومع هذا التفكير كنت أطرب النوم عن نفسي كيلا يأخذني ، فتفسد طهاري ، فبينما أنا كذلك إذ طرأ عليّ الغاس ، وغلبني ، فكأنّي بين اليقظة والنّائم فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون ، واقفين وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد ، قد تحلقوا كلهم على شخص ، فسألت الناس عن حالم ، وعمن في الحلقة ، قالوا هو رسول الله ﷺ وهو لاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله ﷺ ، ويصححوه عليه . قل فبينما أنا كذلك أنظر إلى القوم ، إذ جاء واحد من أهل الحلقة ، وبيده كتاب ، وقيل إن هذا الشافعي رضي الله عنه ، فدخل في وسط الحلقة ، وسلم على رسول الله ﷺ ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ ، في جماله ، وكالله ، متبلاساً بالثياب البيضاء المنسولة النظيفة ، من العمامه والقميص وسائر الثياب ، على زي أهل التصوف ؟ فرد عليه الجواب ، ورحب به ، وقد الشافعي بين يديه ، وقرأ من الكتاب مذهبة واعتقاده عليه ، وبعد ذلك جاء شخص آخر ، قيل هو أبو حنيفة رضي الله عنه وبيده كتاب ،

فسلم وقعد بجنب الشافعى ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده ، ثم أتى بعده كل صاحب مذهب ، إلى أن لم يبق إلا القليل ، وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر . فلما فرغوا إذا واحد من المبتدةعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كواريس غير مجلدة ، فيها ذكر عقائدهم الباطلة ، وَهُمْ أَن يدخل الحلقة ، ريقراها على رسول الله ﷺ ، خرج واحدٌ منْ كان مع رسول الله ﷺ ، وأخذ الكواريس من يده ، ورماها إلى خارج الحلقة ، وطردوه وأهانه ؟ قال فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئاً تقدمت قليلاً ، وكان في يدي كتاب مجلد ؟ فناديت وقلت يا رسول الله ، هذا الكتاب معتقدى ، ومعتقد أهل السنة ، لو أذنت لي حتى أقرأه عليك ، فقال ﷺ ؛ وإيش ذاك ، قلت : يا رسول الله ، هو قواعد العقائد^(١) الذي صنفه الغزالى ، فأذن لي في القراءة ، فقعدت وابتدات :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول .
 الفصل الأول .

في ترجمة عقيدة أهل السنة ، في كلمة الشهادة ، التي هي أحد مبني الإسلام ، فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله ، المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش الجيد ، والبطش الشديد ، الهاדי صفة العبيد ، إلى المنهج الرشيد ، والمسلاك السعيد ؟ المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد ، بحراسة عقائدهم ، عن ظلمات التشكيك والتزوير ، السابق بهم إلى اتباع رسوله المصطفى ﷺ ، واقتفاء صحبه الأئمرين بالتأييد والتسديد ، المتجلبي لهم في ذاته وأفعاله ، بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ؟ المعرف إليهم في ذاته أنه

(١) كتاب قواعد العقائد ذكره الغزالى في الاحياء ج ١ ص ٩ طبعة الحلى . والغزالى في آراءه الكلامية مساير للأشهرى إلا في أمور أوضحتها في كتبه الكلامية .

واحد لا شريك له ، صمد لا ضد له ، منفرد لاندله ، وأنه قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لانهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال ، موصوفاً بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء ، تصرم الآباد واقراظ الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والباطن والظاهر .

التزييه : وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدد مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام ، لافي التقدير ولا بقبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحمله الجواهر ، ولا بعرض ، ولا تحمله الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيمط به الجهات . ولا تكتنفه الارضون والسموات . وأنه استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزلها عن الملاسة والاستقرار ، والتمكن والخلول والانتقال . لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء ، إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، بل هو رفيق الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد . إذ لا يماثل قريبه قرب الأجسام ، كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحمل في في شيء ، ولا يحمل فيه شيء ، تعالى أن يحيوه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان . كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ماعليه كان . وأنه بائن من خلقه بصفاته ، وليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته . وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحمله الحوادث ، ولا تغتريه العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفي صفات كالمستعينيَّة عن زيادة الاستكبار؛ وأنه في ذاته

معلوم الوجود بالقول ، صرئي الذات بالأبصار ، نعمة منه ولطفاً بالأبرار ، في دار
القرار ، وإنماً للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .

القدرة : وأنه حي قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه
سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملائكة ، والعزة
والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، السموات مطويات بيمنيه ،
والخلائق مقهورون في قبضته . وانه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالإيماد
والابداع ، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته
مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصارييف الأمور ، ولا تخصى مقدوراته ، ولا
تتناهى معلوماته .

العلم : وأنه علم بجميع المعلومات ، محيط عالمه بما يجري في تخوم الأرضين إلى
أعلى السموات ، لا يعزب عن عالمه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الدر في
جو الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هوا جس الضمائر ، وحر كات
الخواطر ، وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي ، لم يزل موضوعاً في أزل الآزال ،
لا بعلم مجده حاصل في ذاته بالحلول والانتقال .

الإرادة : وأنه مرید الكائنات ، مدبر الحادثات ، ولا يجري في الملك
والملائكة قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان
أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسر ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ،
كفر أو إيمان ، إلا بقضاءه أو قدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم
يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيئته لفترة ناظر ، ولا فلترة خاطر ، بل هو المبدئ
المعيد ، الفعال لما يريد ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضاءه ، ولا مهرب لعبد عن
محصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة على طاعته ، إلا بمحبته وإرادته ، لو اجتمع

الإنس والجن ، والملائكة والشياطين ، على أن يحرّكوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته ، عجزوا عنه . وأن إرادته قاًمة بذاته ، في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصفاً بها ، مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله ، من غير تقدم وتأخير ، بل وقعت على وفق عالمه وإرادته ، من غير تبدل وتغيير . دبر الأمور لا ترتيب أفكار وتربيص زمان ، فلذلك لم يشغل شأن عن شأن .

السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير ، يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، لا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدة وأجفان ، ويسمع من غير أصحة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جرحة ، ويخالق بغير آلة ، إذ لا يشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا يشبه ذاته ذات الخلق .

الكلام : وانه متكلم ، أمر ناه ، واعد متوعد ، بكلام أزيٰن قدِيم ، قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من اسلاال هوا ، واصطكاك ، أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطلاق شفة ، أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتوراة والأنجيل والزبور ، كتبه المنزلة على رسليه ، وأن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب بالمصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قدِيم ، قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال ، والفارق بالانتقال ، إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى عليه السلام ، سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف . كما يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض ، وإذا كانت له هذه الصفات ، كان حياً عالماً ، قادرًا مريداً ، سمعياً بصيراً ، متكلماً بالحياة والعلم ، والقدرة والإرادة ، والسمع والبصر والكلام ، لا يجرد الذات .

الأفعال : وأنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائق من عده ،

على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم في أفعاله ، وعادل في أقضيته ، ولا يقاس عدله في عدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فإنه لا يصادف لغيره ملكاً ، حتى يكون تصرفه فيه ظالماً ، فكل ما سواه من جن ، وإنس ، وشيطان ، وملك ، سماء ، وأرض ، وحيوان ، ونبات ، وعرض ، ومدرك ، ومحسوس ، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختياراً وإنشاء ، بعد أن لم يكن شيئاً ، إذ كان في الأزل موجوداً وحده ، ولم يكن معه غيره . فأحدث الخلق بعد إظهاراً لقدرته ، وتحقيقاً لما سبق من إرادته ، وحق في الأزل من كلامه لا لا يقتاره إليه وحاجته . وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع . والتکلیف لاعن وجوب ، ومتطلول بالانعام والصلاح لاعن لزوم ، فله الفضل والاحسان . والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويتليهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولو فعل ذلك كان منه عدلاً ، ولم يكن قبيحاً ولا ظالماً . وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا يحب الاستحقاق والازوم ، إذ لا يحب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يحب عليه حق . وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه ، لا مجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل ، وأظهر صدقهم بالعجزات الظاهرة ، بلغوا أمره ونهايه ، ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهـم بما جاؤـوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهي شهادة الرسول ﷺ أنه تعالى ، بعث النبي الأمي القرشي ، محمدأً ﷺ ، برسالته ، إلى كافة العرب والعجم والجن والأنس . قال : فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والتبرّ في وجهه ﷺ ، إذ اذهبـت إلى نعمـته وصفـته ، فاثنتـتـ إلىـ ، وـقـالـ : أـينـ الفـزـاليـ ، فـإـذاـ بالـفـزـاليـ كـأـنهـ كانـ وـاقـفاـ علىـ الحـلـقةـ بـيـنـ يـدـيهـ ، فـقـالـ : هـأـنـذـ يـارـسـولـ اللهـ ، وـتـقـدـمـ وـسـلـمـ عـلـىـ

رسول الله ﷺ ، فرد عليه الجواب ، وناوله يده العزيزة ، والغزالى يقبل يده ، ويضع خديه عليها ، تبركاً به ، وبيد العزيزة المباركة ، ثم قعد . قال : فما رأيت رسول الله ﷺ ، أكثر استبشاراً بقراءة أحد ، مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد المقادير .

ثم اتبهت من النوم ، وعلى عيني أثر السمع ، مما رأيت من تلك الأحوال ، والمشاهدات والكرامات ، فانها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى ، سينا في آخر الزمان ، مع كثرة الاهواء ، فنسأله تعالى أن يتبتنا على عقيدة أهل الحق ، ويجعلنا وحيتنا عليها ، ويحشرنا معهم ، ومن الآنبياء والمرسلين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، فإنه بالفضل جدير ، وعلى ما يشاء قدير .

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الإسفرايني : هذا معنى ماحكى لي أبو الفتح الساوي ، أنه رأه في المنام لأنه حكا له بالفارسية ، وترجمته أنا بالعربية .

وتسمى الفصل الأول من فصول قواعد العقائد ، الذي يتم به الاعتقاد ، لم يتفق قراءته إليه على رسول الله ﷺ ، ومن المصلحة إثباته ليكون الاعتقاد تماماً في نفسه ، غير ناقص من أراد تحصيله وحفظه ، بعد قوله : وإنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدًا ﷺ ، برسالته إلى كافة العرب والمجتمع والجن والأنس ، « فنسخ بشرعته الشرائع إلا ما قرر ، وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ، مالم يقرن به شهادة الرسول ، وهو قول محمد رسول الله ، فألزم الخلق تصديقه ، في جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة .

وأنه لا يتقبل إيمان عبد ، حتى يوقف بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهو شخصان مهيايان ، هائلان ، يقعدان العبد في قبره ، سوياً ذا روح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد ويقولان من ربك ، وما دينك

ومن نبيك ؟ وها فناناً القبر ، وسؤالها أول فتنة القبر بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر ، وأنه حق وحكمة ، وعدل على الجسم والروح ، على ما يشاء .

ويؤمن بالميزان ذي الكفتين ، واللسان وصفته في العِظَم ، مثل أنه مثل طباق السموات والأرض ، توزن فيه الأفعال بقدرة الله تعالى ، والسننج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقاً لعام العدل . وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة ، في كفة النور فيثقل بها الميزان ، على قدر درجتها عند الله ، بفضل الله تعالى ، وتطرح صحائف السيئات ، في كفة الظلمة ، فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى .

وأن يؤمن بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، ترول عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى ، فيه وي بهم إلى النار . ويثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون إلى دار القرار .

وأن يؤمن بالحوض المورود ، وهو حوض محمد ﷺ ، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يطمأ بعدها أبداً . عرضه مسيرة شهر ، ماؤه أشد بياضاً من الماء ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر .

ويؤمن بيوم الحساب ، وتفاوت الخلق فيه ، إلى مناقش في الحساب ، وإلى مسامح فيه ، إلى من يدخل الجنة بغير حساب . وهم المقربون ، فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدع عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الأعمال .

ويؤمن بخروج الموحدين من النار بعد الانتقام ، حتى لا يقع في جهنم موحد بفضل الله تعالى .

ويؤمن بشفاعة الانبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين ، كل على حسب جاهه ومنزلته ، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع ، أخرج

بفضل الله تعالى ، ولا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه
مثقال ذرة من الإيمان .

وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ،
أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم . وأن يحسن الفتن بجميع
الصحابة ، ويئي عليهم كما أئنَّى الله تعالى ورسوله عليه السلام وعليهم أجمعين .

فكل ذلك مما وردت به الاخبار ، وشهدت به الآثار ، فمن اعتقد جميع
ذلك موافقاً به ، كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال والبدعة .
فنسأل الله تعالى كمال اليقين ، والثبات في الدين ، لنا ولكلّة المسلمين ، إنه أرحم
الراحمين . وصلى الله على محمد وآلـه أجمعين .



ذكر كلام أبي الفرج سرج بن الجوزي (١)

٥٩٧

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الفزالي ، ذكر أنه ولد سنة خمسين وأربعينه « وتفقه على أبي المعالي الجوني ، وبرع في النظر في مدة قريبة ، وفأول الأقران ، وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع ، التي انفرد تحسن وضعها وترتيبها ، وتحقيق الكلام فيها ، حتى أنه صنف في حياة أستاذة الجوني ، فنظر الجوني في كتابه المسمى بالمخول^(٢) ، فقال له : « دفتري وأنا حي ؟ هلا صبرت حتى الموت » أراد ، أن كتابك قد غطى على كتابي .

ووقع له القبول من نظام الملك ، فرسم له التدريس بمدرسته ببغداد ، فدخل بغداد سنة أربع وثمانين ، ودرس بها ، وحضره الأئمة الكبار ، كابن عقيل ، وأبي الخطاب ، وتعجبوا من كلامه ، واعتقدوه فائدة ، وقلوا كلامه في مصنفاتهم . ثم إنه ترك التدريس والسياسة ، ولبس الخاتم الغليظ ، ولازم الصوم ، وكان لا يأكل إلا من أجرة النسخ ؛ وحج وعاد .

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .. ابن الجوزي ولد سنة ١٠٥هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ . والكلام من كتابه « المنظم في تاريخ الملوك والأمم » مادة ويات ٥٥هـ .
(٢) من أجل مؤلفات الفزالي . أنظر مؤلفات الفزالي في نهاية الكتاب

ثم رحل إلى الشام ، وأقام ببيت المقدس ، ودمشق مدة ، يطوف
لما شاهد . وأخذ في تصنيف كتاب الإحياء في القدس ، ثم أتته بدمشق^(١) ، إلا أنه
وضعه على مذهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه . مثل أنه ذكر في حمو الجاه
ومجاهدة النفس ، أن رجالاً أراد حمو جاهه ، فدخل الحمام ، فلبس ثياب غيره ،
ثم لبس ثيابه فوقها ، ثم خرج يشي على مهل حتى لحقوه ، فأخذوها منه ، وسي
سارق الحمام ؟ وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لأن الفقه
يحكم بقبح هذا ، فإنه متى كان لصاحبه حافظ ، وسرق سارق قطع ، ثم لا يحمل
للسالم أن يتعرض لأمر يأثم الناس به في حقه . وذكر أن رجالاً اشتراى جمماً ، فرأى
نفسه تستحيي من حمله إلى بيته ، فعلقه في عنقه ومشى ، وهذا في غاية القبح . ومثله
كثير ليس هذا موضعه .

وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) ، وأشارت
إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بتلبيس إبليس ، مثل ما ذكر في كتاب النكاح ،
أن عائشة قالت للنبي ﷺ ، أنت الذي ترعم أنك رسول الله؟ ، وهذا محال .
 وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه ، أنه صحب الصوفية ، فرأى
حالهم الغاية ، وقال إنني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمدي وامتنعت ما كان
يُشير به من وظائف العبادات ، واستدامة الذكر ، إلى أن جزت تلك المقببات ،
وتتكلفت تلك المشاق ، وما حصلت ما كنت أطلبـه ، ثم إنه نظر في كتاب أبي
طالب السكي^(٢) وكلام المتصوفة القدماء ، فاجتبذه ذلك جره ، عمما يوجبه الفقه ،
وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة ، وما لا يصح غير قليل . وبسب
ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف ، وإنما نقل
نقل حاطب ليل .

(١) كتاب قوت القلوب وهو من أهم كتب الصوفية .

وكان قد صنف للمستظر ^١ كتاباً في الرد على الباطنية ، وذكر في آخره مواعظ الخلفاء . فقال : روي أن سليمان بن عبد الملك ، بعث إلى أبي حازم ، أبعث إلى ^٢ من إفطارك فبعث إليه نحالة مقلوبة فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يأكل كل شم أفتر عليها ، وجامع زوجته ، فجاءت بعد العزير ، فلما بلغ ، ولد له عمر بن عبد العزير وهذا من أقبح الأشياء لأن عمر ، ابن عم سليمان ، وهو الذي ولاه ، فقد جعله ابن ابنه ، فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً ، أصلأ .

وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء ، فأعلمته بعيوبه ، ثم كتبته له ، فأسقطت ما يصلح إسقاطه وزدت ما يصلح أن يزاد .

ثم إن أبا حامد عاد إلى وطنه ، مشتغلًا بتبنته ، فلما صارت الوزارة إلى فخر الملك ، أحضره ، وسمع كلامه ، وألزمه بالحرrog إلى نيسابور ، فخرج ودرس ثم عاد إلى وطنه ، واتخذ في جواره مدرسة ^٣ ورباطاً للمتصوفة ، وبني داراً حسنة وغرس فيها بستانًا ، وتشاغل بحفظ القرآن ، وسمع الصاحح ؛ سمعت إسماعيل بن علي الموصلي ^(١) الوعاظ ، يحكى عن أبي منصور الرزاز ^(٢) الفقيه ، قال دخل أبو حامد بغداد فقوه ^٤ ملبوسه ومر كوبه خمسة دينار ، فلما تزهد وسافر ، وعاد إلى بغداد ، فقومنا ملبوسه خمسة عشر قيراطاً . وحدتني بعض الفقهاء عن أنو شروان وكان قد وزر ل الخليفة ، أنه زار أبا حامدا الغزالى فقال له أبو حامد : زمانك محسوب عليك ،

(١) هو العباس احمد المستظر بالله بويح بالخلافة بعد المقidi سنة ٤٨٧ هـ واستمر إلى أن توفي سنة ٥١٢ .

(٢) أبو الفداء الوعاظ الشافعى مات بالموصل سنة ٥٩٢

(٣) سعيد بن محمد .. الرزاز من كبار آلية بغداد ولد سنة ٤٦٢ هـ تفقه على الغزالى وغيره ودرس بالنظامية . توفي سنة ٥٣٩ هـ

وأنت كالمستأجر ، فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي . فخرج أبو شروان وهو يقول لا إله إلا الله ، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه كان يلبس الذهب والحرير ، فـَل أمره إلى هذا الحال .

توفي أبو حمـد يوم الاثنين ، رابع عشر جـمـادـيـالـآخـرـة ، من هذه السنة ، بطوس ، ودفن بها وسألـه قـبـيلـ الموت بعض أـصـحـابـهـ أـوـصـنـيـ ! فـقـالـ: عـلـيـكـبـالـاخـلـاصـ فـلـمـ يـزـلـ يـكـرـرـهـ حـتـىـ مـاتـ .



ذكر كلام ياقوت الحموي (١)

٦٢٦

وأما الغزالي أبو حامد ، فهو الامام المشهور ، صاحب التصانيف التي ملأت الأرض طولاً وعرضًا قرأ على أبي المعالي الجوني ودرس بالظاممية بعد أبي اسحق ، و قال من الدنيا أربه ثم انقطع إلى العبادة ، فحج إلى بيت الله الحرام ، وقصد الشام وأقام بالبيت المقدس مدة . وقيل إنه قصد الاسكندرية وأقام بنمارتها ، ثم رجع إلى طوس ، وانقطع إلى العبادة ، نازمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور ، فامتنع ، وقال أريد العبادة ، فقال لا يحمل لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ، فدرس .

ثم ترك التدريس ، ولزم منزله بطوس ، حتى مات بالطبران منها ، في رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة ٥٠٥ ودفن بظاهر الطبران ، وكان مولده سنة ٤٥٠ هـ
ورثاه الأديب الأبيوردي (٢) فقال :

بكى على حجة الاسلام حين ثوى من كل حي عظيم القدر أشرفه

(١) من كتابه معجم البلدان مادة طوس.

(٢) الابيوردي : محمد بن احمد ابو المظفر شاعر ونسابة ولد في ابيورد . توفي مسموماً بأصبهان سنة ٥٠٧ هـ

علي أبي حامد لاح يعفه
وما لمن يجتزي في الله عبرته
والطرف تسهده واللامع تنزفه
تلük الرزينة تسهوي قوى جلدي
ولاله شبه في الخلق تعرفه
فماله خلة في الزهد منكرة
مضى وأعظم مفقود فجعت به
من لاظير له في الخلق يخلفه



ذكر كلام ابن خلكان (١)

٦٨١ هـ

لم يكن لطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، استغل في مبدأ أمره بطبعه على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واحتفل إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجوني ، وجد في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاده ، وصنف في ذلك الوقت . وكان أستاده يتبعج به . ولم يزل ملازمًا له ، إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير ، نظام الملك ، فأكرمه وعظميه ، وبالغ في الاقبال عليه . وكانت بحضور الوزير جماعة من الأفضل ، فجري بينهم الجدال . والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، و Ashton اسمه ، وسارت بذلك الركبان . ثم فوض إليه التدريس بمدرسته النظامية ببغداد ، فجاءها وبادر إلى إلقاء الدروس . بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعين ، وأعجب به أهل العراق . وارتقت عندهم منزلته .

ثم ترك جميع ما كان عليه ، في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعين ، وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع ، توجه إلى الشام ، فأقام بمدينته

(١) من كتابه «وفيات الأعيان» .

«دمشق مدة»، يدا كر المدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وانتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المهمة .

ثم قصد مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين ^(١) صاحب مراكش ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فيما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية .

ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بنفسه ، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها : كتاب الوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة في الفقه ومنها إحياء علوم الدين ، وهو من نفس الكتب وأجملها ، وله في أصول الفقه المستصفى ، فرغ من تصنيفه في سادس المحرم سنة ثلات وخمسين ، وله : المنحول ، والمتخل ، في علم الجدل ، وله تهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، والمقاصد ، والمضnoon به على غير أهله ، والمقصد الآمني في شرح اسماعيل الحسني ، ومشكاة الانوار ، والمنفذ من الضلال ، وحقيقة القولين ، وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم ألم بوعود إلى نيسابور ، والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات . ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاه لصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، وزوّج أوقاته على وظائف الخير ، من حكم القرآن ، ومحالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، إلى أن انتقل إلى ربه .

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين أمير المسلمين اختط مدينة مراكش بالغرب وتوفي سنة ٥٠٠ هـ

ويروى له شعر ، فن ذلك مانسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعاني ^(١)
في الذيل وهو قوله :

حلت عقارب صدغه في خده قرأ فجأل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يحفل بيرجمـا فـمن العجائب كـيف حلـت فيه
ورأيت هذين الـبيتين في موضع آخر لغيره ، والله أعلم .
وـنـسـبـ إـلـيـهـ العـهـادـ الـاصـبـانـيـ ^(٢) هـذـينـ الـبـيـتـيـنـ وـهـاـ :

هـبـنيـ صـبـوتـ كـمـاـ تـرـونـ بـزـعـمـكـ وـحـظـيـتـ مـنـهـ بـلـثـمـ خـدـ أـزـهـرـ
إـلـيـ اـعـتـرـلـتـ فـلـاـ تـلـوـمـواـ أـنـهـ أـنـصـحـيـ يـقـاـبـلـيـ بـوـجـهـ أـشـعـرـ
وـنـسـبـ إـلـيـهـ الـبـيـتـيـنـ الـلـذـيـنـ قـبـلـهـاـ .

وـكـانـتـ وـلـادـتـهـ سـنـةـ خـمـسـيـنـ وـأـرـبـعـائـةـ وـقـيـلـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـخـمـسـيـنـ ،ـ وـتـوـفـيـ
يـوـمـ الـاثـيـنـ ،ـ رـابـعـ عـشـرـ جـمـادـىـ الـآـخـرـ ،ـ سـنـةـ خـمـسـ وـخـمـسـائـةـ ،ـ بـالـطـاـبـارـانـ ،ـ
رـجـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ .ـ

ورثـاءـ الـأـدـيـبـ أـبـوـ الـمـاظـفـ مـحـمـدـ الـأـيـورـدـيـ الشـاعـرـ الـمـشـهـورـ ،ـ وـسـيـأـتـيـ ذـكـرـهـ
اـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىـ بـأـبـيـاتـ فـائـقـةـ مـنـ جـمـلـهـاـ :

مـضـىـ وـأـعـظـمـ مـفـقـودـ فـيـجـعـتـ بـهـ مـنـ لـاـنـظـيرـ لـهـ فـيـ النـاسـ يـخـلـفـهـ
وـقـمـلـ الـإـلـامـ إـسـمـاعـيلـ الـحـاـكـيـ بـعـدـ وـفـاتـهـ بـقـوـلـ أـبـيـ قـامـمـنـ جـمـلـةـ قـصـيـدـةـ مـشـهـورـةـ :ـ
عـجـبـتـ لـصـبـرـيـ بـعـدـهـ وـهـوـ مـيـتـ وـكـنـتـ اـمـرـأـ أـبـيـ دـمـاـ وـهـوـ غـائـبـ

(١) أبو سعد أو أبو سميد عبد الكريج بن أبي محمد التميمي السمعاني المرزوقي له عدد من المؤلفات منها : تذليل تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب ، وكتاب الانساب توفى ببر و سنة ٥٦٢ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن صفي الدين فقيه شافعي واديب ، من ائم مؤلفاته : البرق الشامي والجزيرة ، توفي سنة ٩٧٥ .

على أنها الأيام قد صرف كلهما عجائب حتى ليس فيها عجائب
دفن بظاهر الطبران ، وهي قصبة طوس ، وقد تقدم الكلام على الطوسي
والغزالى ، في ترجمة أخيه أحمد الزاهد ، والواعظ ، المذكور في حرف المهمزة ،
والطبران بفتح الطاء المهملة ، والباء الموحدة ، وراء مهملة ، وبعد الألف الثانية
نون . وهي إحدى بلدتي طوس كما تقدم في ترجمة أحمد أيضاً .



ذكر كلام الذهبي (١)

٧٤٨ هـ

الشيخ ، الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعيوبه الزمان ، زين الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعى الغزالى ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط . تفقه بيده أولاً ، ثم تحول إلى نيسابور في مراقبة جماعة من الطلبة ، فلازم إمام الحرمين ، فبرع في الفقه في مدة قريبة ، ومهن في الكلام والجدل ، حتى صار عين الناظرين ، وأعاد للطلبة ، وشرع في التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالي ، ول肯ه مظہر للتبرج به .

ثم سار أبو حامد إلى الخيم السلطاني ، فأقبل عليه نظام الملك الوزير ، وسر بوجوده ، ونظر الكبار بحضوره ، فانبهر له ، وشاع أمره ، فولاه النظام تدریس نظامية بغداد ، فقدمها بعد المئتين وأربعمائة ، وسننه نحو الشلايين ، وأخذ في تأليف أصول الفقه ، والكلام ، والحكمة ، وأدخله سيلان ذهنه في مضائق الكلام ، ومنزال الأقدام ، والله سر في خلقه . وعظم جاه الرجل

(١) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد التركاني الدمشقي ولد سنة ٥٧٣ هـ وتوفي سنة ٦٢٨ بدمشق اشتهر بالحديث خاصة . وله تلاميذ كثیر منهم السبكي صاحب الطبقات الشافية . ومؤلفاته عديدة . والكلام مأخوذ من كتابه « سير اعلام النبلاء » مخطوط بدار الكتب المصرية . يحققه الآن الدكتور صلاح الدين المزجج وقد اخرج منه مجلدين حتى الآن .

وازدادت حشمته بحيث إنه في دست أمير وفي رتبة رئيس كبير . فأراه نظره في العلوم ، ومارسته لأفانين الزهدية ، إلى رفض الرئاسة ، والإلابة إلى دار الخلود ، والتأله والأخلاق وإصلاح النفس ، فج من وقته ، وزار بيت المقدس ، وصحب معه الفقيه نصر بن أدهم ، بدمشق وأقام مدة ، وألف كتاب الأحياء ، وكتاب الأربعين ، وكتاب القسطناس ، وكتاب محك النظر ؛ ورافق نفسه وجاهدها ، وطrod شيطان الرعونة ، ولبس زي الأتقياء .

ثم بعد سنوات سار إلى وطنه ، لازماً لسننه ، حافظاً لمعرفته ، مكملاً على العلم . وما زر خفر الملك أحضر أبا حامد ، والتمنى منه أن لا تبقى أنفاسه عقيمة ، وأنجح على الشيخ إلى أن لأن إلى القدو إلى يسابر ، فدرس بنظاميتها ، فذكر هذا وأضعافه عبد الغافر في السياق ، إلى أن قال ولقد زرته مراراً

قلت : ماقمته عبد الغافر ، على أبي حامد في الكيمياء ، فله أمثاله في غضون تواليه ، حتى قال ابن العربي^(١) : شيخنا أبو حامد بلغ الفلاسفة ، وأراد أن يتقىهم مما استطاع .

ومن معجم أبي علي الصيرفي ، تأليف القاضي عياض ، له قال : «والشيخ أبو حامد ، ذو الابناء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، علا في طريقة التصوف ، وتجبر لنصرة مذهبهم ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها موضع ، وساعت به ظنون أمهاته ، والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالغرب ، وفتوى الفقهاء بحرائقها ، وبعد عنها ، فامتثل ذلك . مولده سنة خمسين وأربعين . »

(١) انظر كلام عبد الغافر الفارسي في أول الكتاب .

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن المربي الاندلسي ، رحل إلى المشرق في مستهل شهر ربيع الأول ٤٨٥ هـ . ودخل الشام ، ولقى إبا الوليد الطرطوفي . ثم دخل بغداد وحج موسم سنة ٤٨٩ وعاد إلى بغداد . ثم رجع إلى الاندلس سنة ٤٩٣ وتوّي سنة ٤٩٥ .

قلت مازال العلماء مختلفون ، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده ، وكل منهم
 معذور مأجور ، ومن عارض أو خرق الاجماع مأذور ، والى الله ترجع الأمور .
 ولأبي المظفر يوسف سبط بن الجوزي ، في كتاب رياض الأفهام في مناقب
 أهل البيت ، قال : « ذكر أبو حامد في كتابه سر العالمين وكشف ما في
 الدارين ، فقال في حديث من كنت مولاه ، إن عمر قال لعلي يخ بخ أصبحت
 مولى كل مؤمن ومؤمنة ، قال أبو حامد وهذا تسلیم ورضی » ثم بعد هذا غالب
 عليه الموى حباً للرئاسة ، وعقد البنود ، وأمر الخليفة ونهاها ، فحملهم على
 الخلاف ، فبندوه وراء ظهرهم ، و Ashtonوا به ثناً قليلاً ، فبئس ما يشترون ..
 وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسطيل ، الذي تزعمه الإمامية ^(١) .. وما أدرى
 ماعذر في هذا ؟ والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق ، فان الرجل من بحور
 العلم والله أعلم . هذا إن لم يكن هذا وضع هذا ، وما ذاك بيعيد ، في هذا
 التأليف بلايا لاتطبیب ؟ وقال في أوله : أنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربي
 سراً بالنظمية قال وتوسمت فيه المالك »

قلت : قد أله الرجل في ذم الفلسفه ، كتاب التهافت ، وكشف
 عوارهم ، ووافقهم في مواضع ، ظناً منه أن ذلك حق أو موافق للملة ، ولم
 يكن له علم بالأثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية المعاصرة على العقل ، وجب إليه
 إدمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا ، وهؤلاء عصان وجرب مرد وسم
 قتال ولو لا أن أبو حامد من كبار الأذكياء ، وخيار الملحدين لتلف . فالخذار
 الخدار من هذه الكتب ، واهربوا بدينهكم من شبه الأولئ ، وإلا وقعت في
 الحيرة . فمن رام النجاة والفوز ، فليلزم العبودية ، وليدمن الاستغاثة بالله .

(١) إحدى فرق الشيعة .

«وليته الى مولاه في الثبات على الاسلام ، وأن يتووفي على إيمان الصحابة ،
وسادة التابعين ، والله الموفق ، فيحسن قصد العالم فيغفر له ، وينجو إن شاء الله».

وقال أبو عمرو بن الصلاح ^(١) : «فصل لبيان أشياء مهمة ، أنكرت على أبي
حامد . في توايته أشياء لم يرضاها أهل مذهبة من الشذوذ ، منها قوله في المنطق هو
مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط به لاثقة له بعلوم أصلاً ، فهذا مردود ، إذ كل
صحيح الذهن منطق بالطبع ، وكم من امام رفع بالمنطق رأساً ، فأما كتاب المصنون
به على غير أهله ، فمعاذ الله أن يكون له ؛ شاهدت على نسخة به ، بخط
القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهزوري ، أنه موضوع على الغزالي ،
وأنه مخترع من كتاب مقاصد الفلسفه ، وقد نقضه الرجل بكتاب التهافت» .

وقال أحمد بن صالح الجيلاني في تاريخه : «أبو حامد لقب بالغزالي ، برع في
الفقه ، وكان له ذكاء وفطنة وتصرف ، وقدرة على انشاء الكلام ، وتأليف
المعاني ، ودخل في علوم الأولياء ، الى أن قال ، وغلب عليه استعمال عباراتهم
في كتبه ، واستدعي لتدریس النظمية ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وبقي
إلى أن غلبت عليه الخلوة ، وترك التدریس ، ولبس الشياط الخشنة ، وتقلل
في مطعمه ، الى أن قال «وجاور بالقدس ، وشرع في الاحياء هناك ، أعني
بدمشق ، وحج وزار ، ورجح الى بغداد» وسمع منه كتاب الاحياء ، وغيره
فقد حدث بها إذاً ثم سرد تصانيفه .

ورأيت كتاب الكشف والابنا ، عن كتاب الاحياء ، للمازري ^(٢) ، أوله:

(١) انتوفي سنة ٦٤٣ هـ وله رأي في كتاب المصنون انه ليس لغزالى لأنه يحتوي على
الفول يقدم العالم والكتاب الذي بين ايدينا بهذا العنوان لا يحتوي على شيء من هذا القبيل .

(٢) ابو عبد الله محمد علي المازري الفقيه المالكي الحدث ولد بـ «مازار» من صقلية

توفي سنة ٥٣٦ هـ

« الحمد لله الذي أثار الحق وأدله ، وأبار الباطل وأزاله ، ثم أورد المازري أشياء مما نقده على أبي حامد ، يقول : « ولقد أُعجب من قول مالكية ، يرون مالكاً الإمام ، يهرب من التجديد ، ويحاجب أن يرسم رسماً ، وإن كان فيه أثر ما أو قياس ، تورعاً وتحفظاً من الفتوى فيما يحمل الناس عليه ، ثم يستحسنون من رجل فتاوى مبنها على مala الحقيقة له ، وفيه كثير من الآثار عن النبي ﷺ ». لفقق فيه الثابت بغير الثابت ؟ وكذا ما أورد عن السلف ، لا يمكن ثبوته كله . وأورد من نزاعات الأولياء ونفاثات الأصفياء ما يحمل موقعه لكن مرج في النافع بالضار ، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم ، لا يجور لإطلاقها لشناعتها ، وإن أخذت معانها على ظواهرها ، كانت كالرموز إلى قدر المحدثين ، ولا تصرف معانها إلى الحق ، إلا بتعسف على اللفظ ، مما لا يتکلف العلماء مثله ، إلا في كلام صاحب الشرع ، الذي اضطرت العبرات الدالة على صدقه المانعة من جهله وكذبه ، إلى طلب التأويل . كقوله : إن القلب بين اصبعين من أصابع الرحمن ؟ وأن السعادات على اصبع ؟ وكقوله : لأحرقت سبّحات وجهه . وكقوله : يضحك الله . إلى غير ذلك من الأحاديث الوارد ظاهرها بما أحله العقل . إلى أن قال : « فإذا كانت العصمة غير مقطوع بها في حق الولي ، فلا وجه لاضافة مالا يجوز إطلاقه إليه ، إلا أن يثبت ، وتدعى ضرورة إلى نقله ، فيتأنزل » إلى أن قال : « ألا ترى لو أن مصنفاً أخذ يحكي عن بعض الحشوية مذهبها ، في قدم الصوت والحرف وقدم الورق ، لما حسن به أن يقول قال بعض المحققين : إن القاريء إذا قرأ كتاب الله عاد القاريء في نفسه قدّيماً ، بعد أن كان محدثاً . أو قال بعض الحذاق : إن الله يحل للاحوادث إذا أخذ في حكمة مذاهب الكرامية » .

وقال قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن القرطبي : « إن بعض من يعظ ، ومن كان ينتهي رسم الفقه ، ثم تبراً منه شغفاً بالشرعية الغزالية ، والنحلية الصوفية ، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب ، لكتاب أبي حامد : إمام بدعتهم ، فain هو

(١) بقصد ما ي قوله الحشوية من ان الصوت والحرف والورق كلها قدية في القرآن .

من شنع منا كيره ، ومضاليل أساطيره ، المبaitة للدين . وزعم أن هذا من علم المعاملة ، المفضي إلى علم المكاشفة ، الواقع بهم على سر الربوبية ، الذي لا يسفر عن قناعه ، ولا يفوز باطلاعه ، إلّا من تحظى إليه ثبع ضلالته ، التي رفع لهم أعلامها ، وشرع أحکامها . قال ابو حامد وأدفی التصیب من هذا العلم التصدیق به ، وأقل عقوبته أن لا يرزق المنكر منه شيئاً ، فاعتراض قوله على قوله (الغزالی) : « ولا تشتعل بقراءة قرآن ، ولا بكتاب حديث ، لأن ذلك يقطعه عن الوصول إلى إدخال رأسه في كم جبهة ، والتدثر بكسائه ، فيسمع نداء الحق فهو يقول : ذروا ما كان السلف عليه ، وبادروا بأمركم به» ثم إن هذا العاصي أقذع وسب وكفر ، وأسرف . نموذج بالله من الموى .

وقال ابو حامد ، وصدر الاحرار قبور الأسرار ، ومن أفقى سر الربوبية كفر ، ورأى قتل مثل الخلاج^(١) خيراً من أحياه عشرة ، لا طلاقه ألفاظاً . ونقل عن بعضهم قال : للربوبية سر ، لو ظهر ببطل النبوة ؛ وللنبوة سر ، لو كشف ببطل الأحكام .

قلت : سر العلم قد كُشف لصوفية أشقياء ، فـلـوا النـظـام ، وبـطلـ لـديـهمـ الحـلـالـ وـالـحـرـامـ ، قال ابن حمدين ، ثم قال الغزالی : والسائل بهذا إن لم يرد إبطال النبوة في حق الضعفاء ، فما قال ليس بحق ، فإن الصحيح لا يتناقض ، وإن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعيه .

وقال الغزالی في العارف : فـتـجـلـ لـأـنـوارـ الـحـقـ ، وـتـكـشـفـ لـهـ الـعـلـومـ المـرـمـوـزـةـ المحـجوـبةـ عنـ الـخـلـقـ . فيـعـرـفـ معـنـيـ النـبـوـةـ ، وـجـمـيعـ مـاـوـرـدـتـ بـهـ الـفـاظـ الشـرـيعـةـ ، الـتـيـ نـحـنـ مـنـهـاـ عـلـىـ ظـاهـرـ لـاـ عـلـىـ حـقـيـقـةـ .

وقال عن بعضهم : اذا رأيته في البداية قلت صديقاً ، و اذا رأيته في النهاية قلت زنديقاً . ثم فسره الغزالی فقال : اذاً اسم الزنديق لا يلتصق إلا بمعطل الفرائض لامعطل النوافل .

(١) صاحب مذهب الحلوى .

وقال : وذهب الصوفية الى العلوم الاطهامية دون التعليمية ، فتجلس فارغ القلب ، بجموع المم ، تقول الله الله على الدوام ، فليفرغ قلبه ، ولا يشتعل بتلاوة ، ولا كتب حديث ، قال فإذا بلغ هذا الحد ، التزم الخلوة في بيت مظلم ، وتدثر بكثائة ، فيئذ يسمع نداء الحق : « يأيها المدثر » ، و « يأيها المزمل » .
 قلت : سيد الخلق لاما يسمع « يأيها المدثر » من جبريل عن الله ، وهذا الأحق لم يسمع نداء الحق أبداً ، بل سمع شيطاناً أو سمع شيئاً لا حقيقة ، من طيش دماغه ، والتوفيق في الاعتصام بالسنة والاجماع .

قال ابو بكر الطرطoshi^(١) شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه ، ثم شبكه بمذاهب الفلسفه ، ومعانى رسائل اخوان الصفاء وهم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المجزات حيل وتخاريق .

قال ابن عساكر : حجج ابو حامد وأقام بالشام نحواً من عشر سنين ، وصنف « وأخذ نفسه بالمجاهدة ، وكان مقامه بدمشق في المنارة القرية من الجامع ، فسمع صحيح البخاري من أبي سهيل الحفصي ، وقدم دمشق في سنة تسع وثمانين .

وقال ابن خلكان : بعثه النظام على مدرسته ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وترهد وحج ، وأقام بدمشق مدة بالزاوية الغربية ، ثم انتقل الى بيت المقدس ، وتعبد . ثم قصد مصر وأقام مدة بالاسكندرية ، فقيل عن المضي الى يوسف ابن تاشفين ، سلطان مراكش ، فبلغه نعيه ثم عاد الى طوس ، وصنف البسيط ، وال وسيط ، والوجيز والخلاصة ، والإحياء ، وألف المستصفى في أصول الفقه ، والمنتحل في الجدل ، وتهافت الفلسفه ، ومحك النظر ، ومعيار العالم ، وشرح

(١) ابو بكر محمد بن الوليد الاندلسي الطرطوشى فقيه مالكى رحل الى الشرق عام ٧٦ ودرس على الشانى وغيره . توفي سنة ٥٢٥ هـ

الأسماء الحسني ، ومشكاة الانوار ، والمنقد من الضلال ، وحقيقة القولين ، وأشياء .
 قال ابن النجاشي : ابو حامد امام الفقهاء على الاطلاق ورباني الأمة بالاتفاق ،
 وبجهد زمانه ، وعين أوانه ، برع في المذهب ، والأصول ، والخلاف ، والجدل ،
 والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وفهم كلامهم ، وتصدى للبرد عليهم ، وكان شديد
 المذاكاء ، قوي الادراك ، ذا فطنة ثاقبة ، وغوص في المعاني ، حتى قيل انه ألف
 المنخول ، فرأاه أبو المعالي فقال دفنتي وأنا حي ، فهلأ صبرت أيَّ أَنْ ، كتابك غطى
 على كتابي . » ثم روى ابن النجاشي بسنده ، أنَّ والد أبي حامد كان ينزل الصوف
 ويبيعه في دكانه بطورس ، فأوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديق له صوفي صالح ،
 فعلمها الحلط ، وفي مخالفه لها أبوها ، وتعذر عليها القوت ، فقال للكان أن تلحاج
 إلى المدرسة ، كأنكما طالبين للفقه ، عسى يحصل لكما قوت . ففعلا
 ذلك . قال أبو العباس أحمد الخطبي ، كنت في حلقة الغزالى ، فقال مات أبي
 وخلف لي ولأخي مقداراً يسيرًا ، ففي بحث تعذر علينا القوت ، فصرنا إلى مدرسة
 نطلب الفقه ، ليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلمنا لذلك لالله ،
 فأبى أن يكون إلا لله .

قال أسد المية^(١) : سمعت أبي حامد يقول : هاجرت إلى أبي نصر
 الاسماعيلي^(٢) بحرجان ، فأقمت إلى أن أخذت عنه التعلمية .

قال عبد الله بن علي الأثيري ، سمعت عبد المؤمن بن علي القسي ، سمعت
 أبي عبد الله بن قمرت ، يقول: أبو حامد الغزالى قرع الباب وفتح لنا .

(١) ابو الفتح اسمد بن اي نصر . درس بالنظامية وتوفي سنة ٥٢٧ .

(٢) محمد بن اي بكر احمد . توفي سنة ٤٢٧ هـ . ذكره السبكي في طبقاته الكبرى
 بهذا الاسم ج ٣ ص ٣٧ . ولم يذكر غيره بهذا الاسم واللقب . ولعل الامر اخنط بينه
 وبين اي القاسم الاسماعيلي المتوفي سنة ٤٧٧ هـ انظر السبكي ج ٣ ص ١١٩ .

قال ابن النجاشي : بلغني أن إمام الحرمين قال الغزالى بحر مغرق ، والكيا^(١) أسد مطرق ، والخوافي نار تحرق .

قال أبو بحر العثمانى وغيره سمعنا محمد بن يحيى العبدري المؤدب يقول : رأيت بالأسكندرية سنة خمسة وسبعين ، وكأن الشمس قد طلعت من مغربها ، فعبره لي عابر ، بيده تحدث فيهم ، وبعد أيام وصل الخبر باحراف كتب الغزالى من المرية^(٢) . وفي التوكل من الاحياء مانصه ، وكل ما قسمه الله بين عباده من رزق وأجل وإيمان وكفر ، فكانه عدل محض ، ليس في الامكان أصلاً أحسن ، ولا أئم منه ، ولو كان ، وادخره تعالى مع القدرة ، ولم يفعله لكان بحلاً وظلاماً . قال أبو بكر بن العربي في شرح الأسماء الحسنى : قال شيخنا أبو حامد قوله^{أبا حامداً} عظيمأ ، اتقده عليه العلامة قال : وليس في قدرة الله ، أبدع من هذا العالم ، في الاتقان والحكمة ، ولو كان في القدرة أبدع وأحكم منه ولم يفعله ، لكان ذلك منه قضاء للوجود وذلك محال . ثم قال : والجواب أنه باعد في اعتقاد عموم القدرة ، ونفي النهاية ، عن تقدير المقدورات المتعلقة بها ، ولكن في تفاصيل هذا العالم الخلق لا في سواه . وهذا رأي فاسقى ، قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق ، ونسبت الإتقان إلى الحياة مثلاً ، والوجود إلى السمع والبصر ، حتى لا يبقى في القلوب سبيل إلى الصواب ، وأجمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد ، وقالت عن بكرة أبيها ، إن المقدورات لآخرة لها ، لـ كل مقدر الوجود ، لـ كل حاصل الوجود ، إذ القدرة صالحة ، ثم قال وهذه وهلة لا كفاماً ونزلة لا تمسك فيها ؛ ونحن وإن كنا نقطة من بحره ، فانا لازد عليه إلا بقوله ، قلت كذا فليكن الرد بأدب وسکينة .

(١) هو الكيا الهراسي علي بن محمد درس بالنظامية ببغداد توفي سنة ٥٠٤ هـ . والكيا كلامه فارسية تفيد معنى الشيخ والرئيس .

(٢) المرية مدينة كبيرة من اعمال الاندلس . ياقوت مجمع البلدان ج ٤ ص ١٢٩

وما أخذ عليه أنه قال: إن للقدر سرًا ، هبنا عن إفشاءه . فما يسر للقدر؟
فإن كان مدركًا بالنظر وصل إليه ولابد ، وإن كان مدركًا بالخبر فأثبت
فيه شيء ، وإن كان يدرك بالحال والعرفان فهذه دعوى محضة ، فعلمك عنى
بإفشاءه أن نعمق في القدر ونبحث فيه .

أخبرنا محمد بن عبد الكريم أن حطليباس قرية الصوفي ، أن سعد بن أحمد
الاسفرايني بقراتي ، أن أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن محمد الطوسي قال :
اعلم أن الدين شطران : أحدهما ترك المنهي ، والآخر فعل الطاعات . وترك
المنهي هو الأشد ، والطاعات يقدر عليها كل واحد ، وترك الشهوات لا يقدر
عليها إلا الصديقون . ولذلك قال عَزَّلَهُ ، المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد
من جاهد هواه .

وقال أبو عامر العبدري سمعت أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي ،
يمحلف بالله ، أنه أبصر في نومه ؛ كأنه ينظر في كتب الغزالى رحمه الله ،
فإذا هي كلها تصاوير . قلت : الغزالى إمام كبير ، ومامن شرط العالم
انه لا يخطيء .

وقال محمد بن الوليد الطرطوشى ، في رسالة إلى ابن مظفر : فأما ما ذكرت من
أبي حامد ، فقدر رأيته وكلته فرأيته جليلاً ، من أهل العلم ، واجتمع فيه
العقل والفهم ، ومارس العلوم طول عمره ، وفاق على ذلك معظم زمانه ، ثم
بدأ له العدول عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف ، وهجر
العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس
الشيطان ، ثم شابها آراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء
والتكلمين ، ولقد كاد أن ينسليخ من الدين ، فلما عمل الإحياء عمداً يتكلم في
علوم الأحوال ، ومرأة الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خير بعرفتها ،
فسقط على أم رأسه ، وشحنت كتابه بال الموضوعات .

قلت : أما الإحياء فيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير ،
 تولا ما فيه من آداب ورسوم ، وزهد من طرائق الحكمة ، وبحـر في
 الصوفية ، نسأل الله علـماً نافعاً ، تدرـي ما الـعلم النافـع ؟ هو مـنزل به القرآن
 وفسـره الرسـول ﷺ قـولاً وفعـلاً ، ولم يـأتـنـي عـنهـ . قال عليهـ السلام ، من
 رغـبـ عنـ سـنـتيـ فـلـيـسـ مـنـيـ ، فـعـلـيكـ يـأـنـحـيـ بـتـدـبـرـ كـتـابـ اللهـ ، وـبـادـمـانـ النـظرـ فيـ
 الصـحـيـحـيـنـ ، سـنـنـ النـسـائـيـ ، وـرـيـاضـ النـوـويـ ، وـأـذـكـارـهـ ، قـلـحـ وـتـنـجـعـ .
 وـإـيـاـكـ وـآـرـاءـ عـبـادـ الـفـلـاسـفـةـ ، وـوـظـائـفـ اـهـلـ الـرـيـاضـاتـ ، وـجـوـعـ الـرـهـبـانـ ،
 وـخـطـابـ طـيشـ رـؤـوسـ اـصـحـابـ الـخـلـوـاتـ ، فـكـلـ الـخـيـرـ فيـ مـتـابـعـةـ الـخـيـفـةـ السـمـحةـ ،
 فـوـاغـوـثـاـهـ يـاـ اللـهـ ، اللـهـمـ اـهـدـنـاـ إـلـىـ صـرـاطـكـ الـمـسـتـقـيمـ ، نـعـمـ .

وللامام محمد بن علي المازري الصقلي كلام على الاحياء يدل على إمامته ، يقول :
 وقد تكررت مكتباتكم في استعلام مذهبنا في الكتاب المترجم باحياء علوم الدين ،
 وذكرتم أن آراء الناس منه قد اختلفت ، فطائفة انتصرت وتعصبت لشهاره ،
 وطائفة حذرت منه ونفرت ، وطائفة لكتبه احرقت ، وكاتبني أهل المشرق
 أيضاً يسألوني ، ولم يتقدم لي قراءة هذا الكتاب سوى نبذ منه ، فإن نفس الله
 في العمر ، مددت فيه الانفاس ، وأزلت عن القلوب الالتباس . اعلموا أن هذا
 (يعي الغالي) رأيت تلامذته ، فكل منهم حـكـيـ لـيـ نـوـعـاـًـ مـنـ حـالـهـ ، قـامـ
 مـقـامـ الـعـيـانـ ، فـأـنـاـ أـقـصـرـ عـلـىـ ذـكـرـ حـالـهـ ، وـحـالـ كـتـابـهـ ، وـذـكـرـ جـمـلـ مـذـهـبـ
 الـمـوـحـدـيـنـ وـالـمـتصـوـفـةـ ، وـأـصـحـابـ الـاـشـارـاتـ وـالـفـلـاسـفـةـ ، فـانـ كـتـابـهـ متـرـدـدـ بـينـ
 هـذـهـ الـطـرـائـقـ ، ثـمـ إـنـ المـازـرـيـ أـثـنـىـ عـلـىـ أـبـيـ حـامـدـ فـيـ الـفـقـهـ ، وـقـالـ هـوـ بـالـفـقـهـ أـعـرـفـ
 مـنـهـ بـأـصـولـهـ ، وـأـمـاـ عـلـمـ الـكـلـامـ الـذـيـ هـوـ أـصـوـلـ الدـيـنـ فـإـنـهـ صـنـفـ فـيـهـ وـلـيـسـ
 بـالـمـتـبـحـرـ فـيـهـ . وـلـقـدـ فـطـنـتـ لـعـدـنـ اـسـتـبـحـارـهـ فـيـهـ وـذـلـكـ أـنـ قـرـأـ عـلـومـ الـفـلـاسـفـةـ قـبـلـ
 اـسـتـبـحـارـهـ فـيـ فـنـ الـأـصـوـلـ ، فـأـكـسـبـتـهـ الـفـلـاسـفـةـ جـوـأـةـ عـلـىـ الـمـعـانـيـ ، وـتـسـهـلـاـ لـهـجـوـمـ

على الحقائق ، لأن الفلسفة مع خواطرها ، لا يزعها شرع ، وعرف في صاحب له أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا ^١ ، وهي إحدى وخمسون رسالة ، ألمها من خاص في علم الشرع والقل ، وفي الحكمة ، فمزج بين العالمين . وقد كان رجل يعرف بابن سينا ^٢ ، ملأ الدنيا تصانيف ، أدته قوته في الفلسفة إلى أن حاول رد أصول العقائد إلى علم الفلسفة ، وتلطّف جهده حتى تم له مالم يتم لغيره وقد رأيت جملًا من دواوينه ؛ ووجدت أبا حامد يقول عليه في أكثر ما يشير إليه من علوم الفلسفة . وأما مذاهب الصوفية ، فلا ادرى على من عول فيها ، لكنني رأيت فيما علق بعض أصحابه ، أنه ذكر كتب ابن سينا وما فيها ، وذكر بذلك كتب أبي حيان التوحيدى ^٣ ، وعندي أنه عليه عول في مذهب التصوف . وأخبرت أن أبا حيان ألف ديواناً عظيماً في هذا الفن . وفي الإحياء من الواجهات كثير ، قال : وعادة المتصرين ، إن لا يقولوا قال مالك ، وقال الشافعى ، فيما لم يثبت عندهم ثم قال ويستحسن أشياء ، مبناتها على مala حقيقة له ؛ كقص الأظافر أن يبدأ بالسبابة ، لأن لها الفضل على باقي الأصابع ، لأنها المسبحة . ثم قص ما يليها من الوسطى ، لأنها ناحية اليمين ، ويختم بهما اليمنى . وروي في ذلك أثراً ، فلت هو أثر موضوع . ثم قال : « وقال من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قدّم مات مسماً إجماعاً » ، قال : فمن تساهل في حكاية الإجماع في مثل هذا الذي الأقرب أن يكون الإجماع في خلافه ، فحقيقة أن لا يوثق بماروى . ورأيت له في الجزء الأول يقول : إن في علومه مالا يسوغ أن يوضع في كتاب ، فليت شعرى أحق هو أو

(١) جماعة سياسية دينية ذات نزعات شيعية ابتعادية ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع هجري

(٢) الفيلسوف المرموق المولود سنة ٣٧٠ والمتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

(٣) علي بن محمد فقيه وفيلسوف ومتصرف يمدّه علماء عصره أحد زنادقة الإسلام الثلاثة « الراؤندي وأبي العلاء والتوكدي » ولد سنة .. ولد سنة .. ولم يذكر ياقوت ولا السكري ولا دائرة المعارف الإسلامية تاریخنا لوفاته . قال ياقوت مات وهو .. عاماً .

باطل ، فإن كان باطلاً فصدق ؛ وإن كان حقاً وهو مراده بلاشك ، فلم لا يودع في الكتب ؟ ألموضه ودقته ؟ فإن كان هو فهمه فما المانع أن يفهمه غيره . وقال أبو الفرج بن الجوزي : صنف أبو حامد الاحياء ومלאه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلازها ، وتکلام على الكشف ، وخرج عن قانون الفقه ، وقال إن المراد بالكتوكب والقمر والشمس اللواتي رأهن ابراهيم ، أنوار هي حجب الله عن وجل ، ولم يرد هذه المعرفات . وهذا من جنس كلام الباطنية^(١) . وقد رد ابن الجوزي على أبي حامد في كتاب الإحياء ، وبين خطأه في مجلد سماه كتاب (إعلام الأحياء في الرد على كتاب الإحياء) .

قلت مازال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً . وزد على هذا ولسنا من يندم العالم بالموى والجهل . نعم وللامام كتاب كيمييا السعادة ، وكتاب المعتقد «علم المقد» ، وكتاب إلحاد العوام ، وكتاب الرد على الباطنية ، وكتاب معتقد الأولين ، وكتاب جواهر القرآن ، وكتاب الغاية القصوى ، وكتاب فصائح الباحية ، ومسألة غور الدور ، وغير ذلك .

قال عبد الغافر الفارسي ، توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادي الآخرة ، سنة خمس وخمسين ، وله خمس وخمسون سنة ، ودفن بمقبرة الطبران ، قصبة بلاد طوس ، وقولهم الغزالي والعطاري والخجازي ، نسبة إلى الصناعي بلسان العجم ، بجمع يا النسبة والصيغة .

وللغزالي أخ واعظ مشهور ، وهو أبو الفتوح أحمد^(٢) ، له قبول عظيم في الوعظ ، يزن^(٣) برقة الدين وبالباحثة ، بقي إلى حدود العشرين وخمسين ، وقد ثاب

(١) أحدى الفرق التي استفحلا أمرها في القرنين الخامس والسادس وقد قتلت عددًا من كبار المسلمين على رأسهم نظام الملك وولده فخر الملك انظر مقدمة الكتاب .

(٢) المتوفى سنة ٥٢٠ هـ هكذا وردت في المخطوط .

عن أخيه في تدريس النظامية ببغداد لما حجَّ مدَيْدة ، قرأت بخطِّ التوسيٰ رحمة الله
قال الشيخ تقى الدين بن الصلاح^(١) وقد سئل لم سمي الغزالى بذلك فقال حدثي من
أئق به عن أبي الحرم الماكسى الأديب . حدثنا أبوالبنا محمود الفرضي ، قال ، حدثنا
تاج الإسلام ابن خميس قال لي الغزالى : الناس يقولون لي الغزالى ولست الغزالى
وإنما أنا الغزالى منسوب إلى قرية يقال لها غرَّة^(٢) أو كما قال .

وفي أواخر المنحول لغزالى كلام فج من إمام لا أرى نقله هنا .

ومن عقيدة أبي حامد رحمة الله تعالى أولها: الحمد لله الذي تعرف إلى عباده
بكتابه ، المنزل على لسان نبيه ، بأنه في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ،
صمد لا ضد له ، لم يزل ولا يزال ، منعوتاً بعموت الجلالة ، ولا تمحيط به الجهات ،
ولا تكتمله السموات ، وأنه مستو على العرش ، على الوجه الذي قاله ، وبمعنى الذي
أراده ، منها عن المهاضة والاستقرار ، والتمسكن والخلول والانتقال ، وهو فوق
كل شيء إلى التخوم ، وهو أقرب اليانا من جبل الوريد ، لا يماثل قربه قرب
الأجسام ، كان قبل خلق المكان والزمان ، وهو الآن على ما كان عليه ؟ وأنه بائن
بصفاته من خلقه ، مافي ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، مقدس عن التغير
والانتقال ، لاحله الحوادث ، وأنه مرئي الذات بالابصار في دار القرآن إقامةً للنعم
بالنظر إلى وجهه الكريم . إلى أن قال : ويدرك حركة الذر في الهواء ، لا يخرج
عن مشيئته لفترة ناظر ، ولا فلترة خاطر ، وإن القرآن مقرؤ بالألسنة ، محفوظ في
القلوب ، مكتوب في المصاحف ، وأنه مع ذلك قائم بذات الله ، ولا يقبل
الانفصال بالانتقال إلى القلوب والصحف ، وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكوفي الشيزوري الملقب بابن الصلاح ، فقيه
شافعى توفي سنة ٦٤٣ هـ
(٢) لا يوجد في معجم البلدان ذكر لهذه البلدة غير أنه يذكر أن لطوس حوالي ألف
قرية لهم إحداها .

ولا حرف ، كما ترى ذاته من غير شكل ولا لون . وأنه مفرق بالموت بين الأرواح والأجسام ، ثم يعيدها إليها عند الحشر فيبعث من في القبور . ميزان الأعمال معيار يعبر عنه بالميزان ، وإن كان لا يساوي ميزان الأعمال ، ميزان الجسم الثقيل ؟ كمِيزان الشمس ، وكالمسطرة التي هي ميزان السطور ، وكالعرض ميزان الشعر . قلت بل ميزان الأعمال له كفتان كما جاء في الصحيح ، وهذا المعتقد غالبه صحيح ؟ وفيه مالم أفهمه ، وبعضاً فيه نزاع بين أهل المذاهب ، ويكتفي المسلم في الإيمان ، أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره والبعث بعد الموت ، وأن الله ليس كمثله شيء أصلاً ، وأن ماورد من صفاتة المقدسة حق غير كما جاء ، وأن القرآن كلام الله وتزييله ، وأنه غير مخلوق ، إلى أمثل ذلك مما أجمعـت عليه الأمة ، ولا عبرة بمن شذ عنـهم . فإن اختلـفت الأمة في شيء من مشـكل أصول دينـهم ، لزـمنـنا فيـه الصـمت ، وفـوضـناـهـ إـلـىـ اللهـ ، وـقـلـنـاـ اللهـ وـرـسـولـهـ أـعـلـمـ ، وـوـسـعـنـاـ فـيـهـ السـكـوتـ ، فـرـحـمـ اللهـ الـأـمـامـ أـبـاـ حـامـدـ فـأـيـنـ مـثـلـهـ فـيـ عـلـومـهـ ، وـفـضـائـلـهـ . ولـكـنـ لـاـ نـدـعـيـ عـصـمـةـ مـنـ الغـلطـ وـالـخـطاـ . وـلـاـ تـقـلـيدـ فـيـ الـأـصـولـ .



ذكر كلام أبي إسحاق الياني (١)

٥ ٧٦٨

اخبار سنة ٤٨٨ هـ وفيها قدم الإمام أبو حامد الغزالى دمشق . زاهداً في الدنيا وما كان فيه من رياستها ، والإقبال والقبول من الخليفة وكبار الدولة ، وصنف الإحياء ، وأسمعه بدمشق ، وأقام بها ستين ، ثم حج ورجع إلى وطنه .
قلت : هكذا ذكر بعض المؤرخين ؟ أنه قدم في السنة المذكورة إلى دمشق وذكر بعضهم أن توجهه فيها ، كان إلى بيت المقدس ، لابساً الثياب الخشنة ، وناب عنه أخوه في التدريس . وذكر أنه توجه من القدس إلى دمشق ، فأقام بها مدة ، يذكر المدرس في زاوية الجامع ، في الجانب الغربي منه . ثم ذكر أنه انتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة ، وأشياء أخرى ، سيأتي ذكرها .

قلت : وأما قول الذهبي ، أنه صنف الإحياء ، وأسمعه بدمشق فمخالف لما ذكر الإمام أبو حامد المذكور في كتابه (المقد من الضلال) أنه أقام في الشام قريباً من ستين مختلياً بنفسه ، ولم يذكر إسماعه الإحياء ، ولا تصنيفه إياه ، ولو كان ذكره كاذباً علوماً أخرى ، صنف فيها قبل السفر أيضاً . فتصنيف الإحياء مع

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن اسماعيل .. الياني الياني المتوفي سنة ٧٦٨ هـ والكلام مأخوذ من كتابه « مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة العبر من حوادث الزمان » .

ما اشتمل عليه من العلوم الواسعة ، المحاكية للبحر الذي أمواجه متدافعه ، لا يمكن وضعه في سنتين ولا ثلاثة ولارابعه .

وأما ما ذكره ابن كثير^{١)} وغيرهم من كونه حج قبل سفره إلى الشام ، وأنه أقام في الشام عشر سنين ، وأنه دخل مصر والاسكندرية ، ورام الاجتماع بملك المغرب ، فكل ذلك مخالف لصريح مانص عليه أبو حامد في كتابه المذكور ؛ فإنه ذكر فيه أنه توجه إلى الشام قبل توجهه إلى مكة ، ثم توجه إلى الحج بعد السنتين المذكورتين ، ثم كر راجعاً إلى وطنه وأولاده . وهذا يدل على بطلان القول المذكور وفساده . والعجب كل العجب من قوله أنه قصد سلطان المغرب بقضاء أرب ، وهو من ملاقا السلاطين قد هرب ، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته .

أخبار سنة ٥٠٥ هـ وفيها توفي الإمام ، حجة الإسلام ، زين الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ، الطوسي ، الغراي . أحد الأئمة الأعلام .

اشتغل في مبدأ أمره بطورس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى دروس إمام الحرمين ، أبي المعالي الجوني ، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشاهير ، المشار إليهم في زمن اساتذتهم وصنف في ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبعجه به ، ولم يزل ملازماً له ، إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته .

فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير نظام الملك ، فأكرمه وعظمه وبالغ في الاقبال عليه . وكان بمحضرة الوزير جماعة من الأفضل ، فجرى بيدهم الجدال والمناقشة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، و Ashton اسمه ، وسارت بذلك الركبان .

(١) ابراءيل بن عمر عماد الدين البصري مؤرخ عربي ولد عام ٧٠١ هـ وتوفي سنة

ثم فوض اليه الوزير تدریس مدرسته النظامية بمدينة بغداد. في جاءها ، وبأشعر إلقاء الدرس بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فعجب به أهل العراق ، وارتقت عندهم منزلته . ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج .

وذكر في الشذور ، أنه خرج من بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، متوجهاً إلى بيت المقدس ، متزهداً ، لا يلبس حشناً الشياط ، وتاب عنه آخره في التدریس . ثم ذكره في سنة خمس وخمسين . فلما رجع توجه إلى الشام ، فأقام بمدينة دمشق مدة ، يذكر الدرس في زاوية الجامع الغربي منه ، وانتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة ، ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة . ويقال إنه قصد الركوب في البحر إلى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين ، صاحب مرَاكِش ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى . فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف المذكور ، فصرف عناته عن تلك الناحية ، ثم عاد إلى وطنه بطورس .

قلت : هذه الزيادة في ذكر دخوله مصر والاسكندرية ، وقصده الركوب إلى ملك بلاد المغرب غير صحيحة ، فلم يذكر أبو حامد في كتابه المتقدمن الضلال سوى إقامته ببيت المقدس ودمشق ، ثم حج ورجع إلى بلاده والعجب كل العجب كيف يذكر أنه قصد الملك المذكور لأرب ، وهو من الملوك والمملكة هرب ، فقد كان له في بغداد الجاه الوسيع ، والمقام الرفيع ، فاحتال في الخروج عن ذلك وتفعل بأنه إلى الحج سالك لأداء ما عليه من فروض المناسك ، ثم عدل إلى الشام وأقام بها ما أقام . وكذا علماء التاريخ الحفاظ الأكابر ، ومنهم الإمام الجليل أبو القاسم ابن عساكر ، لم يذكر هذه الزيادة التي تناهى رفع همته عن المقاصد الدينية لعراضه عن الدنيا والخلق بالكلية .

ولما عاد إلى الوطن استغل بتنفسه وآثر الخلوة وصنف الكتب المقيدة في الفنون العديدة .

ومن مشهورات مصنفاته : (الوسيط) و (البسيط) و (الوجيز) و (الخلاصة في الفقه) ومنها (إحياء العلوم) وهو من أنفس الكتب وأجملها ، وله في أصول الفقه (المستصفى) و (المنخول) و (المنتحل في علم الجدل) و (تهافت الفلسفية) و (محك النظر) و (معيار العلم) و (المضنوون به على غير أهله) و (مشكاة الانوار) و (المنقد من الضلال) و (حقيقة القولين) و (كتاب ياقوت التأویل في تفسیر التنزیل) في أربعين مجلداً، و (كتاب اسرار علم الدين) و (كتاب مهاج العابدين) و (الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة) و (كتاب الأنیس في الوحدة) و (كتاب القربة الى الله عن وجہ) و (كتاب اختلاف الأبرار والنجاة من الاشرار) و (كتاب بداية المدایة) و (كتاب جواهر القرآن) و (والأربعين في أصول الدين) و (كتاب المقصد الأئنى في شرح أسماء الله الحسنى) و (كتاب ميزان العمل) و (كتاب القسطاس المستقيم) و (كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة) و (كتاب الدرية إلى مكارم الشريعة) و (كتاب المناوي والغايات) و (كتاب كيماء السعادة) و (كتاب نصيحة الملوك) و (كتاب الاقتصاد في الاعتقاد) و (كتاب شفاء العليل في مسائل التعليم) و (كتاب أساس القياس) و (كتاب المقاصد) و (كتاب إلجام العوام عن علم الكلام) و (كتاب الانتصار) و (كتاب الرسالة المدنية) و (كتاب الرسالة المقدسيه) و (كتاب بيان النظر) و (كتاب المأخذ) و (كتاب القول الجميل في الرد على من غير الإنحصار) و (كتاب المستظاهري) و (كتاب الأمالي) و (كتاب في علم إعداد الوقف وحدوده) و (كتاب مفصل الخلاف) و (جزء في الرد على المنكريين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين) .

وقال مدحه تلميذه الشیخ الامام أبو العباس الاشی المحدث الصوفی صاحب
كتاب النجم والکواكب وغيره :

وأنت الذي علمتنا سنت الرشد
وينقذنا من طاغة المارد المردي
تعاقبها كالدر نظم في العقد
لمن يج من الهملاك المبرح بالبعد
ليسرح بالأرواح في جنة الخلد
ومنها صلاح لقلوب من البعد

أبا حامد أنت المخصوص بالحمد
ووضعت لنا الإحياء يحيى نقوسنا
فرج عبادات وعاداته التي
وثالثها في الملائكة وإنه
ورابعها في المنجيات وإنه
وفيهما ابهاج للجوارح ظاهر
وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم ألم بالعودة إلى نيسابور ، والتدریس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاها للاصوفية ، ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، وزرع أوقاته على وظائف الخير في ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدریس ، إلى أن انتقل إلى ربه.

هذا ما ذكره بعض علماء التاریخ.

قلت : وكان رضي الله تعالى عنه ، رفيع المقام ، شهد له بالصدقية الأولياء الكرام ، وهو الخبر الذي باهى به المصطفى سيد الأنام ، موسى وعيسي عليهما أفضل الصلاة والسلام ، في المنام الذي رويناه بأسنادنا العالى عن الشيخ الإمام القطب أبي حسن الشاذلي والذي انتشر فضله في الآفاق ، وتميز بكثرة التصانيف وحسنها على العلماء ، وبرع في الذكاء ، وحسن العبارة وسوهولتها ، وأيد حتى صار إفحام الفرق عنده أسهل من شرب الماء .

وقال الشيخ الامام الحافظ ، ذو المناقب والماخرين ، السيد الجليل أبو الحسن عبد الغافر الفارسي ؛ محمد بن محمد أبو حامد الغزالى ، حجۃ الاسلام والمسلمین .^(١)

وأقام في تلك الديار قریباً من عشر سنین يطوف ويزور المشاهد المعظمة . قلت هكذا ذكر بعض المؤرخین وقد قدمت في فساد ذلك من البيان ، ما يدل فيه على البطلان . والمعروف الذي نص عليه أبو حامد في بعض كتبه ، أنه أقام في الشام سنتين ؟ نعم ذكروا أنه أقام بعد رجوعه في العزلة والخلوات ، وترك الاشتغال والمخالطات ، قریباً من عشر سنین .

قال الشيخ عبد الغافر : وأخذ في التصانیف المشهورة التي لم يسبق إليها .^(٢)

وقلت مثیراً الى شيء من ذکر ارتفاع مناقبه وأشارت الى الارتفاع ، يبح
علوم كتبه في بعض القصیدات بقولي في هذه الآیات^(٣) :

يحر علوم المستثير الحصول وإحياء علوم الدين طالعه تتنفع
من الغزل لم يغزل كذلك بغازل ابي حامد الغزال غزل مدوق
لذلك كفاء كامل للتأهيل دعى حجۃ الاسلام لاشك أنه
لاسلامنا لي قال ماشت لي قل له في منامي قلت انك حجۃ
وقلت في أخرى

بناك وجيز من بناء قواعد وجمع معان واختصار مطول
وكم من بسيط في جلاء نفائس وإيضاح إيجاز وحل مشكل
لإفحام خصم مثل ماض به اعتل وكم ذي اقتصار موعد رب قاطع

(١) کلام منقول عن عبد الغافر ص ٤١ - ٤٣

(٢) کلام منقول عن عبد الغافر ص ٤٣ - ٤٨

(٣) في الآیات ذکر لمدد من مؤلفات الغزال

بکف هام ذب عن منج المهدی
کمثل القتی الخبر المباھی بفضلہ
به المصطفی باھی لعیسی بن میریم
أعند کا حبر ~~کھدا~~ فقیل لا
رآء الولي الشاذلي في منامه
تصانیفه فاقت بنفع وکثرة
وکم حجۃ الاسلام حاز فضیلۃ
بها جاھل مع حاسد طاعن فذا
وماضر سلمی ذم عالی جمالها
لئن ذمہما جراحتہ ا و نصائر
فما سلمت حسناء عن ذم حاسد
ولم يعقب الا البناء وكان يعرض عليه الاموال فما يقبلها ويعرض عنها، ويكتفي
بالقدر الذي يصون له دینه ، ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال .

قال الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمة الله عليه : سمعت الامام الفقيه
أبا القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم بن أبي هريرة الاسفرايني الصوفي الشافعى
بدمشق ؟
(٢)

و (الفَزْ إِلَيْ) بفتح العين المعجمة ، وتشديد الزاي ، وبعد الألف لام ،
قال ابن خلكان : هذه النسبة الى الفَزْال ، على عادة أهل خوارزم وجرجان فاذهب
ينسبون الى القصَّار القصَّارى ، والى العطَّار العطَّارى ، وقيل أن الزاي مخفضة نسبة
الى غَنَّالة ، وهي قرية من قرى طوس ، قال : وهو خلاف المشهور ولكن هكذا
قال السمعاني في كتاب الأنساب ، والله أعلم بالصواب .

(١) هكذا في الأصل .

منقول من كلام أبا عساكر ص ٤٩ - ٥٨ مختصر بعض الشيء

قلت وفضائل الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه أكثُر
من أَن تُحصَر وأَشَهَرُ مِنْ أَن تُتَهَّرْ .

وقد روينا عن الشيخ الفقيه الإمام العارف بالله رفيع المقام ، الذي اشتهرت
كرامته العظيمة وترادفت ، وقال للشمس يوماً في فوقة ، حتى بلغ المزمل الذي
يريد من مكان بعيد ، أبي الذبيح اسماعيل بن الشيخ الفقيه الإمام ذي المناقب
والكرامات والمعارف ، محمد بن اسماعيل الحضرمي ، قدس الله أرواح الجميع ،
أنه سأله بعض الطاعنين في الإمام أبي حامد الغزالي المذكور رضي الله عنه في قيامه
ارسل بها إليه ، هل يجوز قراءة كتب الغزالي ؟ فقال رضي الله عنه في الجواب :
إنما الله وإنما إليه راجعون ؛ محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الأنبياء ، ومحمد بن ادريس
سيد الأئمة ، ومحمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين . هذا جوابه رحمة الله عليه.

وقد ذكرت في كتاب الارشاد ، أنه سماه سيد المصنفين لأنَّه تميز عن المصنفين
بكثرة المصنفات البديعات وغاص في بحر العلوم ، واستخرج عنها الجوهر النفيسيات
وسحر العقول بحسن العبارة ، وملاحة الأمثلة ، وبداعة الترتيب والتقسيمات ،
والبراعة في الصناعة العجمية ، مع جزالة الألفاظ ، وبلاعنة المعاني الغريبات ، والجمع
بين علوم الشريعة والحقيقة ، والفروع والأصول ، والمقول والمنقول ، والتدقيق
والتحقيق ، والعلم ، وبيان معالم العبادات ، والعادات والمهلكات ، والمنجيات ،
وابراز أسرار المعارف المحجوبات العاليمات ، والارتفاع بكلامه علمًا وعملاً ، لاسيما
أرباب الديانات ، والمدعاة إلى الله سبحانه ، برفض الدنيا والخلق ؛ ومحاربة
الشيطان والنفس بالمجاهدة والرياضات واخافم الفرق ، أيسر عنده من شرب
الماء ، بالبراهين القاطعة ، وتوبيخ علماء السوء ، الراكنين إلى الظلة ،
وما تأثَّرَ إلَى الدُّنيَا الدُّنيَا ، أو إلى المهمم الدنويات ، وغير ذلك مما لا يحصى بما جمع
في تصانيفه من المحسن الجميلات ، والفضائل الجميلات ، مما لم يجمعه مصنف فيما

علمنا ، ولا يجمعه فيها نظن مادامت الارض والسموات ، فهو سيد المصنفين ، عند المصنفين ، وجة الاسلام عند أصل الاستسلام لقبول الحق من الحقين في جميع الاقطار والجهات ، وليس يعني أن تصانيفه أصح فصحيحاً البخاري ومسلم أصح الكتب المصنفات .

وقد صنف الشيخ الفقيه ، الامام الحدث شيخ الاسلام عمدة المستدين ، ووفقاً المسلمين جامع الفضائل ، قطب الدين محمد ابن الشيخ الامام العارف أبي العباس القسطلاني ، رضي الله تعالى عنها كتاباً أنكر فيه على بعض الناس ، وأثنى على الامام أبي حامد الغزالي ، ثناءً حسناً ، وذم انساناً ذمه وقال في الثناء كلامه : ومن نظر في كتب الغزالي ، وكثرة مصنفاته ، وتحقيق مقالاته ، عرف مقداره ، واستحسن آثاره ، واستصغر معظم من سواه ، وعظم قدره فيما أمدته الله به من قوله ، ولا مبالغة بمحاسد قد تعاطى ذمه ، أو معاندٍ^١ بعده الله عن ادراكه معاني كلامه بهمه فهو كما قيل :

قل لمن عن فضائله تعامي تعلم لن تعدم الحسناء ذاما

هذا بعض كلامه بحروفه .

وقال بعض العلماء المالكية ، والمشايخ العارفين الصوفية : الناس من فضلة علوم الغزالي . معناه أنهم يستمدون من علومه ومدده ، ويستعينون بها على ما هم بقصده زاده الله تعالى فضلاً ومجداً ، على رغم الحسد والعدى .

قلت وقد اقتصرت على هذا القدر اليسير ، من محاسنه وفضله الشهير ، محتويأً بذكر شيء مما له من الفضل الباهر ، والجاه والنصيب الوافر ، وشرف الجد والمفاخر ، مما روينا بالأسانيد العالية عن السادة الأكابر ، أعني أمر صلى الله عليه وآله وسلم بتعزيز من أنكر عليه ؛ حتى أن المنكر مamas إلا وأثر السوط على جسمه ظاهر ، بنصر الله عز وجل ونعم الناصر .

ذکر کلام الْبَکِیٰ (۱)

• VV1

حجّة الإسلام ، ومحجة الدين التي يُتوصل بها إلى دار السلام ، جامع
أشتات العلوم ، والمُبَرِّز في المقول منها والمفهوم ، جرت الأمة قبله شاؤوا
ولم تقع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب وراءه مُطالب لأصحاب
النهاية والبداية

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله لامرء مذهب
حتى أحمل من القراءة كلَّ خصم بلغ مبلغ المسها ، وأحمد من نيران البدع
كلَّ ما لا تستطيع أيدي المجلدين مسها .

كان رضي الله عنه ضرغاماً إلا أنَّ الأسود تضاعل بين يديه وتتوارى ، وبدرأً تماماً إلا أنَّ هداه يشرق نهاراً ، وبشراً من الخلق ولكنه الطود العظيم ، وبعض الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم ، جاء الناس إلى رد فرية الفلسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزيل يناضل عن الدين الخفي بحلاؤه مقاله ، ويحمي حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعذبين حد نصـالـه ، حتى أصبح الدين وثيق العرى ،

(١) تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب ابن تقى الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ مؤلفات عدّة اشهرها طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى والكلام هنا من الطبقات الكبرى .

وانكشفت غياب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى . هذا مع ورع طَوَّى عليه ضميره ، وخلْوَةٍ لم يتخذ فيها غير الطاعة سبيلاً . وتجريد تراه به وقد توحد في بحر التوحيد وباهى

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله يعامله في سره وجهه . ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى - دقيق له متصرف من أهل الخير ، وقال له : إنَّ لي لتأسفاً عظيمًا على تعلم الخط ، وأشتري استدراك ما فاتني في ولدي هذين ، فعلمَهما ولا عليك أن تنفد في ذلك جميع ما خلفه لهما . فلما مات أقبل الصوفي على تعليمها إلى أن في ذلك النذر اليسير الذي كان خلفه لها أبوها ، وتعذر على الصوفي القيام بقوتها ، فقال لها : « اعلماني قد أتفقت على كل ما كان لكما ، وأنار جل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجاج إلى مدرسة ، فإنكم من طلبة العلم ، فيحصل لكم قوت يعينكم على وقتكم » . ففعل ذلك ؛ وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتها . وكان الغزالي يحكى هذا ، ويقول : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » .

ويحكي أنَّ أباه كان فقيراً صالحاً ، لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف ، ويطوف على المتقدمة ، ويجالسهم ، ويتوفر على خدمتهم ، ويجد في الإحسان إليهم ، والنفقة بما يكتنه عليهم ، وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى ، وتصرع ، ويسأله أن يرزقه ابنًا ، ويجعله فقيها ، ويحضر محالس الوعظ . فإذا طاب وقته بكى وسائل الله أن يرزقه ابنًا واعظًا ، فاستجاب الله دعوته ، أما أبو حامد فكان أفقهه أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وفارس

ميدانه ، كلمته شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقه المعادي والمخالف . وأما أحمد فكان واعظاً تلين الصخور عند سماع تحذيره ، وترعد فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره .

مبدأ طلب حججة الإسلام العلم : قرأ في صباح طرفاً من الفقه يبلده على أحمد بن محمد الراذكاني ، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، وعلق عنه التعليقة ، ثم رجع إلى طوس .

قال الإمام أسد الميرني : فسمعته يقول : قطعت علينا الطريق وأخذ الميارون جميع ما معى ومضوا ، فتبعتهم ، فالتقت إلي مقدمهم وقال ارجع ويحلك وإلا هلكت ، فقلت له أأساك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي شيء تنتفعون به ، فقال لي وما هي تعليقتك ، فقلت : كتب في تلك الخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة عاهها ، فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجزدت من معرفتها وبقيت بلا علم ، ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى الخلاة . قال الغزالى : هذا مستنبط أنطقه الله ليرشدني به في أمري .

فلا وافيت طوس أقبلت على الاستغفال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته ، وصرت بحثيث لو قطع علي الطريق لم أتجبره من عامي . وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضاً الوزير نظام الملك ، كما هو مذكور في ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى .

ثم إن الغزالى قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين ، وجدد واجتهاد حتى برع في الذهب ، والخلاف ، والجدل ، والأصلين ، والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويمهم ، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتاباً أحسنَ تأليفها ، وأجاد في وصفها وترصيفها ، كذا نقل النقلة . وأنا لم أر له

مصنفاً في أصول الدين بعد شدة الفحص إلا أن يكون قواعد العقائد وعوائده صغرى ، وأما كتاب مستقل على قاعدة المتكلمين فلم أره ، وسأعقد فصلاً لأسماء ما وقفت عليه من تصانيفه .

وكان رضي الله عنه شديد الذكاء ، سديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الإدراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور ، غواصاً على العاني الدقيقة ، جَبَلَ علمِ مناظر مُحاججاً . وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالى بحر مدقق ، والكيا أسد محرق ، والخوافى نار تحرق ، ويقال إن الإمام كان بالآخرة يتبعض منه في الباطن ، وإن كان يُظْهِر التبجح به في الظاهر .

ثم لما مات إمام الحرمين خرج الغزالى إلى «العسكر» قاصداً الوزير نظام الملك إذ كان في مجلسه جمع أهل العلم وملادهم ، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه ، وفهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتجليل ، وولاه تدریس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه إليها .

فقدم بغداد في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرّس بالنظامية ، وأعجب أخلق حسن كلامه ، وكمال فضله وفصاحة لسانه ، ونكتته الدقيقة وإشاراته اللطيفة ، وأحبوه . وأقام على تدریس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة ، عظيم الجاه زائد الحشمة ، علي الرتبة مسموع الكلمة ، مشهور الاسم تضرب به الأمثال ، وتشد إليه الرحال ، إلى أن شرف نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه ، وترك كل ذلك وراء ظهره ، وقصد بيت الله الحرام .

فخرج إلى الحج في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، واستناب أخاه في التدریس ، ودخل دمشق في سنة تسعة وثمانين ، فلبث فيها يوميات يسيرة على قدم القراء ، ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة ، ثم عاد إلى دمشق

واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، وبها كانت إقامته ، على ما ذكر الحافظ ابن عساكر فيها نقله عنه الذهبي ولم أجده في كلامه ..

وكان الغزالي يُكتَر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي^(١) بالجامع الأموي ، المعروفة اليوم بالغالية نسبة إليه وكانت تعرف قبله بالشيخ نصر المقدسي . قال الحافظ ابن عساكر : أقام الغزالي بالشام نحواً من عشر سنين . كذا نقل شيخنا الذهبي ولم أجده ذلك في كلام ابن عساكر لا في تاريخ الشام ..

ولا في التبيين^(٢) ..

ويحكي عنه حكايات منها :

أنه قصد الاجتماع بالشيخ نصر ، وأنه لم يدخل إلى دمشق إلا يوم وفاته ، فصادف أنه دخل إلى الجامع وهو لا يلبس زمي الفقراء فاتفق جلوسه في الزاوية المشار إليها ، وبعد هنيئة أتى جماعة من طلبة العلم وشاركوه في العلوم ، بعد أن تأملوه ونظروا إليه مليأ ، فوجدوه بحنّ لا ينزف فقال لهم : ما فعل الشيخ نصر المقدسي قالوا توفي ، وهذا مجئنا من مدفنه ؟ وكان لما حضرته الوفاة سألناه من يخلفك في حلقاتك فقال : إذا فرغتم من دفي فمودعا إلى الزاوية تجدون شخصاً أعمجياً ، ووصفك لنا ؟ أقروه من السلام وهو خليفتي . وهذه الحكاية لم تثبت عندي ؟ ووفاة الشيخ نصر سنة تسعين وأربعين . وإن صحت فلم يدخل ذلك عند عوده إلى دمشق من القدس ، وإنما فقد كان اجتماعه به ممكناً لما دخل دمشق سنة تسع وثمانين قبل وفاة نصر بسنة .. وصرح شيخنا الذهبي بأنَّ الغزالي جالس نصراً . قلت : والذى أوصى به نصر المقدسي أن يخلفه بعده ، هو نصر الله المصيحي تلميذه ..

(١) نصر بن ابراهيم بن نصر ، دخل دمشق وأقام بها تسع سنين على سلوك الرهد وتوفي في سنة ٤٩٠ هـ ..

(٢) ذكر هذا الذهبي عن ابن عساكر وعبد الغفار ..

ومنها أنه لما دخلها على زي القراء ، جلس على باب الخانقاه السُّمِيمَيَّةِ ساطية ، إلى أن أذن له فقير مجهول لا يعرف ، وابتداً بكبس الميضات التي للخانقاه وخدمتها ؛ واتفق أن جلس يوماً في صحن الجامع الأموي وجماعة من المفتين يتمشون في الصحن ، وإذا بقروي أتاه مستفتيًّا ولم يردوا عليه جواباً والغزالى يتأمل ؛ فلما رأى الغزالى أنه لا أحد عنده جوابه ويعز عليه عدم إرشاده دعاه وأجابه ؛ فأخذ القروي يهزأ به ، ويقول : إن كان المفتتون ما أجابوني ، وهذا فقير عامي كيف يحييني ؟ وأولئك المفتون ينظرونـه ؛ فلما فرغ من كلامه معه دعوا القروي ، وسألوه : ما الذي حدثـك به هذا العامي ؟ فشرح لهم الحال . فجاؤوا إليه ، وترفوا به ، واحتاطوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلساً ، فوعدهم إلى ثاني يوم ؛ وسافر من ليلته رضي الله عنه .

ومنها أنه صادف دخوله يوماً المدرسة الأمينية^(١) ، فوجد المدرس يقول :

« قال الغزالى » وهو يدرس من كلامه ، فخشى الغزالى على نفسه العجب ، ففارق دمشق ، وأخذ يجول في البلاد ، فدخل منها إلى مصر وتوجه منها إلى الإسكندرية ، فأقام بها مدة . وقيل إنه عنـم على الغـزي إلى السلطان يوسف بن تاشفين سلطـان المغرب لما بلـغـه من عـدـله فـبلغـه موـته . واستمر يجـولـ فيـ الـبـلـادـ ، ويزورـ المشـاهـدـ ، ويـطـوفـ علىـ التـشـرـبـ وـالـمـسـاجـدـ ، ويـأـوـيـ الفـقـارـ ، وـيـرـوضـ نفسهـ وـيـجـاهـدـهاـ جـهـادـاـلـأـبـرـارـ ، ويـكـافـهـ مشـاقـ العـبـادـاتـ وـيـلوـهـاـ بـأـنـوـاعـ الـقـرـبـ وـالـطـاعـاتـ ، إـلـىـ أـنـ صـارـ قـطـبـ الـوـجـودـ ، وـالـبـرـكـةـ الـعـلـامـةـ لـكـلـ مـوـجـودـ ، وـالـطـرـيقـ الـمـوـصـلـ إـلـىـ رـضـاـ الـرـحـمـنـ ، وـالـسـبـيلـ الـمـنـصـوبـ إـلـىـ مـرـكـزـ الـإـيـانـ . ثم رـجـعـ إـلـىـ بـعـدـادـ وـعـقـدـ بـهـاـ مـجـلـسـ الـوعـظـ ، وـتـكـلـمـ عـلـىـ لـسانـ أـهـلـ الـحـقـيـقـةـ، وـحـدـثـ بـكـتـابـ الـإـحـيـاءـ ..

قال ابن النجـارـ وـمـ يـكـنـ لـهـ اـسـتـاذـ ، وـلـاـ طـلـبـ شـيـئـاـ مـنـ الـحـدـيـثـ ، لـمـ أـرـ لـهـ إـلـا

(١) تـوـجـدـ حـالـيـاـ مـدـرـسـةـ فـيـ سـوقـ الـحـرـيرـ بـدـمـشـقـ قـرـبـ الـجـامـعـ الـأـمـوـيـ بـهـذـاـ الـاسـمـ .

جديشاً واحداً سألي ذكره في هذا الكتاب - يعني تاريخه - قلت : ولم أره ذكر هذا الحديث بعد ذلك .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بحديث من حديثه سند ذكره ، وذكر الحافظ ابن عساكر أنه سمع صحيح البخاري من أبي سهل محمد بن عبيد الله الحفصي . وذكر عبد الغافر : ثم عاد الغزالي إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ، وكل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق ثم رجع إلى مدينة طوس ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخلقواه للصوفية ، وزرع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومحالسة أرباب القلوب ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه ، طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجم السماء ، لا يكره إلا حسد أو زنديق ، ولا يسومه بسوء إلا جائز عن سوء الطريق ، ينشده لسان حاله :

وإن ينلي من شرهم غرق فالدر أحسن إشراقاً من الظلم
وإن رأوا لحسن فضلي حق قيمته فالدر در وإن لم يُشرِّر بالقيم

وكانت وفاته قدس الله روحه بطوس في يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين . ومشهدتها بها يزار بمقبرة الطبران . قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات . قال أحمد أخوه الإمام الغزالي لما كان يوم الاثنين وقت الصبح ، توضأ أخي أبو حامد وصلى ، وقال عليٌّ بالكفن ، فأخذته وبقيت ووضعه على عينيه ، وقال : سمعاً وطاعة للدخول على الملك . ثم مدد رجليه ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار ؟ قدس الله روحه .

فهذه ترجمة مختصرة يقعن بها طالب الاختصار ؟ وإذا أتيت إلا البسط في شرح حال هذا النجم الذي تشرف الأوراق بذلك ، ويعقب الوجود برياه ، فنقول : ومن كلام أهل عصره فيه ، قد قدمنا كلام شيخه إمام الحرمين قوله :

« الغزالي بحر مغدق »

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي : « سمعت الفقهاء يقولون : كان الجوني - امام الحرمين - يقول في تلامذته اذا تنازروا : التحقيق لاخواني ، والحدسات لغزالى ، والبيان للكيا .

وقال تلميذه الإمام محمد بن يحيى : الغزالى لا يرف فضله الا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله . قلتُ : يُعجبني هذا الكلام ، فانَّ الذي يجب أن يطلع على من هو أعلى منه في العلم ، يحتاج الى العقل والفهم ، فالعقل يميز وبالفهم يقضي . ولما كان علم الغزالى في الغاية القصوى ، احتاج من يريد الاطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل . وأقول : لا بد مع تام العقل من مدافأة مرتبته في العلم لمرتبة الآخر ، وحينئذ لا يعرف أحد من جاء بعد الغزالى قدر الغزالى ولا مقدار علم الغزالى ، إذ لم يحيىء بعده مثله . ثم المداني له اغا يعرف قدره بقدر ما عنده لا بقدر الغزالى في نفسه . سمعت الشيخ الإمام يقول لا يعرف قدر الشخص في العلم الا من سواه في رتبته وحالته مع ذلك . قال : وإنما يعرف قدره بمقدار ما أوتيه هو . وكان يقول لنا : لا أحد من الأصحاب يعرف قدر الشافعى كما يعرفه المزنى ^(١) ، قال وإنما يعرف المزنى من قدر الشافعى بقدر قوى المزنى والزائد عليها من قوى الشافعى لم يدر به المزنى ؛ وكان يقول لنا أيضاً لا يقدر أحد النبي ﷺ حق قدره الا الله تعالى ، وإنما يعرف كل واحد من مقداره بقدر ما عنده هو . قال فأعرّف الأمة بقدره ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنَّه أفضل الأمة ؛ قال وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ما تصل اليه قوى أبو بكر وثم أمور يقصر عنها قواه لم يحط بها عالمه ومحيط بها علم الله .

ذكر كلام عبد الغافر الفارسي : وأنا أرى أن أسوقة بكهاله على نصه حرفاً حرفاً ، فإنَّ عبد الغافر ثقةٌ معاصرٌ ؛ وقد تحزب الحاكمون

(١) أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى صاحب الإمام الشافعى . له مؤلفات عديدة .

لكلامه حزين : فمن ناقلٍ لبعض المادح ، وحالٍ لمجتمع ما أورده مما عيب على حججة الاسلام ، وذلك صنيع من يتعصب على حججة الاسلام وهو شيخنا الذهبي، فإنه ذكر بعض المادح تقلاً يعجز في اللفظ محكيًا بالمعنى غير مطابق في الأكثـر، ولما انتهى إلى ما ذكره عبد الغافر مما عيب عليه استوفاه ثم زاد ووسع وبسط ورـشـحـ ، ومن ناقـلـ نـقـلـ المـادـحـ سـاـكـتـاـ عنـ ذـكـرـ ماـ عـيـبـ بهـ وـهـ الـحـافـظـ أبو القاسم ابن عساـكـرـ ، وسـأـبـحـثـ عـنـ سـبـبـ فعلـهـ ذـكـرـ ، وأـمـاـ أـنـاـ فـأـوـرـدـ جـمـيـعـهـ ثمـ أـتـكـلـمـ عـلـيـهـ وـأـسـأـلـ اللهـ التـوـفـيقـ وـالـجـمـيـةـ منـ المـيلـ
• • • • •
(١)

انتهى كلام عبد الغافر ، وقد ساقه ابن عساـكـرـ من أوله إلى قوله : « وما كان يعتـرضـ بهـ عـلـيـهـ » وـتـرـكـ الـبـاـقـيـ . فعل ذلك في تاريخ الشام ، وفي كتاب التبيين .

فإن قلتَ : هل ذلك من الحافظ تعصب له ، كما أن ما فعلـهـ الـذـهـبـيـ تعصب عليه ؟

قلت : يحتمل أن يكون الأمر كذلك ، ويحتمل أن يكون لكونه لم ير اشاعة ذلك عن مثل هذا الـإـمامـ ، مع القطع بأنه غير قادر فيه ، وأن الـذـهـبـيـ فاته ذكر ذلك وضمـ اليـهـ وـسـأـقـفـكـ عـلـيـهـ وـسـأـتـكـلـمـ عـلـىـ ماـ عـيـبـ بهـ هـذـاـ الـإـمامـ ، بعد نجـازـ الفـرـضـ منـ ذـكـرـ ماـ أـنـاـ بـصـدـدـهـ . ومنـ كـلـامـ الـمـتـرـجـمـيـنـ لـحجـجـ الـإـسـلـامـ - رـحـمـهـ اللهـ - وـأـكـثـرـهـ اـجـتـرـأـ بـكـلـامـ عبدـ الغـافـرـ .

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساـكـرـ : كانـ إـمامـاـ فيـ عـلـمـ الـفـقـهـ مـذـهـبـاـ وـخـلـافـاـ، وـفيـ أـصـولـ الـدـيـانـاتـ ، وـسـمعـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ منـ أـبـيـ سـهـلـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ الـحـفـصـيـ ، وـوـليـ الـتـدـرـيـسـ بـالـمـدـرـسـةـ الـنـظـامـيـةـ بـيـغـدـادـ ، ثـمـ خـرـجـ إـلـىـ الشـامـ زـائـرـاـ

(١) انظر كلام عبد الغافر ص ٤١-٤٨

بيت المقدس ، فقدم دمشق في سنة تسعة وثمانين واربعمائة ، وأقام بها مدة وبلغني أنه حنف بها بعض مصنفاته ثم رجع إلى بغداد ومضى إلى خراسان ، ودرس مدة بطوس ، ثم ترك التدريس والمشاهدة ، واشتغل بالعبادة .

وقال الحافظ أبو سعد ابن السمعاني فيه : من لم تر العيون مثله ، لساناً ، وبياناً ، ونطقاً ، وخطراً ، وذكاء ، وطبعاً ، ثم اندفع في نحو ما ذكره عبد الغافر من المادح ، ولم يتعرض لذكر شيء من الفصل الأخير ، وذكر أنه استدعى بأبي الفتيان ، عمر بن أبي الحسن الرواسي ، الحافظ الطوسي وأكرمه . وسمع عليه صحيحي البخاري ومسلم . قال : وما أظن أنه حدث شيء وإن حدث فيسير لأن روایة الحديث ما انتشرت عنه . انتهى .

وقد أوجب لي عدم ذكره شيء من الفصل الأخير الذي ذكره عبد الغافر ، وكذلك عدم ذكر ابن عساكر له مع ترك ابن عساكر دائماً حيث أمكنه عن الغرض ، ونقله أبداً ماله وما عليه ومع تعرضه لما ذكره عبد الغافر في الفصل الأخير لسماع الفزالي ماسمه ، واقتصره على أنه استدعى الرواسي لسماع الصحيحين ، مع كون هذا الفصل لم يذكره عبد الغافر ، إلا بعد نجاح الترجمة وذكر الوفاة ، وليس ذلك بمعتاد ، والمعتاد ختم التراجم بالوفاة ، وموضع هذا الفصل أثناء الترجمة ، كل ذلك أظن أنه اختلف على عبد الغافر ، ودس في كتابه . فالله أعلم بذلك . على أنه ليس فيه كبير أمر كما سنبحث عنه .

وقال ابن النجاشي : إمام الفقهاء على الإطلاق ، ورباني الأمة بالاتفاق ، وبمحمد زمانه ، وعين وقته وأوانه ، ومن شاع ذكره في البلاد ، وأشتهر فضله بين العباد ، وانفقت الطوائف على تمجيله وتعظيمه ، وتقديره وتقديره ، وخافه الخالفون ، وانته بمحاججه وأدله المناظرون ، وظهرت بتنقيحاته فضائح المبتدةعة والمخالفين ، وقام بنصر السنة وإظهار الدين ، وسارت مصنفاته

في الدنيا ، مسيرة الشمس في الہبحة والجال ، وشهد له المخالف والموافق بالتقدم والكمال . انتهى .

وفي كلام المترجمين كثرة فلا ذيل . فيما ذكرنا مقتني وبلغ .

ذكر بقايا من ترجمته ورضي الله عنه :

قال ابن السمعاني : قرأت في كتاب كتبه الغزالى ، الى أبي حامد بن أحمد بن سلامة بالموصل ، فقال في خلال فصوله : أما الوعظ ، فلست أرى نفسي أهلاً له ، لأن الوعظ زكاة ، نصابه الاتعاظ ، فمن لا نصاب له ، كيف يخرج الزكاة ؟ وفائد الشوب كيف يستتر به غيره ؟ ومتى يستقيم الطفل ، والعود أتعوج ؟ وقد أوحى الله الى عيسى عليه السلام : عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستحي مني .

وقال أيضاً : سمعت أبا سعيد محمد بن أسعد بن محمد الخليل النوqاني عروضاً كثيرة في دارنا ، يقول حضرت درس الإمام أبي حامد الغزالى لكتاب إحياء علوم الدين فأنشد :

وحبب أوطان الرجال إليهم مأرب قضاهما الفؤاد هنالك
إذا ذكرروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
قال فبكى وأبكى الحاضرين .

وقال أيضاً سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن علي القرى مذكرة عروضاً يقول دخلت على الإمام الغزالى مودعاً ، فقال لي احمل هذا الكتاب الى المعين الثابت أبي القاسم البهقى ، ثم قال لي وفيه شكالية على العزيز المتولى للأوقاف بطوس ، وكان ابن أخي المعين ، فقللت له كفت بهرة عند عميه المعين ، وكان العهد الطوسي ، جاء بمحضر فيه الفتاء على العزيز ، وعليه خطاك ، وكان عميه قد

طرده و هجره ، فلما رأى شكرك و ثناءك عليه قربه و رضيه ، فقال الإمام الغزالى
سلم الكتاب إلى المعين و أقرأ عليه هذا البيت وأنشد :

ولم أر ظلماً مثل ظلم ينانـا يسـاء إلينـا ثم نومـي بالـشكـر

وقال أبو عبد الله ، محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدري ، المؤذن : رأيت
بإسكندرية في سنة خمسين ، في أحد شهر المحرم أو صفر ، فيما يرى النائم ،
كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبر ذلك بعض العبرين يندعه تحدث فيهم ،
فبعد أيام وصلت المراكب ، بإحراق كتب الإمام أبي حامد الغزالى بالمرية .

وعن الإمام ، فخر الدين ، أبي بكر الشــاثــي^(١) ، لما ولــى نظام الملك
أبا حامــد درــس النــاظــامــيــة بــيــغــدــاد ، وــقــدــمــ إــلــيــهــا فــي ســنــة أــرــبــعــ وــثــانــيــنــ وــأــرــبــعــاهــةــ ،
اجــتــمــعــ عــلــيــهــ الــفــقــهــاءــ ، وــقــالــوــا لــهــ : قــدــعــلــمــ ســيــدــنــا أــنــ العــادــةــ أــنــ مــنــ درــســ بــهــذــهــ
الــبــقــعــةــ عــمــلــ دــعــوــةــ لــلــفــقــهــاءــ ، وــيــخــضــرــهــ ســمــاعــاًــ ، وــزــيــدــ أــنــ تــكــوــنــ دــعــوــتــكــ
بــرــتــبــتــكــ فــيــ الــعــلــمــ ، فــقــالــ الغــزالــيــ : ســمــعاًــ وــطــاعــةــ ، لــكــنــ عــلــىــ أــحــدــ أــمــرــيــنــ ، إــمــاــ أــنــ
يــكــوــنــ التــقــدــيرــ إــلــيــكــ وــالــتــعــيــنــ لــيــ ، أــوــ بــالــعــكــســ . فــقــالــواــ : بــلــ التــقــدــيرــ إــلــيــكــ
وــالــتــعــيــنــ لــنــاــ ، فــنــيــدــ الدــعــوــةــ الــيــوــمــ ، فــقــالــ لــهــمــ فــالــتــقــدــيرــ حــيــئــنــدــ مــنــيــ عــلــىــ حــســبــ
ــمــاــ يــكــنــيــ ، وــهــوــ خــبــزــ وــخــلــ وــبــقــلــ . فــقــالــواــ : لــاــ وــالــلــهــ بــلــ التــعــيــنــ لــكــ وــالــتــقــدــيرــ
ــلــنــاــ ، وــزــيــدــ أــنــ يــكــوــنــ فــيــ هــذــهــ الدــعــوــةــ مــنــ الدــجــاجــ كــذــاــ ، وــمــنــ الــحــلوــ كــذــاــ ،
ــفــقــالــ ســمــعاًــ وــطــاعــةــ وــالــتــعــيــنــ بــعــدــ ســتــيــنــ ؟ــ فــقــالــواــ قــدــ عــجــزــنــاــ ، وــســلــمــنــاــ الــكــلــ إــلــيــكــ ،
ــلــعــمــنــاــ أــنــاــ إــنــ جــرــيــنــاــ مــعــكــ عــلــ قــلــعــةــ النــظــرــ ، حــلــتــ يــنــاــ وــبــيــنــ الــظــفــرــ مــنــ هــذــهــ
ــالــدــعــوــةــ بــقــضــاءــ الــوــطــرــ .

وــكــانــ فــيــ زــمــانــنــاــ شــخــصــ يــكــرــهــ الغــزالــيــ ، يــذــمــهــ وــيــســتــعــيــهــ فــيــ الــدــيــارــ الــمــصــرــيــةــ ،

(١) محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشــاثــي ولــدــ ســنــةــ ٩٩ــ وــتــوــيــ ســنــةــ ٥٧٥ــ هــ .

فرأى النبي ﷺ في المنام ، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهم بجانبه ، والغزالى جالس بين يديه ، وهو يقول : يا رسول الله هذا يتكلم في ، وأن النبي ﷺ قال : هاتوا السياط ، وأمر به فصر به لأجل الغزالى . وقام هذا الرجل من النوم ، وأثر السياط على ظهره ولم يزل ، وكان يكى ويحكى للناس . وسنحكي منام أبي الحسن بن حرزهم المغربي ، المتعلق بكتاب الإحياء ، وهو تظير هذا .

وحكى لي بعض الفقهاء أهل الخير بالديار المصرية ، أن شخصاً تكلم في الغزالى في درس الشافعية ، وسبه ، فحمل هذا الحاكمى من ذلك هماً مُفرطاً . وبات تلك الليلة ، فرأى الغزالى في النوم ، فذكر له ما وجد من ذلك ، فقال لا تحمل هماً ، غداً يموت . فلما أصبح توجه إلى درس الشافعية ، فوجد ذلك الفقيه قد حضر طيباً ، في عافية ثم خرج من الدرس ، فلم يصل إلى بيته ، إلا وقد وقع من على الداية ، ودخل بيته في حال التلف ، وتوفي آخر ذلك النهار .

ومن يعد من كرامات الغزالى أيضاً ، أن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ، الملقب بأمير المسلمين ، وكان أميراً عادلاً ، نزهاً فاضلاً ، عارفاً بذهب مالك ، حمل إليه لما دخلت مصنفات الغزالى إلى المغرب ، أنها مشتملة على الفلسفة الحسنة ، وكان المذكور يكره هذه العلوم . فأمر بإحرق كتب الغزالى ، وتوعد بالقتل من وجد عنده شيء منها ؛ فاحتلت حالة ، وظهرت في بلاده مئاً كثيرة ، وقويت عليه الجند ، وعلم من نفسه العجز ، بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطاناً يقوى على أمرهم ، وقوى عليه عبد المؤمن بن علي ، ولم يزل من حين فعله بكتب الغزالى ما فعل ، في عكس ونکد إلى أن توفي .

ومن الرواية عن حججة الاسلام سقى الله عهده :

قرأت على أبي عبد الله محمد ، بن أحمد الحافظ ، في سنة ثلاط وأربعين. وسبعيناً ، أخبرنا الحافظ أبو محمد الدمياطي ، عن الحافظ عبد العظيم المنذري ، أنيناً الشيخ أبو منصور فتح بن خلف السعدي . أخبرنا الإمام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي ، أخبرنا محيي الدين محمد بن يحيى الفقيه ، أخبرنا حججة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . حدثنا الشيخ محمد بن يحيى بن محمد الشجاعي الروزنبي بروزن في داره قراءة عليه . حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المقربي . حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن حميد العباس بن حمزة . حدثنا أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عامر الطائي بالبصرة . حدثنا أبي ، في سنة ستين ومائتين . حدثني علي بن موسى الرضا ، في سنة أربع وتسعين ومائة . حدثني أبي موسى بن جعفر . حدثني أبي جعفر بن محمد . حدثي أبي محمد بن علي . حدثي أبي علي ، بن الحسين . حدثي أبي الحسين ، بن علي . حدثي أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يظهر قوم لا خلاق لهم في الدين ، شابهم فاسق ، وشيخهم مارق ، وصبيهم غار . الامر بالمعروف والنهاي عن المنكر فيما ينهم 'مستضعف ، والفاقد والمنافق فيما ينهم مُشرّف ، إن كنت غنياً وقروك ، وإن كنت فقيراً حقرولك . هازون لازون ، يشون بالنمية ، ويدسون بالخديعة ، أولئك فراش نار .. وذباب طاع ، وعند ذلك يولهم الله امراء ظلمة ، ووزراء خونة ، ورفقاء غشمة ، وقع عند ذلك جراداً شاماً ، وغلاء متلماً ، ورخصاً مجحفاً . ويتتابع البلاء كما يتتابع الخرز من الخيط اذا انقطع ، هذا حديث ضعيف .

أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري ، إذناً خاصاً عن أبي الفضل احمد بن هبة الله بن عساكر ، عن أبي المظفر عبد الرحيم ، قال : أخبرنا والذي الحافظ أبو

سعد عبد الرحيم بن محمد بن منصور . أنشدنا أبو سعد محمد بن أبي العباس الخليلي ،
إملاء بنو قان في الجامع ، أنشدنا الإمام أبو حامد الغزالي :

أَنَّ يَنْسَالْ امْرُؤَ يَسِيِّ على ثَقَةٍ
فَالْعَرْضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يَدْنَسُهُ
إِنَّ الْفَنَاعَةَ مِنْ يَخْلُلُ بِسَاحِتِهِ
أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ

كتب إلى أحمد بن أبي طالب المسند عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود عن أبي
عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الزاهدي ، قال : أنشدني أبو محمد عبد الله الملك بن
مويه العبدري ، قال أنشدني أبو بكر العربي ، قال أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه :

وَوْجُودِيِّ فِي الْمَوْىِ عَدْمِيِّ
وَعَذَابِ يَرْتَضِوْنَ بِهِ
مَا لَضَرِّ فِي مَحْبَبِكُمْ
فِي فَيِ أَحْلَى مِنَ النَّعْمَ

وبالسند إلى الحافظ أبي عبد الله قال : قرأت على أبي القاسم بن الأسعد البزار
عن يوسف بن أحمد الحافظ ، قال : أنشدنا محمد بن أبي عبد الله الجوهرى قال :
أَنْشَدَنَا لِأَبِي حَامِدَ :

فَقَهْأَوْنَا كَذِبَالَةَ النَّبَرَاسَ هِيَ فِي الْحَرِيقِ وَضَوْهَرَهَا لِلنَّاسِ
ضَرِّ ذَمِيمٍ تَحْتَ رَائِقَ مَنْظَرٍ كَالْفَضْةِ الْبَيْضَاءِ فَوْقَ نَحَاسٍ
أَخْبَرَنَا عَلِيَّ بْنُ الْفَضْلِ الْحَافِظُ : أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يُوسُفَ الْأَمْدِيَّ
أَنْشَدَنِي أَمِينَ بْنَ أَبِي الصَّلَتِ . أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدَ التَّكَرِيَّيِّ . أَنْشَدَنِي أَبُو حَامِدَ
الغزالي لنفسه :

قَرَأً فَجَبَلَ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ
حَلَتْ عَقَارِبَ صَدْغَهُ مِنْ خَدَهُ
وَلَقَدْ عَهَدَنَا يَحْلِ بِهِ رَجْهَهَا
وَمِنْ الْعَجَابِ كَيْفَ حَلَتْ فِيهِ

وَمَا أَنْشَدَ فِيهِ أَبُو جعْفَرٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَوْسَفِ الطَّرَابِلِيُّ لِنَفْسِهِ :
هذب المذهب حبر
أحسن الله خلاصه
ووجيز وخلاصه
بسبيط ووسيط

وقال أبو المظفر الأبيوردي يرثيه :

بَكَىٰ عَلَى حَجَةِ الْإِسْلَامِ حِينَ ثُوِيَ
مِنْ كُلِّ حِيٍّ عَظِيمٍ الْقَدْرِ أَشْرَفَهُ
١١١

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد العافي :

بَكَيْتُ بِعِينِي رَاحِمَ الْقَلْبَ وَالْهُ
فَتِي لَمْ يَوَالِ الْحَقَّ مِنْ لَمْ يَوَالِهِ
وَسَبَيْتُ دُمَاعًا طَالِمًا قَدْ جَبَسْتَهُ
أَبَا حَمْدَ مُحَمَّدَ عَرَىِ الْإِسْلَامِ وَفَقَ مَقَالَهُ
لَشَدَ عَرَىِ الْعِلْمَ وَمَنْ بَقِيَ

ذكر عدد مصنفاته :

له في المذهب: الوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة .

وفي سائر العلوم ، كتاب إحياء علوم الدين ، وكتاب الأربعين ، وكتاب الأسماء الحسنى ، والمستصفى في أصول الفقه ، والمنخول في أصول الفقه أله فى حياة أستاذہ إمام الحرمين ، وبداية المهدية ، والآخذ في الخلافيات ، وتحقيق المأخذ وكيمياء السعادة بالفارسية ، والمتقد من الضلال ، ولباب المنتحل في الجدل ، وشفاء الغليل في بيان مسائل التعليل ، والاقتصاد في الاعتقاد ، ومعيار النظر ، ومحك النظر ، وبيان القولين للشافعى ، ومشكاة الأنوار ، والمستظرى في الرد على الباطنية ، وتهافت الفلسفه ، والمقاصد في بيان اعتقاد الأوائل وهو مقاصد الفلسفه وإنجام العوام في علم الكلام ، والغاية القصوى ، وجواهر القرآن ، وبيان فضائح

(١) انظر الكتاب ص ٦٤

الإمامية ، وغور الدور في المسألة السريجية ، والمحتصر الأخير فيها - رجع فيه عن مصنفه الأول فيها المسماى بغاية الغور في دراية الدور ، وكشف علوم الآخرة ، والرسالة القدسية ، والفتاوي ، وميزان العمل ، ومواهم الباطنية - وهو غير المستظربي في الرد عليهم . . وحقيقة الروح ، وكتاب أسرار معاملات الدين ، وعقيدة المصباح ، والمنج الأعلى ، وأخلاق الأنوار ، والمعراج ، وحججة الحق ، وتنبئه الماقلين ، والمكتنون في الأصول ، ورسالة الأقطاب ، ومسلم السلاطين ، والقانون الكلي ، والقربة إلى الله ، ومتاد العالم ، ومفصل الخلاف في أصول القواسم ، وأسرار اتباع السنة ، وقلبيس إبليس ، المباديء والغايات ، الاجوبة ، وكتاب عجائب صنع الله ، ورسالة الرد على من طغى .

ذكر المنام الذي أبصره الإمام عامر الساوي بمكة :

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتاب التبيين :

١٩١

فنسأله تعالى كمال التعميم والثبات في الدين لنا ولـ كافة المسلمين إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ذكر كلام الطاعنين على هذا الإمام ورده ونقض عري باطله وهذه

قال الإمام أبو عبد المازري ، المالكي ^(٢) مجبياً ابن سأله عن حال كتاب إحياء علوم الدين : ومصنفه هذا الرجل يعني الغزالى . وإن لم أكُن قرأته كتابه ، فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحيى لي نوعاً من حاله وطريقته ، فأنا لوح بها من مذهبها وسيرتها ، ما قائم لي مقام العيان . فلأنما أقتصر على ذكر حال الرجل ،

(١) منقول عن ابن عساكر ص ٥٨-٤٩

(٢) ذكر هذا الكلام الذي من ٧٣ وقد اثبته هنا لأن السبكى سيرد عليه .

وحال كتابه ، وذكر جمل من مذاهب الموحدين ، والفلسفه ، والتصوفه ، وأصحاب الاشارات ، فان كتابه متعدد بين هذه الطرائق لا يعودها . ثم أتبع ذلك بذكر حيل أهل مذهب ، على أهل مذهب آخر . ثم أبين عن طرق الغرور ، وأكشف عما دفن من حبائل الباطل ، ليحذر من الوقوع في حبائله صائده ، ثم أثني على الغزالي في الكشف ؟ وقال هو أعرف بالفقه منه بأصوله ؟ وأما عالم الكلام الذي هو أصول الدين ، فإنه صنف فيه أيضاً ، وليس بالمستحب فيها ؟ ولقد فضلت لسبب عدم استبحاره ؟ وذلك أنه قرأ علم الفلسفه قبل استبحاره في فن أصول الدين ، فأكسبته قراءة الفلسفه جراة على المعاني ، وتسهيلاً للجهود على الحقائق ، لأن الفلسفه تمر مع خواطيرها ، وليس لها حكم شرعى ترعاه ، ولا تخاف من مخالفة أئمّة تتبعها . وعمر فني بعض أصحابه ، أنه كان له عکوف على رسائل إخوان الصفا ، وهي إحدى وخمسون رسالة ، ومصنفها فيلسوف قد خاص في علم الشرع والعقل ، فمزج ما بين العالمين . وذكر الفلسفه وحسنها في قلوب أهل الشرع ، بأبيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها . ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلسفه ، يعرف بابن سينا ، ملأ الدنيا تأليف في علم الفلسفه ، وهو فيها إمام كبير ، وقد أدته قوته في الفلسفه إلى أن حاول رد أصول العقائد إلى علم الفلسفه ، وتلطّف جهده ، حتى تم له مالم يتم لغيره ، وقد رأيت جملًا من دواوينه ، ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفه ، ثم قال وأما مذاهب الصوفية فلست أدرى على من عول فيها ، ثم أشار إلى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر ما في الإحياء من الأحاديث ، وقال : عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم . ثم أشار إلى أنه يستحسن أشياء مبناهما على مala حقيقة له مثل قوله في قص الاظفار ، أن تبدأ بالسبابة ، لأن لها الفضل على بقية الأصابع ، لكونها المسبيحة ، إلى آخر

مما ذكر من الكيفية . وذكر فيه أثراً . وقال : من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن
الباري قدِّيم ، مات مسألاً إجماعاً . قال ومن تساهل في حكاية هذا الإجماع ، الذي
الأقرب أن يكون فيه الإجماع بعكس مقال ، فحقيقة أن لا يوثق بما نقل . وقد
رأيت له أنه ذكر أن في علومه هذه ، مالا يسوغ أن يوضع في كتاب ؟ فليت
شعري أحق هو أم باطل ؟ فان كان باطلًا فصدق ، وان كان حقاً ، وهو مراده
بلا شك فلم لا يوضع في الكتاب ؟ ألم موضوعه ودقته ؟ . قال فان كان هو فهمه فما المانع
أن يفهمه غيره ؟ هذا ملخص كلام المازري .

وبقه الى قريب منه من المالكية أبو الوليد الطرطوسي فذكر في رسالته
الى ابن مظفر ، فأما ماذكرت من أمر الغزالي ، فرأيت الرجل ، وكلته ، فرأيته
رجالاً من أهل العلم ، قد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم ، وممارسة
العلوم طوك زمانه ، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار المهاجر .
ثم تصوف ، فهجر العلوم وأهلها . ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ،
ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ؛ وجعل يطعن
على الفقهاء والتكلمين ؟ ولقد كاد ينسليخ من الدين . فلما عمل الإحياء ، عمد يتكلم
في علوم الأحوال ، ومرامن الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرقتها
سقط على أم رأسه ، وشحنت كتابه بالمواضيعات . انتهى

وأنا أتكلم على كلامها ، ثم أذكر كلام غيرها ، وأنعقبه أيضاً ، وأجتهد أن
لأتعذر طور الإنصاف ، وأن لا يتحقق عرق الجحية والإعتساف ، وأسأل الله
الإمداد بذلك والإسعاف . فما أحد منهم معاصرًا لنا ولا قريباً ، ولا يبنتنا إلا وصلة
العلم ، ودعوة الخلق الى جناب الحق . فأقول :

أما المازري فقبل الخوض معه بالكلام، أقدم لك مقدمة . وهي أن هذا الرجل كان من أذكي المغاربة قريحة ، وأحدهم ذهناً ، بحيث اجترأ على شرح البرهان لإمام الحرمين ، وهو لغز الأمة الذي لا يحوم نحو حماه ، ولا يدنن حول مغزاها ، إلا غواص على المعاني ، ثاقب الذهن ، مبرز في العلم . وكان مصمماً على مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري^(١) رضي الله عنه ، جليلها وحقيرها ، كثیرها وصغرها ، لا يتعداها ، ويبدع من خالقه ، ولو في التزرب اليسير ، والشيء الحقير ثم هو مع ذلك ما لکي المذهب ، شديد الميل إلى مذهبه ، كثیر المناولة عنه وهذا الإمامان - اعني - إمام الحرمين وتلميذه الغزالی ، وصلا من التحقيق ، وسعة الدائرة في العلم ، إلى المبلغ الذي يعرف كل مصنف ، بأنه ما انتهی إليه أحد بعدهما ، وربما خالقاً أبا الحسن في مسائل من علم الكلام . والقوم ، - اعني الأشاعرة لاسيا المغاربة منهم - يستصعبون هذا الصنع ، ولا يرون مخالفة أبي الحسن في تقيير ولا قطمير ، وكأنما عناه الغزالی بقوله : وربما ضعفاً مذهب مالك في كثیر من المسائل ، كما فعل في مسألة المصالحة المرسلة ، وعند ذكر الترجيح بين المذاهب . فهذا أمران نفر المازري منها . وينضم إلى ذلك أن الطرق شتى مختلفة ، مارأيت سالك طريق ، إلا ويستقيع الطريق التي لم يسلكها ، ولم يفتح عليه من قبلها ، ويضع عند ذلك غيره ، لا ينجو من ذلك إلا القليل من أهل المعرفة والتوكين . ولقد وجدت هذا واعتبرته حتى في مشايخ الطريقة . ولا يخفى أن طریقة الغزالی ، التصوف والتعقّل في الحقائق ، ومحبة اشارات القوم . وطريقة المازري ، الجمود على العبارات الظاهرة ، والوقوف منها ، والكل حسن والله الحمد ، إلا أن اختلاف الطریقتین یوجب تبیان المازجین ، وبعد ما یبین القلبین ، لاسیما وقد انضم اليه

(١) أبو الحسن علي المشكم المشهور . ينسب إليه الأشاعرة ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي

ما ذكرناه من الخالفة في المذهب ، وتوهم المازري أنه يضع من مذهبه ، وأنه يخالف شيخ السنة ، أبا الحسن الأشعري ، حتى رأيته - أعني المازري - قال في شرح البرهان ، في مسألة خالف فيها إمام الحرمين ، أبا الحسن الأشعري ، وليس من القواعد المعتبرة ولا المسائل المهمة : من خطأ شيخ السنة أبا الحسن الأشعري ، فهو الخطأ . وأطال في هذا ، وقل ، في الكلام على ماهية العقل في أوائل البرهان : وقد حكى عن الأشعري أنه يقول العقل هو العلم ، وأن الإمام رضي الله عنه ، قال مقالة الحارث المخاسي أنه غريرة بعد ، أن كان في الشامل ينكرها ، وأنه إنفراضها ، لكونه في آخر عمره قرع باب قوم آخرين ، يشير إلى الفلسفه . فليت شعري ما في هذه المقالة مما يدل على ذلك ، وأعجب من هذا أنه - أعني المازري - في آخر كلامه اعترف بأن الإمام لا ينحو نحوهم ، وأخذ يجل من قدره ، ولوه من هذا الجنس كثير . فهذه أمور توجب التناقض بينهم ، ويحمل المنصف على أن لا يسمع كلام المازري فيها إلا بعد حججه ظاهرة ، ولا تخسب أنها نفعل ذلك إزراء بالمازري ، وحطأ من قدره ، لا والله بل يتنا بطريق الوهم عليه ، وهو في الحقيقة معذور ، فإن المرء إذا ظن بشخص سوء ، فلما أمعن بعد ذلك النظر في كلامه ، بل يصير بأدنى لحنة أدلت بحمل أمره على السوء ، ويكون خطأً في ذلك ، إلا من وفق الله تعالى ، من برئ عن الأغراض ، ولم يظن إلا الخير ، ووقف عند سماع كل كلمة ، وذلك مقام لم يصل إليه إلا الآحاد من.. الخلق ، وليس المازري بالنسبة إلى هذين الإمامين من هذا القبيل .

وقد رأيت ما فعله في حق إمام الحرمين ، في مسألة الاسترسال ، التي حكيناها في ترجمة الإمام^{١١} ، في الطبقة الرابعة ، وكيف وهم على الإمام ، وفهم عنه ما لا يفهمه عنه العوام ، وفوق نحوه سهام الملام .

(١) أبي الإمام الجوني .

إذا عرفت هذه المقدمة فأقول : إن ما ادعاه من أنه عرف مذهبـه ، بحيثـ قام له مقام العيان ، هو كلام عجيب فإذا لانستجيز أن نحـكم على عقيدة أحد بهـذا الحكم ، فإنـ ذلك لا يطـلـعـ عليه إلا الله ، ولـنـ تـنـهـيـ إـلـيـهـ القـوـانـينـ وـالـأـخـبـارـ أـبـدـاـ . وقد وـفـقـنـاـ نـحـنـ عـلـىـ غالـبـ كـلـامـ الغـزـالـيـ ، وـتـأـمـلـنـاـ كـتـبـ أـصـحـابـهـ ،ـ الـذـيـنـ شـاهـدـوـهـ وـتـنـاقـلـوـاـ أـخـبـارـهـ ،ـ وـهـمـ بـهـ أـعـرـفـ مـنـ الـماـزـرـيـ ،ـ ثـمـ لـمـ تـنـتـهـ إـلـيـ أـكـثـرـ مـنـ غـلـبةـ الـظـنـ ،ـ بـأـنـهـ رـجـلـ أـشـعـريـ الـمـعـقـدـ ،ـ خـاصـ فـيـ كـلـامـ الصـوـفـيـةـ .ـ أـمـاـ قـوـلـهـ :ـ وـذـكـرـ جـمـلاـ مـنـ مـذـاـهـبـ الـمـوـحـدـيـنـ ،ـ وـالـفـلـاسـفـةـ ،ـ وـالـمـتصـوفـةـ ،ـ وـأـصـحـابـ الـاـسـهـارـاتـ ؟ـ فـأـقـولـ :ـ إـنـ عـنـيـ بـالـمـوـحـدـيـنـ الـذـيـنـ يـوـحدـونـ اللهـ ،ـ فـالـمـسـلـمـوـنـ أـوـلـ دـاـخـلـ فـيـهـمـ ؟ـ ثـمـ عـطـيـفـ الصـوـفـيـةـ عـلـيـهـمـ ،ـ يـوـهمـ أـنـهـمـ لـيـسـوـ مـسـلـمـيـنـ ،ـ وـحـاشـالـهـ .ـ إـنـ عـنـيـ بـهـ أـهـلـ التـوـكـلـ عـلـىـ اللهـ ،ـ فـهـمـ مـنـ خـيرـ فـرـقـ الصـوـفـيـةـ ،ـ الـذـيـنـ هـمـ مـنـ خـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ ،ـ فـمـاـ وـجـهـ عـطـفـ الصـوـفـيـةـ عـلـيـهـمـ بـعـدـ ذـلـكـ ؟ـ إـنـ أـرـادـ أـهـلـ الـوـحـدـةـ الـمـطـلـقـةـ ،ـ الـمـنـسـوـبـ كـثـيرـ مـنـهـمـ إـلـىـ الـاـلـخـادـ وـالـحـلـولـ^(١) ،ـ فـعـاذـ اللـهـ لـيـسـ الرـجـلـ فـيـ هـذـاـ الصـوبـ ؟ـ وـهـوـ مـصـرـحـ بـتـكـفـيرـ هـذـهـ الـفـتـئـةـ ،ـ وـلـيـسـ فـيـ كـتـابـهـ شـيـءـ مـنـ مـعـقـدـاـتـهـ .ـ

وـأـمـاـ قـوـلـهـ :ـ الغـزـالـيـ لـيـسـ بـالـمـتـبـحـرـ فـيـ عـلـمـ الـكـلـامـ ،ـ فـأـنـاـ أـوـافـقـهـ عـلـىـ ذـلـكـ .ـ وـلـكـنـيـ أـقـولـ :ـ أـنـ قـدـمـهـ فـيـ رـاسـخـ ،ـ وـلـكـنـ لـاـ بـالـسـبـبـةـ إـلـىـ قـدـمـهـ فـيـ بـقـيـةـ عـلـوـمـهـ ،ـ هـذـاـ ظـنـيـ .ـ وـأـمـاـ قـوـلـهـ :ـ أـنـهـ اـشـتـغـلـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ قـبـلـ اـسـتـبـحـارـهـ فـيـ فـنـ الـأـصـوـلـ ،ـ فـلـيـسـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ ؟ـ بـلـ لـمـ يـنـظـرـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ إـلـاـ بـعـدـ مـاـ اـسـتـبـحـرـ فـيـ فـنـ الـأـصـوـلـ .ـ وـقـدـ أـشـارـهـ وـأـعـنـيـ الغـزـالـيـ —ـ إـلـىـ ذـلـكـ فـيـ كـتـابـهـ ،ـ

(١) مـذـهـبـاـ الـوـحـدـةـ وـالـحـلـولـ ،ـ مـنـ الـاـتـجـاهـاتـ الـتـيـ نـزـعـتـ إـلـيـهـ الصـوـفـيـةـ بـتـأـثيرـ الـفـلـسـفـةـ الـهـنـدـيـةـ وـالـيـونـانـيـةـ وـغـيـرـهـاـ وـيـمـتـرـ الـحـلـاجـ مـنـ مـشـاهـيـرـ الـذـيـنـ قـالـوـاـ بـالـحـلـولـ وـأـمـاـ مـذـهـبـ وـحـدـةـ الـوـجـودـ فـقـدـ اـكـتـمـلـ عـلـىـ يـدـ مـحـيـ الدـيـنـ عـرـقـيـ .ـ

«المقد من الصال» وصرح ، بأنه توغل في علم الكلام قبل الفلسفة . ثم قول المازري : قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في علم الأصول ، بعد قوله إنه لم يكن بالمستبحر في الأصول ، كلام يناقض أوله آخره .

وأما دعوه ، أنه تجراً على المعاني ، فليست له جرأة إلا حيث دله الشرع ،
ويديعى خلاف ذلك من لا يعرف الغزالي ، ولا يدرني مع من يتحدث .

ومن الجهل بحاله دعوى أنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدى ، والأمر بخلاف ذلك ولم يكن عمدته في الاحياء ، بعد معارفه ، وعلومه ، وتحقيقاته ، التي جمع بها شامل الكتاب ، ونظم بهــا محسنه ، إلا على كتاب « قوت القلوب » لأبي طالب المكي^١ ، وكتاب « الرسالة » للأستاذ أبي القاسم الفشيري^٢ ، المجمع على جلالتها وجلالتها مصنفيهما . وأما ابن سينا ، فالغزالى يكفره ، فكيف يقال أنه يقتدي به ؟ ولقد صرخ في كتاب « المنقد من الضلال » أنه لا شيخ له في الفلسفة ، وسنحكي كلامه في ذلك إن شاء الله تعالى .

وقوله : لا أدرى على من ع Howell في التصوف ؟ قلت : ع Howell على كتاب القوت ، والرسالة ، مع ما ضم اليهما من كلام مشايخه ، أبي علي العلائي ، وأمثاله ، ومع ما زاده من قبل نفسه ، بفكتره ، ونظره ، وما فتح به عليه ، وهو عندي أغلب ما في الكتاب .

(١) أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الوعاظ المكي صاحب كتاب قوت القلوب يقول عنه ابن خلكان «كان رجلاً صالحًا مجتهداً في العبادة...» وذكر عنه أنه حين قدم بغداد وعظ فيها وخطب في كلاء فمده الناس وهجروه . توفي سنة ٣٨٦ هـ .

(٢) ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن الفقيه الشافعي صاحب الرسالة المشهورة في التصوف يقول عنه ابن خلkan «كان علاماً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والادب والأصول والشعر والكتابية وعلم التصوف ، يعرف الاصول على مذهب الاشمرمي والفرجوي على مذهب الشافعي توفي سنة ٤٦٥ هـ بنبيسا ببور»:

وليس في الكتاب للفلاسفة مدخل ، ولم يصنفه إلا بعد ما ازدرى علومهم «
 ونهى عن النظر في كتبهم ، وقد أشار إلى ذلك في غير موضع من الاحياء ، ثم
 في كتاب المنقد من الضلال ما نصه : « ثم إني لا ابتدأ بعد الفراغ من علم
 الكلام ، بعلم الفلسفة ، وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من
 لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلامهم في أصل العلم ، ثم يزيد عليه »
 ويتجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم ، من غور وغائلة ،
 فإنه بذلك يمكن أن يكون ما يدعوه من فساده حقاً . ولم أر أحداً من علماء
 الاسلام وجه عنایته الى ذلك ، ولم يكن في كتب المسلمين من كلامهم ، حيث
 اشتغلوا بالرد عليهم ، إلا كلامات معقدة ، مبددة ظاهرة التناقض والفساد ، ولا
 يظن الاعتراف بها عاقل عامي ، فضلاً عنمن يدعى دوافع العلوم . فعلمت أن رد
 هذا المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رجي في عمایة ، فشمرت عن ساق الجد
 في تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة ، من غير استيعابه بإسناد وتعلم
 فأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التدريس والتصنيف في العلوم الشرعية »
 وأنا منهم بالتدريس والافتادة بلل غلة نفر من الطلبة يبغداد ، فأطلعني الله تعالى بمجرد
 المطالعة في هذه الأوقات ، على منتهى علومهم ، في أقل من ستين ، ثم لم أزل أواظِب
 على التفكير فيه بعد فهمه ، قريباً من سنة ، أعاوده وأراوده ، واتفقد غوائله »
 وأغواره ، حتى اطاعت على مافيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتحليل ، اطلاعاً لم
 أشك فيه . فاسمع الان حكايتي ، وحكاية حاصل علومهم . فإني رأيت علومهم
 أقساماً ، وهو على كثرة أصنافهم ، تلزمهم وجهم الكفر واللحاد ، وإن كان بين
 القدماء منهم ، والأقدمين ، والأآخر منهم ، والأوائل ، تفاوت عظيم » في البعد
 عن الحق ، والقرب منه . » انتهى .

وقال بعده فصل في بيان أصنافهم ، وشمول سمة الفكر كافتهم واندفع في ذلك
 فهذا رجل ينادي على كافة الفلسفه بالكفر » وله في الرد عليهم الكتاب الفائقة »

وفي الذب عن حريم الاسلام الكلمات الرائقة ، ثم يقال إنـه بنـى كتابـه عـلـى مـقـاـتـهـم
بـالـلـهـ وـيـا لـلـمـسـلـمـينـ !! نـعـوـذـ بـالـلـهـ مـنـ تـعـصـبـ حـمـلـ عـلـىـ الـوـقـعـةـ فـيـ أـمـةـ الدـيـنـ .

وأما ماعاب به الإحياء ، من توهية بعض الأحاديث ، فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة ، وعامة ما في الإحياء من الأخبار والآثار ، مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد ، وقد اعتبرت بتخریج أحاديث «الإحياء» بعض أصحابنا ؛ فلم يشد عنه إلا الميسير ، وسأذكّر بجملة من أحاديثه الشاذة ستفادة .

وأما ماذكره في قص الأظفار ، فالأمر المشار إليه ، يروى عن علي ،
كرم الله وجهه ، غير أنه لم يثبت ، وليس في ذلك كبير أمر ، ولا مخالفة شرع
وقد سمعت جماعة من الفقراء ، يذكرون أنهم جربوه فوجدوه لا يختلط ، من
دوامه أمن وآجم العين . ويررون من شعر علي كرم الله وجهه هذا :

وأما قول المازري : عادة المتصرين أن لا يقولوا قال مالك إلى آخره .. فليس
يقال الغزالى : قال رسول الله ﷺ على سبيل الجزم ، وإنما يقول عن و بتقدير
الجزم . فلو لم يغلب على ظنه ، لم يقله ، وغايتها أنه ليس الأمر على ماضن . وسنعقد
صللاً للأحاديث المنكرة في كتاب الإحياء .

وأيّما مسأّلة : من مات ولم يعلم قدم الباري .. ففرق بين عدم اعتقاد بالقدم ،

واعتقاد أن لا قدم . والثاني هو الذي أجمعوا على تكفير من اعتقده ، فمن استحضر بذهنه صفة القدم ، ونفها عن الباري ، وأوجبها منفيه أو شكٌ في انتقامه كأن كافراً . وأما الساذج من مسألة القدم ، الخالي **الخلو** المؤمن بالله على الجملة ، فهو الذي ادعى الغزالي الإجماع على أنه مؤمن على الجملة ، ناج من حيث مطلق الإيمان الجميلي . ومن البلية العظمى ، والمصيبة الكبرى ، أن يقال عن مثل الغزالي أنه غير موثوق بنقله ؛ فما أدرى ما أقول ولا بأي وجه يلقى الله من يعتقد ذلك في هذا الإمام .

وأما تقسيم المازري في العلم الذي أشار حجة الإسلام أنه لا يودع في كتاب ، فوددت لو لم يذكره ، فـإنه شبهه عليه ، وهذا المازري كان رجلاً ، **رسكاً** ، ذكرياً ، وما كنت أحسبه يقع في مثل هذا ، أو خفي عليه ، أن للعلوم دقائق ، نهى العلماء عن الأفصاح بها ، خشية على ضعفاء الخلق ، وأموراً آخر ، لا تحيط بها العبارات ، ولا يعرفها إلا أهل الذوق ، وأموراً آخر ، لم يأذن الله في إظهارها لـ**حـكـم** تكثير عن الأحصاء . وماذا يقول المازري ، فيما خرجه البخاري في صحيحه ، من حديث أبي الطفيل ، سمعت علياً رضي الله عنه يقول : « حدثنا الناس بما يعرفون أتّبِعُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ». وكم مسألة نص العلماء على عدم الإفصاح بها ، خشية على أفهم من لا يفهمها . وهذا امامنا الشافعي ، رضي الله عنه . يقول : « أَنَّ الْأَجِيرَ الْمُشْتَرَكُ لَا يَضْمِنُ ». قال الربيع : وكان لا يبوح به خوفاً من أجير السوء . قال الربيع أيضاً : وكان الشافعي ، رضي الله عنه ، يذهب إلى أن القاضي يقضى بعلمه ، وكان لا يبوح به خلافة قضاه السوء فقد لاح لـ**كـلـمـة** بهذا ، أنه ربما وقع السكوت عن بعض العلم ، خشية من الوقوع في محذور . ومثل ذلك كثير .

وأما كلام الطرطوشى : فمن الدعاوى العارية عن الدلالـةـ ، وما أدرى **كـيـفـ** استجـازـ في دينـهـ ، أن ينسبـ إلىـ هـذـاـ الخبرـ ، أنه دخلـ فيـ وـسـوـاسـ الشـيـطـانـ . ولا من أين أطلعـ علىـ ذـلـكـ .

وأما قوله : شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، فلا أدرى أي رموز في هذا الكتاب غير إشارات القوم التي لا ينكرها عارف ، وليس للحلاج رموز يعرف بها .

وأيما قوله كاد ينسليخ من الدين ، فیا لها كالمه وقانا الله شرها .

وأيما دعوه أنه غير أنيس بعلوم الصوفية ، فمن الكلام البارد ؟ فإنه لا يرتقب ذو النظر بأن الغزالي ، كان ذا قدم راسخ في التصوف . وليت شعرى إن لم يكن الغزالى يدرى التصوف فمن يدرى به .

وأيما دعوه أنه سقط على أم رأسه ، فحقيقة بالعلماء بغير دلالة ، فإنه لم يذكر لنا بماذا سقط ، كفاه الله وإلينا غائلة التعصب .

وأيما الموضوعات في كتابه ، فليت شعرى فهو واضعها حتى ينكر عليه ؟ إن هذا إلا تعصب بارد ، وتشنيع بما لا يرضيه ناقد .

ولقد هجر هذا في الإحياء الذي لا ينبغي لعلم أن ينكر مكتبه ، في الحسن والافادة . ولقد قال بعض المحققين : لو لم يكن للناس في الكتاب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكير والأثر ، غيره لكتفى . وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها ، وإشاعتها ، ليهتدى بها كثير من الخلق ؟ وقلما ينظر فيه ناظر ، إلا وتهيظ به في الحال . رزقنا الله بصيرة تربينا وجه الصواب ووقانا شر ما هو بيننا وبينه حجاب .

والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، في حق الغزالى ، كلام لا يرضيه ، ذكره علماء المنطق ، تكلمنا عليه في أوائل شرحنا للمختصر ابن الحاجب .

وكتب إلى مرة الحافظ عفيف الدين المطري ، المقيم بمدينة سيدنا رسول الله ﷺ ، كتاباً سأله أن أسأله الشیخ الإمام رأيه ، فذكرت له ذلك .

فكتب إلى الجواب بما نصه : الحمد لله ، ولدي عبد الوهاب بارك الله فيه ، وقفت على ما ذكرت ، مما سأله عنه الشيخ الإمام ، العالم القدوة ، عفيف الدين المطري ، نفع الله به في ترجمة الغزالى ، وأي حيان التوحيدى ، وذكرته أنت في الطبقات في ترجمة التوحيدى ، وما عندي فيه أكثر من ذلك فكتبه له . وكذلك الغزالى ، مما عندي فيه زيادة على ماذكره ابن عساكر ، وغيره ، من ترجمه . وماذا يقول الإنسان فيه ، وفضله واسمه قد طبع الأرض ، ومن خبر كلامه ، عرف أنه فوق اسمه ؟ وأما ما ذكره الشيخ تقى الدين ابن الصلاح ، عن نفسه ، ومن كلام يوسف الدمشقى والمازرى ، فما أشبة هؤلاء الجماعة ، رحهم الله ، إلا بقوم متبعين ، سليمة قلوبهم ، قد ركنا إلى الهوى ، فرأوا فارساً عظيمًا من المسلمين ، قد رأى عدواً عظيمًا لأهل الإسلام ، فحمل عليهم ، وانتمس في صفوهم ، وما زال في غمرتهم ، حتى فل شوكتهم ، وكسرهم ، وفرق جنوعهم ، شذر مذر ، وفلق هام كثير منهم ، فأصابه يسير من دماءهم . وعاد سالماً فرأوه وهو ينسى الدم عنهم . ثم دخل معهم في صلاتهم ، وعباداتهم ، فتوهموا أيضًا أثر الدم عليه ، فأنكروا عليه . هذا حال الغزالى وحالمهم ، والكل إن شاء الله مجتمعون في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وأما المازرى ، لأنـه مغربي ، وكانت المغاربة لما وقع لهم كتاب الإحياء لم يفهموه فصرقره ، فمن تلك الحالة تكلم المازرى . ثم إن المغاربة بعد ذلك أقبلوا عليه ومدحوه بقصائد منها قصيدة^{١١١} :

أبا حامد أنت الخصص بالحمد
وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعنا لـنا الإحياء يحيى نقوسنا . وينفذنا من ربقة المارد المardi

(١) لـابي العباس الأقلشى ، كما ذكر ذلك اليافعي الإيـانى . انظر الكتاب ص ٨٨

وهي طويلة ، وان كفت لأرتضي قوله أنت الخصص بالحمد ، ويتأول لفائيليه ،
أنه من بين أقرانه ، أو من بين من يتكلّم ، وأين نحن ومن فوقنا وفوقهم من
فهم كلام الغزالي ، أو الوقوف على مرتبته ، في العلم والدين والتأله ؛ ولا ينكر
فضل الشيخ تقي الدين وفقهه ، وحديّه ، ودينه ، وقصده الخير ، ولكن لكل
عمل رجال . ولا ينكر علو مرتبة المازري ، ولكن كل حال لا يعرفه من لم يذقه ،
أو يشرف عليه ، وكل أحد إنما يتكيف بما نشأ عليه ، ووصل إليه .

وأما من ذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنها في هذا المقام ، فالله يوفقنا وإياه
لفهم مقامها على قدرنا ؛ وأما على قدرها فمستحيل ، بل وسائل الصحابة لا يصل
أحد ممن بعدهم إلى مرتبتهم ، لأن أكثر العلوم التي نحن نبحث وندأب فيها الليل
والنهار حاصلة عندهم ، بأصل الخلقة ، من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه .
وما عندهم من العقول الراجحة ، وما أفضى الله عليهم من نور النبوة ، العاصم من
الخطأ في الفكر ، يغنى عن المنطق وغيره من العلوم الفعلية . وما ألف الله بين
قلوبهم ، حتى صاروا بنعمته إخوانا ، يُغْنِي عن الاستعداد للمناقشة والجادلة ، فلم
يكونوا يحتاجون في علومهم إلا إلى ما يسمونه من النبي ﷺ ، من الكتاب
والسنة ، فيفهمونه أحسن فهم ، ويحملونه على أحسن محمل ، وينزلونه منزلته .
وليس بيّن لهم من يياري فيه أو يجادل ، ولا بدعة ولا ضلال ، ثم الشابعون ، على
منازلهم ومنوا لهم قريراً منهم ، ثم أتباعهم ، وهم القرون الثلاثة ، التي شهد النبي
عليه السلام لها ، بأنها خير القرون بعده . ثم نشأ بعدهم - وكان قليلاً في أثناء الثاني
والثالث - أصحاب بدع ، وضلالات ، فاحتاجت العلامة من أهل السنة إلى
مقاومتهم ، ومجادلتهم ، ومنظارتهم ، حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم ، ولا
يدخلوا في الدين مالبس منه ، ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنظقيين ،
وغيرهم من أهل الأخلاق شيء كثير ، أوردوا علينا شيئاً كثيرة ، فإن ترکناهم
وما يصنعون ، استولوا على كثير من الضعفاء ، وعوام المسلمين ، والقاصرين من

فقهائهم وعلمائهم ، فأضلوهم ، وغيروا ماعندهم من الاعتقادات الصحيحة ، وانتشرت البعد ، والحوادث ، ولم يكن كل واحد أن يقاومهم ، وقد لا يفهم كلامهم ، لعدم اشتغاله به ، وإنما يرد الكلام من يفهمه . ومتى لم يرد عليه ، تعلو كنته ، ويعتقد الجهلاء والأمراء والملوك والمستولون على الرعية صحة كلام ذلك المبدع ، كما اتفق في كثير من الأعصار ، وقصرت همم الناس عمما كان عليه المتقدمون ، فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظ الله به عقائد عباده الصالحين ، ويدفع به شبه المحدثين ، وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير ؟ ويحفظ أمر بقية الناس عبادات المبعدين ، واشتغال الفقهاء والمحدثين والمقرئين والمفسرين وانقطاع الزاهدين .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصيابة إلا من يعاينها واللائق بابن الصلاح وأمثاله ، أن يشكر الله على ما أنعم به من الخير ، وما قيس الله له من الغزالي وأمثاله ، الذين تقدموه ، حتى حفظوا له ما يتبعده به ، وما يستغله ، وما يحتمل هذا الموضع بسط القول في ذلك .

وإذا كان في الأحياء أشياء يسيرة تنتقد ، لا تدفع محاسن أكثره ، التي لا توجد في كتاب غيره ، وكمن منه لغزالى ، وسواء عرف من أخذ عنه التصوف أم لا ، فالاعتقادات هي من هبة الله تعالى ، ليست رواية . اتهى .

وما أشرت إليه من كلام ابن الصلاح في الغزالى ، هو ماذكره في الطبقات ، من إنكاره عليه المنطق ، وقوله في أول المستصفى : هذه مقدمة للعلوم كلها ، ومن لا يحيط بها ، فلا ثقة بعلمه أصلاً . ثم حكايته كلام المازري ، وقد أوردناه . وذكر ابن الصلاح أن كتاب المصنون المنسوب إلى معاذ الله أن يكون له ، وبين سبب كونه مختلفاً موضوعاً عليه ، والأمر كما قال ، وقد استعمل المصنون على التصريح بقدم العالم ، ونبي العلم القديم بالجزئيات ، ونبي الصفات ، وكل واحدة من هذه يكفر الغزالى قائلها هو وأهل السنة تجمعون ، وكيف يتصور أنه يقولها .

وَمِنْهَا حَكِيَ وَاشْتَهِرَ عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ أَبِي الْحَسْنِ الشَّاذِلِيِّ ، وَكَانَ سِيدَ عَصْرِهِ
وَبِرَكَةِ زَمَانِهِ ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، وَقَدْ بَاهَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْأَمَامِ الْعَزَالِيِّ ، وَقَالَ أَفَيْ أَمْتِكَ حِبْرَ كَهْذَا ؟ قَالَ لَا .
وَسَأَلَ السَّيِّدَ الْكَبِيرَ الْعَارِفَ بِاللَّهِ ، سِيدَ وَقْتِهِ ، أَيْضًا أَبَا الْعَبَاسِ الْمَرْسِيِّ ،
تَلَمِيذَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسْنِ ، عَنِ الْفَزَالِيِّ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْهِدُ لَهُ بِالصَّدْقَةِ الْعَظِيمَ .

وَعَنِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، الْجَلِيلِ ، الْعَارِفِ بِاللَّهِ ، أَوْحَدَ الْأُولَيَاءِ ، أَبِي الْعَبَاسِ
أَحْمَدَ ، بْنَ أَبِي الْخَيْرِ الْيَمِينِيِّ الْمُعْرُوفِ بِالصَّيَادِ ، أَنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَاعِدٌ ،
أَبْوَابَ السَّمَاءِ مَفْتَحَةً ، وَإِذَا بَعْصَبَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، قَدْ تَرَلَوْا إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَعْهُمْ خَلْعٌ
خَضْرٌ ، وَدَابَّةٌ مِنَ الدَّوَابِ ، فَوَقَفُوا عَلَى رَأْسِ قَبْرٍ مِنَ الْقَبُورِ ، وَأَخْرَجُوا شَخْصًا
مِنْ قَبْرِهِ ، وَأَلْبَسُوهُ الْخَلْعَ ، وَأَرْكَبُوهُ عَلَى الدَّابَّةِ ، وَصَدَعُوهَا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ لَمَّا
يَرِزَ الْوَالِي يَصْعُدُونَ بِهِ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ، حَتَّى جَازَ السَّبْعَ السَّمَوَاتَ كُلَّهَا ، وَخَرَقَ بَعْدَهَا
سَبْعِينَ حَجَابًا ، قَالَ فَتَعَجَّبَتْ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَرْدَتْ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ الرَّاكِبَ ، فَقَيْلَ لِي هُوَ
الْفَزَالِيُّ ، وَلَا عِلْمَ لِي بِأَنَّهُ بَلَغَ الشَّهَادَةَ . قَلَتْ : إِنَّمَا كَانَ هَذَا كَلَامُ أَهْلِ اللَّهِ ، وَمَرَأِيهِمْ
فِي هَذَا الْحِبْرِ ، وَقَدْ قَدَمْنَا كَلَامًا أَهْلَ الْعِلْمِ ، مِنْ مَعَاصِرِهِ فَمَنْ بَعْدُهُ فِيهِ ، وَذَكَرُونَا
السَّيِّرَ مِنْ سِيرَتِهِ ، فَكَيْفَ يَسْوَغُ أَنْ يَقَالُ ، أَنَّهُ كَادَ يَنْسَلِخُ مِنَ الدِّينِ .

وَلَقَدْ وَقَعَتْ فِي بَلَادِ الْمَغْرِبِ بِسَبِّبِ الإِحْيَا فَقَنَ كَثِيرًا ، وَتَعَصَّبَ ، أَدَى إِلَى
أَنْهُمْ كَادُوا يَحْرُّ قَرْنَاهُ ، وَرَبِّا وَقَعَ احْرَاقَ سِيرِ . وَقَدْ قَدَمْنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا .

ذَكْرُ مَنَامِ أَبِي الْحَسْنِ الْمُعْرُوفِ بِابْنِ حَرْزَهْ : وَهُوَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسْنِ ، بْنُ
حَرْزَهْ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسَكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدُهَا زَايَ ، وَرَبِّا بْنُ حَرْزَهْ ، لَا
وَقَفَ عَلَى الإِحْيَا وَتَأْمَلهُ ، قَالَ : هَذَا بَدْعَةٌ مُخَالِفٌ لِسُنْنَةِ نَبِيِّنَا ، وَكَانَ شَيْخًا مُطَاعًا فِي
بَلَادِ الْمَغْرِبِ . فَأَمْرَ بِإِحْضَارِ كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ نَسْخَ الإِحْيَا ، وَطَلَبَ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ
يَنْزِمَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى النَّوَاحِي ، وَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ ، وَتَوَعَّدَ مِنْ أَخْفَى شَيْئًا .

منه ، فأحضر الناس ما عندهم ، واجتمع الفقهاء ، ونظروا فيه ، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة ، وكان ذلك يوم الخميس ، فلما كان ليلة الجمعة ، رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته أن يدخل منه فرأى في ركن المسجد نوراً ، وإذا بالنبي ﷺ ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوس ، والإمام أبو حامد قائم ، ويسده الاحياء ، فقال يارسول الله هذا خصمي ؟ ثم جثا على ركبته ، وزحف عليها ، إلى أن وصل إلى النبي ﷺ ، فناوله كتاب الاحياء ، وقال يارسول الله انظر فيه ، فإن كان بدعة ، مخالف لستك كما زعم ، بتت إلى الله تعالى ، وإن كان شيئاً تستحسن ، حصل لي من بركتك ، فانصفني من خصمي ، فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقة ورقة ، إلى آخره ثم قال والله إن هذا شيء حسن ، ثم ناوله أبي بكر ، فنظر فيه كذلك ، ثم قال نعم ، والذي يشك بالحق يارسول الله انه حسن ، ثم ناوله عمر ، فنظر فيه كذلك ، ثم قال كما قال أبو بكر فأمر النبي ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه ، وضربه حد المفترى ، خرد ، وضرب ، ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط ، وقال يارسول الله إنما حصل ذلك منه ، اجحاداً في سنتك ، وتعظيمًا ، فعفا عنه أبو حامد عند ذلك . فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى ومكث قريباً من الشهر متأنلاً من الضرب ثم سكن عنه الألم ؛ ومكث إلى أن مات وأثر السيطان على ظهره ، وصار ينظر كتاب الاحياء ، ويعظمها ، ويعجله ، أصلاً أصلاً ، وهذه حكاية صحيحة ، حكها الشاذلي ، عن شيخنا الكبير ولي الله تعالى أبي العباس المرسي ، عن شيخه الشيخ الكبير ولي الله أبي الحسن الشاذلي .

رسالة الامام حجۃ الاسلام

كتبها إلى بعض أهل عصره ، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان

إلا على الظالمين ، والصلة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين ، أما بعد فقد اتسع بيني وبين الشيخ الأجل ، معتمد الملك ، أمين الدولة
حرس الله تأييده ، بواسطة القاضي الجليل ، الإمام مروان زاده الله توفيقاً ، من
الوداد وحسن الاعتقاد ، ما يجري بمحرى القرابة ، ويقتضي دوام المكافحة ، والمواصلة ،
وإنني لأصله بصلة ، هي أفضل نصيحة توصله إلى الله ، وتقربه لربه زلفي ، وتحلله
الفردوس الأعلى ، فالنصيحة هي هدية العلماء ، وإنه لن يهدى إلى تحفة أكرم
من قبوله لها ، وإنصافاته بقلب فارغ عن ظلمات الدنيا إليها ، وإنني أحذره إذا ميزت
عند أرباب القلوب أحرار الناس ، أن يكون إلا في زمرة الكرام الـ كياس ، فقد قيل
لرسول الله ﷺ ، من أكرم الناس ؟ فقال : أتقاهم . فقيل من ألين الناس ؟
قال : أكثرهم للهوت ذكرًا ، وأشدتهم له استعداداً . وقال ﷺ : **الكيس** :
من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هوها ، وتنى على
الله المغفرة ، وأشد الناس غباؤه وجحلاً ، من تهمه أمور دنياه التي يخلوها ، عند
الموت ، ولا يهمه أن يعرف أنه من أهل الجنة أو النار ، وقد عرفه الله ذلك حيث
قال : « إنَّ الْأَبْرَارَ لَنَفِ نَعَمْ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَهَنَّمْ » . وقال « فَأَمَا مَنْ
طَغَى وَأَثْرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » الآية .. . وقل : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتْهَا نُوفُ الْيَهْمِ
أَعْمَالُهُمْ فِيهَا » . إلى قوله « وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وإنني أوصيه أن يصرف إلى هذا
المهم همته ، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويراقب سيرته وعالنته ، وقصده
وهمته ، وأفعاله وأقواله ، وإصداره وإيراده ، أهي مقصورة على ما يقربه من الله ،
ويوصله إلى سعادة الأبد ، أو هي مصروفة إلى ما يعمر به دنياه ، ويصلحها له ،
إصلاحاً منفصاً ، مشوباً بالكدرات ، مشحوناً بالمهملات والغموم ، ثم يختتمها بالشقاوة ،
والعياذ بالله ، فليفتح عين بصيرته ، لتنظر نفس ما قدمت لغيرها ولعلم أنه لأناظر
لنفسه ولا يشفعه سواه ، وليتذر ما هو بصدقه ، فإن كان مشغولاً بعبارة ضيعة ،
فلينظركم من قرية أهلها الله وهي ظالمه خاوية على عروشها بعد عمارتها ؛ وإن

كأن مقبلاً على استخراج ماء ، وعمارة نهر ، فليفكروا من بئر معطلة ، وقصر
مشيد بعد عماراتها ؟ وإن كان منها بتأسيس بناء ، فليتأملوا من قصور مشيدة
البنيان محكمة القواعد والاركان ، أظلمت بعده سكانها ؟ وإن كان معتنباً بعماره
الحدائق والبساتين ، فليعتبر «كم ترکوا من جنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ
كَسَرِيمٍ وَذَعْنَمٍ» الآية . وليرأ قوله «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سَنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُمْ
مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْتَوْنَ» وإن كان مشغوفاً والعياذ بالله
بخدمة سلطان ، ليذكر ماورد في الخبر أنه ينادي مناد يوم القيمة ، أين الظِّلَّةُ
وأعوانهم ؟ فلا يبقى أحد منهم ، مد لهم دواة ، أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك ،
الا حضر . فيجتمعون في تابوت من نار ، فيلقون في جهنم . وعلى الجملة ، فالناس كلهم
الا من عصم الله ، نسوا الله فنسفهم ؛ وأعضا عن التزوّد للآخرة ، وأقبلوا على
طلب أمرين ، الجاه والمالي ، فإن كانوا في طلب جاه ورياسة . فليذكري ماورد به
الخبر : أن الأمراء والرؤساء يخشرون يوم القيمة في صور المتر تحت أقدام الناس
يظهورونهم بأقدامهم ، وليرأ ما قاله تعالى في كل متكبر جبار . وقد قال رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَكْتُبُ الرَّجُلُ جَبَارًا وَمَا يَلِكُ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِهِ» أي إذا طلب الرياسة يذهب
وتكبر عليهم . وقد قال عيسى عليه السلام : يامعاشر الحواريين ، العين مسرة في
الدنيا ، مضررة في الآخرة ، بحق أقول : لا يدخل الأغنياء ملائكة السماء ، وقد
قال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَخْشِرُ الْأَغْنِيَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعَ فَرَقًا ، رَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ
وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ ، فَيُقَالُ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ؛ وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ وَأَنْفَقَهُ فِي
حَلَالٍ فَيُقَالُ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ؛ وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ فَيُقَالُ
اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ؛ وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ وَأَنْفَقَهُ فِي حَلَالٍ فَيُقَالُ قَفُوا هَذَا
وَأَسْأَلُوهُ لِمَلِهِ بِسَبَبِ غَنَّاهُ تَهَاوَنُ فِيهَا فِرْضَنَاهُ عَلَيْهِ ، أَوْ قَصْرٌ فِي صَلَاتِهِ ، أَوْ فِي وَضُوئِهِ
أَوْ رَكْوَعِهِ ، أَوْ سُجُودِهِ أَوْ خَشْوَعِهِ أَوْ ضَيْعَ شَيْئًا مِنِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجَّ؟ فَيُقَولُ

الرجل جمعت المال من الحلال ، وأنفقته في حلال ، وماضيتع شيئاً من حدود الفرائض بل أتيتها بتهاها ، فيقول : لعلك باهيت ، أو اختلت في شيء من ثيابك ؟ فيقول يارب ما باهيت عالي ولا اختلت في ثيابي ، فيقال لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم ، وجبر الجيران والمساكين ، وقصرت في في التقديم والتأخير . والتفضيل والتعديل ، ويحيط هؤلاء به ويقولون ربنا أغنتيه بين أظهرنا ، وأحوجتنا اليه ، فقصر في حقنا ، فإن ظهر تقصير ذهب به إلى النار ؟ وإلا قيل له : قف هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ، وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يسأل ويسأل .. فهذه حال الأغنياء الصالحين ، القائمين بحقوق الله تعالى ، أن يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال المفرطين المنهمكين في الحرام والشهوات ، المكاثرين بين المتعمين بشهواتهم ، الذين قيل لهم « ألماكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زَرْتُمُ الْمَقَابِرِ » فهذه المطالب الفاسدة ، هي التي استولت على قلوب الخلق ، فسخرها الشيطان ، وجعلها ضحكة عليه ، فليه ، وعلى كل مشمر في عداوة نفسه ، أن يتعلم علاج هذا المرض الذي حل بالقلوب ، فعلاج مرض القلب ، اهم من علاج مرض البدان ، ولا ينجو إلا من اتى الله بقلب سليم .

وله دواءان أحدهما :

ملازمته ذكر الموت، وطول التأمل، مع الاعتبار بخاتمة الملك ، وأرباب الدنيا ، وأنهم كيف جعوا كثيراً، وبنوا وفرحوا بالدنيا بطرأً وغزوراً، فصارت قصورهم قبوراً، وأصبح جمعهم قصوراً، هباءً متشروراً، وكان أمر الله قدرأً مقدوراً «أوَ لَمْ يَهِدِ إِلَيْهِمْ كَمْ أَهْلَكُنَا هُنَّ قَبْلِنِي مِنَ الْقَرْوَنِ يَشْوُنُ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ» قصورهم ، وأملأ كفهم ومساكنهم ، صوامت ناطقة ، تشهد ببيان خلماً على غرور عملاها ، فانظر الآن في جمיהם « هَلْ تُبْحِسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَنْسَمِعُ إِلَيْهِمْ ذِكْرًا » ؟

الدواء الثاني :

تذكر كتاب الله تعالى ، ففيه شفاء ورحمة للعالمين ، وقد أوصى رسول الله ﷺ ، بعذارة هذين الوعظتين ، فقال تركت فيكما واعظين صامتاً ، وناطقاً : الصامت الموت ، والناطق القرآن ، وقد أصبح أكثر الناس أمواتاً عن كتاب الله تعالى ، وإن كانوا أحياءً في معايشهم ، بكمماً عن كتاب الله تعالى ، وإن كانوا يتلونه بأنفسهم ؛ وصمتاً عن سماعه ، وإن كانوا يسمونه بأذانهم ، وعمياً عن عجائبه وإن كانوا ينظرون إليه في صحائفهم ، نائمين عن أسراره ، وإن كانوا يشربونه في تفاسيرهم ، واحذر أن تكون منهم وتدبر أمرك ، وأمر من لم يتدار ، ككيف خاب عند الموت وخسر . واتعظ بآية واحدة من كتاب الله ، ففيه مقنع وبلاع لكل ذي بصيرة . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهموا أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » إلى آخرها .

وإياك ثم إياك أن تشغل بجمع المال ، فإن فرحاك به ، ينسيك أمر الآخرة وينزع حلاوة الإعنان من قلبك ؛ قال عيسى عليه صلوات الله وسلامه : لا تنتروا إلى أموال أهل الدنيا ، فإن تروا أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم . وهذه ثمرة حجر النظر ، فكيف عاقبة الجمع والطغيان والنظر .

وأما القاضي الجليل ، الإمام مروان ، أكثر الله في أهل العلم أمثاله ، فهو قرة العين ، وقد جمع بين الفضلين ، العلم والتقوى ، ولكن الاستتمام بال تمام ، ولا يتم الدوام إلا بمساعدة من جهته ، وتعاوناته له عليه فيما يزيد في رغبته ، ومن أنعم الله عليه بمثل هذا الوالد النجيب ، فينبغي أن يتخذه ذخراً للأخرة ، ووسيلة عند الله تعالى ، وأن يسعى في فراغ قلبه ، العبادة لله تعالى ، ولا ينقطع عليه الطريق إلى الله تعالى وأول الطريق إلى الله طلب الحلال ، والقناعة بقدر القوت من المال ، وسلوك سبيل التواضع والتحمول والنزوع عن رغبات الدنيا التي هي مصائد الشيطان ، هذا مع المرب عن مخالطة

ومن الفتاوى عن حجۃ الاسلام - غير ما تضمنته فتاويه المجموعة :-

جوابه على من يقول بـ قوط النكاليف :

كتب له بعض الزائدين ، ما قوله متع الله المسلمين بيقائه ، ومتعم الطالبين بمشاهدته . وللقائه ، ومنحه أفضل مامنح به خاصته من أصفيائه وأوليائه ، في قلب خصه الحق . بأنواع من الطرف والمدايا ، ومنحه أصنافاً من الانوار والمعطيات ، يستدر له ذلك في جميع الاوقات والاحوال ، متزايدة مع عدم الموارق والآفات ، مع كون ظاهره . ممorumاً بأحكام الشرع وأداته ، مبزهاً عن مآثره ومخالفاته ، ويجد في الباطن مكاشفات وأنواراً عجيبة ، ثم إنه انكشف له نوع يعرفه ، أن المقصود من التكاليف الشرعية ، والرياضات النادبية ، هو الفطام عما سوى الحق كما قيل . لموسى عليه السلام أخل قلبك أريد أن أنزل فيه ، فإذا تم الفطام ، وحصل المقصود بالوصول إلى القربة ، ودوم الترقى من غير فترة ، حتى أنه لو استعمل بوظائف الشرع وظواهره ، انقطع عن حفظ الباطن ، وتشوش عليه بالالتفاتات عن أنواع

الواردات الباطنة، إلى مراعاة أمر الظاهر، وهذا الرجل لا ينزع يده من التكاليف
 «الظاهر»، ولا يقصر في أحكام الشريعة، لكن الاعتقاد الذي كان له في
 «الظواهر والتـكاليف» تناقض وتفاصل عما كان في الابتداء من التعظيم لوقفها
 عنده، ولكنه يباشرها ويوازنها عليهـا عادة لا لأجل الخلق، وحفظـها
 نظرـهم، ومراقبة الله، بل صارت إلـفـا له وإنـ نقصـ اعتقادـهـ فيهاـ ، فهوـ يعـظمـهاـ
 مـاحـكمـهاـ . ثمـ إنـ عـرـضـتـ لهاـ شـبـهـةـ «أنـ المـصـودـ منـ الدـاعـيـ والـدـعـوـةـ حـصـولـ
 المـعـرـفـةـ وـالـقـرـبـةـ وإـذـ حـصـلـ هـذـاـ استـغـنـيـ عنـ الدـاعـيـ وـالـوـاسـطـةـ » كـيـفـ مـعـالـجـتـهـ؟ـ
 فإنـ قـلـناـ: المـعـرـفـةـ لـاـ تـنـتـاهـيـ أـبـداـ ، بلـ تـقـبـلـ الزـيـادـةـ أـبـداـ ، فـلاـ يـسـتـقـنـىـ عنـ
 الدـاعـيـ أـبـداـ لـاـ مـحـالـةـ ، فـرـمـاـقـالـ: الدـاعـيـ قـدـ بـيـنـ مـاـحـتـيـجـ إـلـىـ بـيـانـهـ ، وـشـرـحـ
 مـعـالـمـ الطـرـيقـ ، وـذـهـبـ فـلـوـ اـحـتـاجـ السـالـكـ إـلـىـ مـراـجـمـتـهـ فـيـ زـوـانـدـ وـارـدـاتـ ، لـمـ
 تـمـكـنـ المـرـاجـعـةـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ ، فـيـقـوـلـ: ماـهـوـ طـبـيـبـ عـلـيـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ ، لـأـنـهـ
 غـابـ عـنـ إـمـكـانـ الـمـرـاجـعـةـ ؟ـ فـإـنـ عـلـاجـهـ ، نـعـمـ . فـالـجـوابـ مـسـوقـ حـسـبـ مـاعـودـ مـنـ
 شـافـيـ بـيـانـهـ .

الجـوابـ وـبـالـلـهـ التـوـفـيقـ . يـنـبـغـيـ أـنـ يـتـحـقـقـ الـرـيـدـ هـنـاـ ، أـنـ مـنـ ظـنـ أـنـ المـصـودـ
 مـنـ التـكـالـيفـ ، وـالـتـبـعـدـ بـالـفـرـائـضـ ، الفـطـامـ عـمـاـ سـوـيـ اللـهـ ، وـالـتـجـرـدـ لـهـ ، فـهـوـ مـصـيبـ
 فـيـ ظـنـهـ أـنـ ذـلـكـ مـقـصـودـ ، وـمـخـطـئـ فـيـ ظـنـهـ أـنـهـ كـلـ المـصـودـ ، وـلـاـ مـقـصـودـ سـوـاهـ ،
 بـلـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ الـفـرـائـضـ الـتـيـ اـسـتـبـعـدـ بـهـاـ الـخـلـقـ أـسـرـارـ مـسـوىـ الـفـطـامـ ، تـقـصـرـ بـضـاعـةـ
 الـعـقـلـ عـنـ دـرـكـهـ ، وـمـثـلـ هـذـاـ الرـجـلـ الـمـنـخـدـعـ بـهـذـاـ الـظـنـ ، مـثـلـ رـجـلـ بـنـيـ لـهـ أـبـوهـ
 قـصـرـاـ عـلـىـ رـأـسـ جـبـلـ ، وـوـضـعـ فـيـهـ شـجـرـةـ مـنـ حـشـيشـ طـيـبـ الـرـائـحةـ ، وـأـكـدـ الـوـصـيـةـ
 عـلـىـ وـلـدـهـ مـرـةـ بـعـدـ أـخـرـىـ ، أـنـ لـاـ يـخـلـيـ هـذـاـ القـصـرـ عـنـ هـذـاـ الـحـشـيشـ طـوـلـ عـمـرـهـ
 . وـقـالـ: إـيـاكـ أـنـ تـسـكـنـ هـذـاـ القـصـرـ سـاعـةـ مـنـ لـيـلـ أـوـ نـهـارـ ، إـلـاـ وـهـذـاـ الـحـشـيشـ فـيـهـ،
 فـزـرـعـ الـوـلـدـ حـولـ الـقـصـرـ أـنـوـاعـاـ مـنـ الـرـيـاحـينـ ، وـوـطـلـبـ مـنـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ أـوـ تـادـاـ مـنـ

العود والعنبر والمسك ، وجمع في قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين
الطيبة الرائحة ، فانعمت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح ، فقال لا أشك أن
والذي ما أوصاني بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته ، والآن قد استغفينا بهذه
الرياحين عن رائحته ، فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق على المكان فرماه من القصر ،
فلا خلا القصر من الحشيش ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلة ، وضربه ضربة
أشurf بها على الهلاك ، فتبه حيث لم ينفعه التنبه ، أن الحشيش كان من خاصيته
دفع هذه الحية المهمكة ، وكان لأبيه في الوصية بالخشيش غرضان : أحدهما انتفاع
الولد برائحته ، وذلك قد ادركه الولد بعقله ؛ والثاني اندفاع الحيات المهمكـات
برائحته ، وذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد ، فاعتـر الولد بما عنده من العلم ،
وظن أنه لا سر وراء معلومه ومعقوله ، كقال تعالى: «ذلك مبلغـهم من العلم» وقال
«فاما جاعـتهم رسـلـهم بالـبيانـات فـروا بـاعـنـدـهـم منـالـعـلمـ» والمـغـرـرـ منـاغـتـرـ بـعـقـلـهـ ،
فظنـ أنـ ماـهـوـ مـنـتـفـيـ عـنـ عـلـمـهـ ، فـهـوـ مـنـتـفـيـ فـيـ نـفـسـهـ ، ولـقـدـ عـرـفـ أـهـلـ الـكـلـاـلـ
أـنـ قـالـ الـآـدـمـيـ كـذـلـكـ الـقـصـرـ ، وـأـنـ مـعـشـ حـيـاتـ وـعـقـارـبـ مـهـلـكـاتـ ، إـنـماـ
رـقـيـتـهـاـ وـقـيـدـهـاـ بـطـرـيـقـ خـاصـةـ ، الـمـكـتـوـبـاتـ الـمـشـرـوـعـاتـ ، بـقـولـهـ سـبـحـانـهـ «إـنـ الـصـلـاـةـ
كـانـتـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ كـتـابـاـ مـوـقـوتـاـ» وـقـولـهـ تـعـالـىـ «كـتـبـ عـلـيـكـمـ الصـيـامـ» فـكـماـ أـنـ
الـكـلـاـلـاتـ الـمـلـفـوـظـةـ وـالـمـكـتـوـبـةـ فـيـ الرـقـيـةـ تـؤـثـرـ بـالـخـاصـيـةـ فـيـ اـسـتـخـرـاجـ الـحـيـاتـ ، بلـ فـيـ
اسـتـخـارـ الـجـنـ وـالـشـيـاطـيـنـ ؟ وـبعـضـ الـأـدـعـيـةـ الـمـنـظـوـمـةـ ، الـمـأـثـورـةـ تـؤـثـرـ فـيـ اـسـتـمـالـةـ
الـمـلـائـكـةـ إـلـىـ السـعـيـ فـيـ اـجـابـةـ الدـاعـيـ ، وـيـقـصـرـ الـعـقـلـ عـنـ اـدـرـاكـ كـيـفـيـتـهـ وـخـاصـيـتـهـ .
وـإـنـماـ يـدـرـكـ ذـلـكـ بـقـوـةـ النـبـوـةـ إـذـاـ كـوـشـفـ السـرـ بـهـاـ مـنـ الـلـوـحـ الـمـحـفـوظـ ؟ فـكـذـلـكـ
صـورـةـ الـصـلـاـةـ الـمـشـتمـلـةـ عـلـىـ رـكـوعـ وـاحـدـ ، وـسـجـودـينـ ، وـعـدـ مـخـصـوصـ ؟ وـأـلـفـاظـ
معـيـنةـ مـنـ الـقـرـآنـ مـتـلـوـةـ مـخـتـلـفـ الـمـقـادـيرـ ، عـنـدـ طـلـوـعـ الشـمـسـ ، وـعـنـدـ الزـوـالـ وـالـغـرـوبـ
تـؤـثـرـ بـالـخـاصـيـةـ فـيـ تـسـكـينـ التـيـنـ الـمـسـكـنـ» فـقـالـ الـآـدـمـيـ ، الـذـيـ يـتـشـعـبـ مـنـهـ حـيـاتـ
كـبـيرـةـ الرـؤـوسـ ، بـعـدـ أـخـلـاقـ الـآـدـمـيـ ، يـلـدـغـهـ ؟ وـيـنـشـهـ فـيـ الـقـبـرـ ، مـتـمـكـناـ مـنـ

جوهر الروح وذاته ، أشد إيلاماً من لدغ مَكْنَ القالب أولاً ، ثم يسري أثره إلى الروح ؛ واليه الاشارة بقوله عَزَّوجلَّ « يسلط على الكافر في قبره ثنين ، تسعه وتسعون رأساً ، صفتنه كذا وكذا ... الحديث » ويكثر مثل هذا التثنين في خلقة الآدمي ولا يقمعه إلا الفرائض المكتوبة ، فهي المنجية من المهملات ، وهي انواع كثيرة ، بعدد الاخلاق المذمومة ، وما يعلم جنود ربك الا هو . فإذا ذكر في التكليف غرضان : أدرك هذا المغدور احدهما ، وغفل عن الآخر ، وقد وقع لأبي حنيفة مثل هذا الظن في الفقهيات ، فقال : أوجب الله في اربعين شاة ، شاة ، وقصد به ازاله الفقر ، والشاة آلة في الإزالة ، فإذا حصل بها آخر فقد حصل تمام المقصود فقال الشافعي رضي الله عنه : صدقت في قولك إن هذا مقصود ، وركبت متن الخطير في حكمك بأنه لا مقصود سواه ، فهم تأمره ، اذ يقال له يوم القيمة ، كان لنا سر في اشراث الغير ، الفقير ، مع نفسه ، في جنس ماله . كما كان من يرمي سبعة أحجار في الحج ، يؤدي بذلك خمس لآل ، أو خمس أكبر إذ لم يقبله ، وإذا جاز أن يتم حض التقييد في الحج ، وأن يتم حض المعنى المعقول في معاملات الخلق ، فلما يستحل أن يجمع المعقول والتقييد جميعاً في الزكاة ، فت تكون ازاله الفقر معمولة ، والسر الآخر غير معمول . وزاد أبو حنيفة على هذا فقال : المقصود من كلة التكبير الثناء على الله بالكرياء ، فلا فرق بينه وبين ترجمته بكل لسان ، وبين قوله الله أعظم ، فقال الشافعي : ومم علمني أنه لا فرق في صفات الله بين المظمة والكرياء ؟ مع أنه تعالى يقول : العظمة إزارى ، والكرياء ردائي ، والرداء أشرف من الإزار وهلا استبسطت مقصود الخضوع من الركوع ، وأفقت مقامه السجود ، لانه أبلغ منه في الاستكانة . فإن قلت لعل الله سرّاً في الركوع خاصة سوى ما فهمناه ، فلم يستحيل أن يكون له سر في كلة السلام فلا يقوم مقامه الحديث ، وكل خطاب الآدمي . وأن يكون له سر في القرآن المجز ، ولا يقوم مقامه غيره ، وقد أقام الترجمة مقامه ، وإن يكون له سر في الفاتحة ، وقد أقام مقامها سائر القرآن ،

فإن كان يقول المقصود معاني القرآن ، تأثر القلب لاحروفه وأصواته ، فإنها آلات ؟ فهلا قال : والمقصود من حركة الإنسان تأثر القلب ، فليكف عن القراءة للجلوس مع الله تعالى على هيئة الإجلال والذكر ، والسؤال بصورة الصلاة . وجميع ماذكر أبو حنيفة بطلانه ، مظنوون غير مقطوع . أما إقامة القراءة بالقلب مع ترك حركة الإنسان ، وملازمة الذكر مع ترك الركوع والسجود بصورة الصلاة ، فمقطوع بطلانها بالإجماع ؛ وهذا الخبر به ذلك الخيال الضعيف ، إلى خرق الإجماع ، ومخالفة الشرع القطاع . فإذا كان المبتدئ بالمعونة مجرد المعاني عن الصور ، ويطرح الصور ، فيطفيء نور معرفته نور ورعيه ، فيثور عليه التنين في قبره ، فيتعجب منه ويدو له من الله مالم يكن يحتسب ، فإذا أصابته ضربة التنين ، قال : ما هذا ؟ فقال : إنما كان هذا التنين صور الفرائض المكتوبة . واليه الاشارة بما يروى « أن الميت يوضع في قبره ، فتأتيه ملائكة العذاب من جهة رأسه فيدفعه القرآن ، فتأتيه من قبل رجليه فيدفعه الحج ، الحديث » ، فإن أصر هذا المغروف على جهالاته ، وقال من بلغ رتبة الكمال ، كما بلغت ، أمن هذا التنين ؟ وظهر باطننه عنه ، فيقال له : إنك مغروف في أمتك ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فبم تؤمن ، أن يكون التنين مستكتناً في حريم الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، أو استكنان النار في الرماد ، وإن مات فيعود حياً فإن منيته ومنبعثه هذا القالب الذي هو مظنة الشهوات والصفات البشرية ، وقلع الحشيش لا يؤمن عوده مرة أخرى أن يتجدد بناته ، منها كانت الأرض معرضة لأنصيب الماء إليها من متبعها ، فكذلك القالب مadam مصباً لواردات الحسوات والشهوات ، لم يؤمن فيها عود النبات بعد الانقطاع والابتها . ونفهم على هذه المعرفة ، بالتأمل في ثلاثة أمور : الأول ، بداية حال إبليس ، وأنه كيف وصف بأنه كان معلم الملائكة ، ثم سقط عن درجة الكمال بمخالفة أمر واحد ، اعزازاً بما عنده من العلم ، وغفلة عن أسرار الله في الاستعباد ، ولم يسقط عن درجته إلا بكياسته ،

وفطنة ، وتمسكه بعقوله ، في كونه خيراً من آدم عليه السلام ؟ فنبه الخلق بهذا الرمز ، على أن البلاهة أدنى إلى الخلاص ، من فطانة براء وكياسة ناقصة . الثاني حال آدم عليه السلام ، وأنه لم يخرج من الجنة إلا بر كوبه نهياً واحداً ، ليعلم أن في ر كوب النهي إبطال الكمال خالقه . الأمر الثالث ، حalar رسول الله ﷺ ، فإن هذا المغفور ، لعله لم تسلم له رتبة الكمال . ثم إنها عزيمته لم يزل يلازم الحدود ، ويوازن على المكتوبات ، إلى آخر أنفاسه ، بل زيد في فرائضه ، وأوجب عليه التهجد ، ولم يوجب على غيره ، وقيل له : « يا أيها المُزَمِّلُ قُمْ الْسَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، نَصْفَهُ أَوْ اثْنَيْصُصْ مِنْهُ قَلِيلًا » وإنما أوجبت عليه هذه الزيادة ، لأن الخزانة كلها ازداد جوهرها نفاسة وشرفاً ، ينبغي أن يزداد حصنها إحكاماً وعلواً ؟ فلذلك قيل له في تعليق إيجاب التهجد : « إِنَّمَا سَنُنُّكَ عَلَيْكَ قُولًا قَلِيلًا إِنَّ فَاطِمَةَ الْأَلِيلِ هِيَ أَشَدُ وَطَأً وَأَقْوَمُ قَلِيلًا » فتبن له ، أن هذه الصلوات هي حصن الكمال ، فلا يبقى إلا به .

ولعل هذا المغفور المتعوه ، يقول : إنه إنما كان يوازن عليه إشفاقاً على الخلق لأجل الاقتداء ، لا لحاجته إليه في حفظ الكمال ، فيقال له : فلم زاد عليه في التهجد وجوباً ، هلاً قال إن مبلغ درجة النبوة يستغني عمما يحتاج إليه غيره ، ولو قال لقبل منه ، كما قبل منه أنه أحل له تسعة من النساء ، بل ما شاء ، فإنه بقوه النبوة يقوى على العدل مع كثرة النساء ، كما قبل من المدرس ، أن يأمر تلامذته بالتسكير ، والتسهد ليلاً ، وهو ينام ؟ ويقول إنني بلغت درجة استغننت عن ذلك ، وليس يترك أحد تكراره بهذه الشبهة . ولعل هذا إذا اختار ضحاك الشيطان وسيحرره منه ، وقال له أنت أكمل من النبي ، والصديق ، وكل من واظب على الفرائض ، وعند هذا يقطع الطمع من صلاته . فهو من قال فيهم : « وإن تدعهم إلى المهدى فمن يهتدوا إِذَا أَبْدَأُ » .

مسألة : أما ما ذكره ، من أنه لو اشتغل بالتكليم لشغله ذلك عن

القربة التي نالها ، والكمال الذي بلغه ، فهو كذب صريح ، ومحال فاحش قبيح ، لأن التكاليف قسمان : أمر ونهى .

فأما المنهيات : مثل الزنا ، والسرقة ، والقتل ، والضرب ، والغيبة ، والكذب ، والقذف ، فترك ذلك كيف يشغل عن الكمال ، وكيف يحجب عن القرابة ؟ والكمال كيف يكون موقوفاً على ركوب هذه الفاذورات .

وأما المأمورات : فكالزكاة ، والصوم ، والصلوة ، فكيف تتجبه الزكاة ولو أفقع جميع ماله ، فقد دفع السوء عن نفسه ؟ ولو صام جميع دهره ، فهل يفوته بذلك إلا سلطنة الشهوة ؟ فما الذي يفوت من الكمال بترك الأكل ضحورة النهار ، في شهر واحد هو رمضان . وأما الصلاة : فتقسم إلى أفعال ، وأذكار ، وأفعاله : قيام ، وركوع ، وسجود ، ولا شك في أنه لا يخرج من القرابة بالأفعال المعتادة ، فإنه إن لم يصل ، فيكون إما قاماً ، أو قاعداً ، أو مضطجعاً ، وغير المعتاد هو السجود ، والركوع ، وكيف يحجب عن القرابة ما هو سبب القرابة . قال الله لنبيه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « واسجد واقرب » ومن عشق ملكاً ذا جمال ، فإذا وضع على التراب بين يديه ، استكانة له ، وجد في قلبه من يد روح ، وراحة ، وقرب . ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، فاستدامة حال القرابة واستزانتها في السجود ، وأيسر منه في الاضطجاع والقعود ؛ ومهمها ألفي قلبه ، أن السجود سبب حرمانه عن القرب ، كان ذلك أنموذجاً من حال إبليس ، حيث ألوى في نفسه ، أن السجود بحكم الأمر ، سبب زوال قربته ، وكامله ، فكل ولی سقط من درجة القرابة ، إلى درجة الملعنة ، فسببه ترك السجود ، ومقتداه وإمامه إبليس ؛ وكل ولی أسعد بالترقي إلى درجات القرب ، قيل له « اسجد واقرب » ، ومقتداه وإمامه ، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ولا ينبغي أن يتوجه الولي الخالص عن خداع إبليس ما دام في هذه الحياة ، بل لا ينجو عنه الأنبياء ؛ حتى أجري على لسانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« تلکَ الفرائق العُلَا وإنْ شفاعةهن لترجحى » لكنَّ الّذِي لا يقرُّ على الخطأ
 كَمَا قالَ تعالٰى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيًّا إِلَّا إِذَا قَنَّى أُنْقَ الشَّيْطَانُ
 فِي أَمْبِيَتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ ... الْآيَةِ » ؟
 وَأَمَّا أَرْكَانُ الصَّلَاةِ ، فَتَكْبِيرٌ وَفَاتِحةٌ وَتَشْهِيدٌ ؛ لَا فِرِيْضَةٌ إِلَّا هَذَا ،
 فَهَا وَجْهُهُ الضرورة في قوله ﷺ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَفِي الْحَمْدِ لِلَّهِ ، وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ ،
 وَاسْتِعْانَتُهُ ، وَطَلْبُ الْهُدَى ، إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهَذَا مَضْمُونُ الْفَاتِحةِ ،
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَنْاجَاهٌ ، مَعَ اللَّهِ تَعَالَى . وَإِنْ صَحَّ مَا يَقُولُهُ مَثَلًا وَفِي كُلِّ يَوْمٍ آلَافَ
 نَفَسٍ ، فَلَيَصُرِّفَ هَذِهِ الْأَنْفَاسُ الْمَعْدُودَةُ ، إِلَى الذِّكْرِ وَالسُّجُودِ ، وَلَيَنْقُصَ هَذِهِ
 الْأَلْحَاظَاتُ مِنْ دَرَجَاتِ كَالَّهِ ، لِيَأْمُنَ بِهَذِهِ الْمَكْتُوبَاتِ ، عَنْ ضُرِّ التَّنَيِّنِ ، الَّذِي
 لَا يَعْتَدُ بِشَرِّ سَوَاهِ ، وَيَتَخلَّصُ مِنْ خَطَرِ الْخَطَأِ فِي هَذَا الاعْتِقَادِ ، وَلَا شَكُّ فِي
 أَنَّ الْخَطَأَ مُمْكِنٌ فِيهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَقْطُوعًا بِهِ . وَإِنْ قَالَ إِنَّ عَزَوفَ الْقَلْبِ ، إِلَى
 حَفْظِ تَرْتِيبِ الْأَفْعَالِ ، وَالْأَذْكَارِ ، هُوَ الَّذِي يَشْغُلُنِي عَنْ دَرْجَةِ الْقُرْبِ ، فَهُوَ دُعْوَى
 مَحَالٍ . لَأَنَّ الْمَهْدِيَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَافُفِ الْحَفْظِ ، بَلْ الْمَشْهُورُ غَيْرُهُ ، إِذَا حَفْظَ
 شَيْئًا مِنْهُ بِنَاسِبِ حَالِهِ ، لَمْ يَعْتَدُ الْيَقِينَ بِهِ ، مَعَ حَفْظِ طَرِيقِهِ وَإِلْخَاحِهِ ، بَلْ يَجِدُ مِنْ
 نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ هَزَةً وَنَشَاطًا ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ قَرْةُ عَيْنِ الْعَبْدِ فِي مَنْاجَاهِ مُحِبِّوْهُ ،
 وَخَدْمَتِهِ الَّتِي رَسَمَهَا وَارْتَضَاهَا لَهُ .

مَسْأَلَةُ مَعْنَى ارْتِفَاعِ التَّكْلِيفِ عَنِ الْوَلِيِّ :

بَلْ مَعْنَى ارْتِفَاعِ التَّكْلِيفِ عَنِ الْوَلِيِّ أَنَّ الْعِبَادَةَ تَصِيرُ قَرْةَ عَيْنِهِ ،
 وَغَذَاءَ رُوحِهِ ، بِحِيثُ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ فَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ كَلْفَةٌ فِيهِ ، وَهُوَ كَالصَّبِيِّ
 يَكْافِ حُضُورُ الْمَكْتَبِ ، وَيَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ قُهْرًا ، فَإِذَا أَلْبَنَ بِالْعِلْمِ صَارَ ذَلِكَ أَلْذَّ
 الْأَسْبَابُ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ كَلْفَةٌ . وَتَكْلِيفُ الْجَمَاعَ لِيَتَناولُ الطَّعَامَ
 الْمَذِيدَ مَحَالٍ ، لَأَنَّهُ يَأْكُلهُ بِشَهْوَتِهِ وَيَلْتَذِدُ بِهِ ، فَأَيُّ مَعْنَى تَكْلِيفِهِ . فَإِذَا تَكْلِيفُ
 الْوَلِيِّ مَحَالٍ ، وَتَكْلِيفُهُ مُرْتَقِعٌ عَنِ الْوَلِيِّ بِهَذَا الْمَعْنَى ، لَا بَعْنَى أَنَّهُ لَا يَصُومُ ،

ولا يصلِي ، ويشرب ، ويزني . وكما يستحيل تكليف العالِق الناظر
إلى مُعْشوقه ، وتقبييل قدميه ، والتواضع له ، لأن ذلك متى
لذته وشهوته ، فكذلك غذاء روح الولي في ملازمته ذكره ، وامتثال أمره ،
والتواضع له بقلبه ، لا يكفيه اشتراك القلب مع القلب في الخضوع إلا بصورة
السجود ، فيكون ذلك كلاماً للذلة الخضوع والتعظيم ، حتى يشترك في الاتناد
قلبه وقلبه . كما قيل :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر

أي ليدرك سمعي لذة اسمه ، كما أدرك ذوق طعمه ، بل تنتهي لذة الولي
من القيام لربه قاتتاً مناجياً ، إلى أن لا يدرك الورم في القدم ، فيقال له ألم يغفر
لَكَ ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول أفلاؤ كون عبداً شكوراً .

مسألة : هل يسقط وقع العبادة من القلب تکلف المواظبة عليهم؟

أما قولك أنه إذا تکلف المواظبة على العبادات المشروعة ، وقد
تغير اعتقاده فيها ، وسقط وقها من قلبه ، فهل ينفعه ذلك ؟ فاعلم أنه لو لم
يعتقد أنه لا فرق بين وجودها وعدمه ، في حفظ درجة الكمال والقرب ، أو
دفع مهلكات الباطل ، وجوز أن يكون لله تعالى سر فيها ، ليس يطلع عليه هو ،
فعبادته صحيحة ، وإن اعتقد أنه لا فرق بين وجودها وعدمه ، وأنه لا يتصور
أن يكون تحت خاصيته سر هو لا يطلع عليه ، فعبادته باطلة ، بل إيمانه بالإلهية
والنبوة تخيل باطل ، فإنه إذا لم يجوز في كمال قدرة الله تعالى سراً بعينه من
الأسرار ، وخاصيته من الخواص في الأعمال والأفكار ، فليس مؤمناً بكمال
القدرة ، ويرى القدرة قاصرة على قدرة عقله ، وهو كفر صريح .

وإن جوز ذلك ، وإن يكن اعتقد أنه لم يكلف به فهو كافر بالنبوة ، جاهم بما
علم بالضرورة من الشريعة ، فإنه عليه ، بل لي قوله تعالى : « إن الصلاة
كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » وفهم الصحابة ، وأهل الاجتماع ،

وجوب الصلاة على العموم من غير استثناء ، فإن شك في إيجاب الرسول، فليتأمل القرآن والأخبار ، وإن شك في قدرة الله تعالى على نفسه في الأعمال والأذكار» تكون الفريضة لأجله كالحصن له وجه الكمال ، وكالحراسة على المهمات الباطنة، فليرجع إلى نفسه ، وليطالها أنها إن عرفت استحالة ذلك بضرورة العقل ، أو نظره ، فكيف يعتقد ذلك ويري في عجائب صنع الله تعالى ما هو فرع منه ، حتى

	ط	د
	ز	ه
و	م	ح

أن هذا الشكل ^(١) المشتمل كل ضلع منه على خمسة عشر عددًا من حساب الجمل ، إذا أثبتت رقمه على خرف ، لم يصبه ألم بشرط مخصوص ، ولو أعطى المرأة التي تعذر عليها الولادة عند الطلاق سهلت عليها الولادة ، وعرف ذلك بالتجربة ، وأنه

يؤثر بخاصية تقصر عقول الأولين والآخرين عن إدراك وجه مناسبته ، ويذكر مثل هذا في عجائب الخواص ؟ فمن أين يستحيل أن يكون لنظم الكليات الإلهية في الفاتحة - مع الجمع بين أعمال جميع الملائكة ، من القيام ، والركوع ، والسجود ، والقعود ؟ فإن كل واحد عمل صنف من الملائكة - خاصة في التجاة الأخرى ، أو في حفظ درجة الكمال والقرب ، أو دفع المهمات الباطنة » التي تلangu في القلب ، لدغًا أشد من لدغ الحيات ، والعقارب ؟ أو مؤثراً في سعادة الآدمي بوجه آخر من الوجوه ، يقصر العقل عن إدراكه ، فمن لم يؤمن بامكان هذا فهو عديم الاعيان والعقل جميًعاً .

مسألة هل يستغني المرء عن وسيلة الوصول اذا رصل :

أما قوله : المقصود المعرفة ، والاستواء على طريق السير إلى الله تعالى ، فقد استوى هذا السالك على الطريق ، وعرف الله ، وكان التكليف ، وسيلة الوصول إلى هذا المقصود ، وقد وصل واستيقن عن الوسيلة والمرشد ،

(١) أثبتنا الشكل كما جاء في الأصل وقد أورد الغزالى مثله في كتب أخرى .

وتعذر مراجعته . فهذا أيضاً يفهم جواهه مما سبق ، لأن جميع ذلك ، صادر عن ظن أن ما ليس حاصلاً في عالمه ، فليس حاصلاً في نفسه ؛ وهو كمحجوز ؛ ظنت أن ما تخالو عنه حجرتها ، تخالو عنه خزانة الملك وملكته ، أو كمسامة ، ظنت أنه ليس في العالم سماء إلا سقف بيتهما ، ولا أرض إلا عرصة بيتهما ، وهذا جهل عظيم . فإن جميع ما وصل إليه الأولياء ، بالإضافة إلى مقدورات الله تعالى ، أقل من قطرة في بحر . وإن سُلِّمَ له وصوله درجة الكمال ، فيجوز أن تكون صورة الصلوات المحس ، بطريق الخاصية ، سبباً لترقي إلى درجات الكمال التي نالها ، أو يكون سبباً لبقاء الكمال أو دوامه ، أو يكون لرسوخه ، حتى لا يتزحل في سكرات الموت ؟ فإن لم يوازن عليها ، فمساه يودعه الكمال عند الموت ، ويقال له إنما كان يثبت هذا ، إذا عصفت رياح الموت بالسامير المحس ، التي هي المكتوبات ، وكان يستحق بها ، فلما خلا من السامير ، تزعزع وانقطع ، فقد خابت وخسرت إ إذا فرحت بما عندك من العلم ، وسيقال لكم يوم القيمة : معاشر أهل الاباحة ، ما سلككم في سقر ؟ فسيقولون « لم نك من المصلين » فعلاج هذا المغدور ، الضعيف العقل ، المريض القلب ، أن يتأمل هذه الأمور ، ويحوز الخطأ على نفسه ، والسلام .

ومن غرائب المسائل عن حجۃ الاسلام^(١) :

إذا قال : من رد عبدي فله درهم قبله ، بطل ؛ كما إذا قال : إذا جاء رأس الشهر فلملان علي درهم ، لا يصح ؛ لأن التعليق ، إنما يكون للاستحقاق بعمل مقصود ، هو عوض الدرهم ، والواجب لا يتقدم على الموجب ، والتقدم على العمل زمان ، والزمان لا يصلح لأن يعلق به استحقاق المال . قاله الفزالي في كتاب علم الغور في درایة الدور .

(١) أكثرها مسائل فقهية .

إذا قالت المطلقة اقضت عدتي ، وقبلنا قولها ، ثم أنت بولد ، لرمان يحتمل أن يكون العلوق به في النكاح ، لتحقق النسب ؛ إلا إذا تزوجت، واحتمل أن يكون من الثاني . فلو قالت نكحت زوجاً آخر ، ولم يظهر لنا ، قال الغزالى في كتاب التحقيق^(١) فلا نص فيه ، وفيه احتمال ، ونظر مذهبى . اتهى .

إذا قال الزوج لامرأته ، أحللت أختك لي ، ونوى الطلاق فهل يقع ويكون هذا اللفظ كنایة عن طلاقها ، لأن حل أختها ، يتضمن تحريمها المؤذن بطلاقها ؟ قال الغزالى في التحقيق في مسألة : « أنا منك طالق » هذه المسألة غير منصوصة ، وإنما ولدها الحاضر ؛ ثم ذكر ما حاصله التردد ، في أنها هل تتحقق بقوله اعتدي لأن العدة حل شرعى ، وكذلك حل الأخت ، أو يفرق بينها بأن دلالة العدة على الطلاق ، أظهر من حل الأخت ، لغبته وحضوره في الذهن .

ويلزم المسافر أن يشتري الماء للطهارة بشمن المثل ، وقيل من المثل هو مواجرة نقله إلى موضع الشراء ، أخذًا من أن الماء ، لا يملك بعد الحصول في الاناء وهو بعيد جدًا لا يعرف إلا في النهاية ، والغزالى ذهب إليه في كتبه ، وادعى أنه جاوز ؛ وإن قلنا الماء مملوك ، أبعد وزاد في البعد ؛ وقال الرافعى : ولم أر من رجحه غيره .

صلاة في جماعة بلا خشوع وفي انفراد بخشوع : سئل الغزالى ، عمن يتتحقق من نفسه ، أنه يخشى في صلاته إذا كان منفردًا ، وإن صلى في جماعة تشتت همه ، ولم يكن الخشوع ، ما الأولى ؟ فأجاب رحمة الله بانفراد حينئذ أولى وأصح ، لحديث « يصلي العبد ولا يكتب له في الصلاة عشرها » قال : وفضسل رسول الله ﷺ صلاة الجماعة في لحظة ، إذا كان كاللو خضع في الانفراد في

(١) هو تحقيق المآخذ أو تحسين المآخذ وهو مفقود ويزدكره ابن المجاد باسم تحصيل المآخذ

سبعين وعشرين لحظة ، فإن كانت نسبة حضوره في الجماعة إلى حضوره منفردًا « أقل من نسبة واحدة إلى سبعة وعشرين ، فالانفراد أولى ، وإن كان أكثر من ذلك ، فالجماعة أولى . انتهى ملخصاً .

وسلك الشیخ عز الدین بن عبد السلام ^{١٠} هذا المسلک ، فأفتقی فیمن حضر
المجامعة مِ ائمّا ، أَنَ الانفراد لَهُ أَولى .

وهذا نهان الإمامان ، إذا عرض عليهما حديث ابن مسعود « ولقد رئينا في
عهد رسول الله ﷺ ، وما يختلف عنها — يعني الجماعة — إلا منافق معالمون
النفاق ، ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين اثنين ، حتى يقام في الصف ..»
الحديث . أوشك أن يقولا: أنه لم يكن في السلف من يذهب للجماعة حضوره «
وخشوعه ، وخشوعه ، بخلاف السؤال عنه في المسألة ، المسؤول عنها بواقعة في
السلف ؟ وأنا أقول مع ذلك: الذي يظهر أن حضور الجماعة أفضل مطلقاً، وتركها
يربو على ذهاب الخشوع الذي حصل للسائل ، والزمان الذي ذكره الفزالي لا اعتبار
الموازنة ، أبعد عن الحضور من زمان الجماعة ، فالجماعة خير له من أن
يشتغل باعتبار هذه الموازنة ، وب مجرد تردد ، في أنه هل يحصل له من الخشوع
في الجماعة ما يحصل في الانفراد ، نوع من الخشوع ، والجماعة بكل سبيل أولى .
ثم هذا الذي قاله الفزالي مع كونه غير مسلم ، في حق واحد من الأحاداد ، يتفق
له ذلك في بعض الأحيان ، أما جمع كثير يتلقون على ذلك ، أو واحد ترك
الجماعة دائمًا معتلًا بهذه العلة ، فلا يسمع منهم ، ولا منه ، ولا ترك سنة رسول
الله ﷺ ، التي افترضها قوم ، وشرطها آخرون لصحة الصلاة ، مثل هذه
الحالات ، ولا يفتح لا بليس هذا الباب ، بل البركة كل البركة في الاتباع ،

(١) عبد العزيز بن عبد السلام شيخ الاسلام ، له واقمة مشهورة مع الماليك في القاهرة توفي سنة ٦٦٠ هـ .

وِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الْخُشُوعِ ؟ فَإِنْ يَأْتِي فِيهَا وَنَعْمَتْ ، وَلَا تَرْكٌ . الْخُشُوعُ مُتَابَعَةُ السَّنَةِ خُشُوعٌ خَيْرٌ مِنَ الْخُشُوعِ الْحَاصِلِ مَعَ الْاِنْفَرَادِ ؟ فَتَأْمَلُ ذَلِكَ ، فَهُوَ حَسْدٌ دَقِيقٌ ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ السَّنَةَ وَإِنْ وَقَعَتْ نَاقِصَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ بِلَا خُشُوعٍ ، خَيْرٌ مِنَ لَا سَنَةَ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا سَنَةٌ أُخْرَى وَهِيَ الْخُشُوعُ . وَقَدْ ادْعَى بَعْضُ مُحَاجِيِّ الْمُخْلُوَةِ ، تَرْكَ الْجَمَاعَةِ مُثِيلُ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ عِنْدَنَا أَمْرٌ مُنْكَرٌ ، بَلْ خَرْوَجَهُ إِلَى الْجَمَاعَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ سَنَةً سَاعَةً ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْفِ سَاعَةٍ مَعَ تَرْكِ السَّنَةِ ، وَإِنْ دَقَقَ مَدْقُوقٌ وَقَالَ : لَا نَسْلِمُ ثَبَوتَ السَّنَةِ ؛ فَهُوَ مُحَجُّوجٌ بِالظَّوَاهِرِ الدَّالَّاتِ عَلَى طَلَبِ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْأَطْلَاقِ ، مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ خَاسِعٍ وَمُشَتَّتٍ .

السَّنَةُ بَعْدُ صَلَاةِ الْجَمَعَةِ قَالَ أَبْنُ الصَّلَاحِ : مِنْ مَفَرَّدَاتِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ ذُكِرَ فِي «بِدَايَةِ الْمَهْدَى» فِي سَنَةِ الْجَمَعَةِ بَعْدَهَا ، أَنَّهُ أَنْ يَصْلِيْهَا رَكْعَتَيْنِ ، وَأَرْبَعًا ، وَسَتًا . فَابْعَدَ فِي سَيْتٍ وَشَذَّ بِهِ قَالَ النَّوْوَى : رَوَى الشَّافِعِيُّ بِإِسْنَادِهِ ، فِي كِتَابِ عَلِيٍّ ، وَابْنِ مُسْعُودٍ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُصْلِيًّا بَعْدَ الْجَمَعَةِ ؛ فَلَيَصْلِيْهُ بَعْدَهَا سَتَ رَكَعَاتٍ . قَلْتُ : وَهَذَا الْمَرْوِيُّ عَنْ عَلِيٍّ كَرَمُ اللَّهُ وَجْهَهُ ، حَكِيٌّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَعَطَاءَ ، وَمُجَاهِدَ ، وَحَمِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَفِيَّانَ الثُّوْرَى ، وَرَوْيَايَةَ أَحْمَدَ ، وَأَغْرَبَ صَاحِبِ الْكَافِيِّ ، فَقَالَ فِيهِ : الْأَفْضَلُ أَنْ يَصْلِيْ بَعْدَهَا سَتًا أَخْذَأً بِالْأَكْثَرِ ، فَرَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَرْبَعًا بِسْلَامٍ وَاحِدٍ . اتَّهَى لِفَظُ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي الْكَافِيِّ .

ذكر كلام ابن الملقن^(١)

٧٩٠

محمد ، بن محمد ، بن محمد ، زين الدين ، حجۃ الاسلام ، احمد الأئمة ، ولد بطوس ، سنة خمسين وأربعين ، سنة مات المازري ، وأبو الطيب الطبری^(٢) ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، وكان اشتغاله أولاً بطلب القوت ، لما نفذ مالخلفه أبوه ، قال الغزالی : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله ، وبحکمی کی ان اباہ کان یحیا ملکہ ، وسأله اللہ اُن یرزقہ ابنا ففیہا ؟ ویحیا ملکہ ، ویسائل اللہ اُن یرزقہ ابنا واعطاً ، فاستجيب له في محمد ، واحمد .

اشتغل على الامام^(٣) وغيره ، وكان الامام ينحصر من تصانيفه « وأنه لما صنف المخول عرضه عليه فقال دفتني وأنا حي ، فهلا صبرت حتى أموت ، لأن كتابك غطى على كتابي . ولی تدریس النظامیة ، ثم خرج عمما هو فيه إلى طريق التصوف ، واستوطن دمشق عشر سنین^(٤) ، وصنف إحياء واجتمع

(١) هو سراج الدين ابو مصطفی عمر بن العلامة ابي الحسن علي النجوي . المتوفی سنة ٧٩٠ هـ . والكلام هنا من « طبقات الشافعیة » خطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) ولد ابو الطیب بآمد سنة ٣٤٨ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ وكان فقیراً مناظراً .

(٣) یعنی الجوینی .

(٤) وردت في الاصل « عشرين سنین » وهو خصاً في النقل ظاهر .

بالشيخ نصر المقدسي ، ثم انتقل إلى القدس ، ثم إلى مصر والاسكندرية ، ثم عاد إلى طوس .

وكان جاماً للفنون ، وصنف فيها ، إلا النحو فإنه لم يكن بذلك ، وإنما الحديث فإنه كان يقول أنا من زوجي البضاعة منه . ثم طلب إلى تدريس نظامية نيسابور فأجاب محتسباً فيه الخير ، والافادة ، ونشر العلم ، فأقام مدة على ذلك ثم تركه ، وأقبل على لزوم داره ، وابتلى خانقاه إلى جواره ، ولزم تلاوة القرآن والاشتغال بالحديث ، فسمع البخاري ، وبعض سنن داود ، ولو طالت مدته لبرز فيه ، لكن عاجله المنية ، فمات سنة خمس وخمسين ، عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقبرة الطبران .

ومن مصنفاته المشهورة : البسيط والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والإحياء ، وعالية القور في دراية الدور ، والمستصفي ، والمنحول ، والباب ، وبداية المداية ، ومنهاج العابدين ، وكيمياء السعادة ، وتحصين المآخذ وغيرها . وقد تكلم في الإحياء جماعة ، منهم : أبو بكر بن العربي ، والمازري ، والطرطوشى أبو بكر محمد بن الوليد ، وقد أوضحت ترجمته في كتاب « تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الأخبار » فسارع إليه ترشد وبالله التوفيق .

ومن شعره ما أنشد السمعاني في ذيله :

حلت عقارب صدغه في خده

(١)

وله أيضاً : انشده الأصفهاني في الجريدة :

هبني صبوت كما ترون بزعمكم

(٢)

(١) (٢) انظر الكتاب س ٦٧

ذكر كلام العسّياني^(١)

٨٥٥

توفي يوم العيد الأضحى من هذه السنة ، ودفن بباب حرب ببغداد ، الفزالي ، أبو حامد ، محمد بن محمد ، بن أحمد ، الفزالي ، الملقب حجة الإسلام ، زين الدين ، الطوسي ، الفقيه الشافعي ، لم يكن لطائفته الشافية في آخر عصره مثله . اشتغل في مبدأ أمره بطورس على أحمد الراذ كاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى درس الإمام ، وصبر في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من أعيان المشار إليه في زمن استاذه ، وصنف في ذلك الوقت ، ولم يزل ملازمًا له إلى أن مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، خفرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي نظام الملك ، فأكرمه ، وعظمه ، وبالغ في الاقبال عليه ، وكان يحضر الوزير جماعة من الأفضل ، وجرى بينهم الجدال ، والبحث ، والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، وانتشر اسمه ، وسارت باسمه الركبان ، ثم فوض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد ، بخاعها ، وبأثير القاء المدرس بها ، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وأربعين وثمانمائة ، وأعجب به أهل العراق ،

(١) هو الحافظ بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد المعروف بالمعيني الحنفي ولد سنة ٧٦٢ وتوفي سنة ٨٥٥ هـ . والكلام هنا من كتابه « عقد الجوان » مخطوط بدار الكتب المصرية في مادة وفيات سنة ٥٠٥ .

وارتفعت عندهم مهزلاته ، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين
وأربعين ، وسلك طريق التزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما راجع ،
توجه إلى الشام ، فأقام بدمشق مدة ، يذكر الدروس في زاوية الجامع ، في
الجانب الغربي منه ، انتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، ثم قصد
مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال انه قصد الركوب منها في البحر إلى
بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراكش ،
فيينا هو كذلك ، اذ بلغ إليه نهي يوسف المذكور ، فصرف عزمه عن تلك
النهاية ، ثم عاد إلى وطنه بطورس ، واستغل بنفسه .

وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون ، منها ما هو أشهرها : الوسيط والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، في الفقه . ومنها احياء العلوم ، وهو من أنفس الكتب وأجلها ، وله في أصول الفقه المستصفى ، والمنخول ، والمنتحل في علم الجدل ، وله تهافت الفلسفه ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، وغير ذلك . ثم ألمز بالعود إلى نيسابور بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودة ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاه لالصوفية ، ومدرسة للمشتغلين في العلم في جواره ، وزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومحاسة أهل القلوب ، والقعود للتدرس ، إلى أن انتقل إلى ربه الكريم .

^{١٠}) انظر الكتاب ص ٥٩ - ٦١ .

وكان بعض الناس يستغله بكتاب الاحياء فأعلمه بعيوبه فأصلاح ما يصلح
أسقاطه وزدت ما يصلح أن يزداد .

وقال ابن كثير وكتاب الاحياء كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ،
ومزوجة بأشياء لطيفة من التصوف ، وأعمال القلوب . ولكن فيه أحاديث كثيرة
غرائب ومنكرات ، وفيها ما هو موضوع ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع ، التي
يسدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقائق ، والترغيب والترهيب
أسهل أمرًا من غيره .

هذا وقد شنح عليه ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وقد
كان الغزالى يقول أنا من جي البضاعة في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره ،
إلى سعى الأحاديث ، والحفظ للصحابيين .

وفي المرأة^١ : وسمع حديث صحيح البخاري ، من أبي سهل محمد بن عبد الله الحفصي .
وكان إماماً في الفقه مذهبًا وخلافاً .

وقال ابن خلكان وكانت ولادة الغزالى في سنة خمسين وأربعين ، وتوفي
يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين .. بالطبران ودفن
بظاهرها ، وهي قصبة طوس ، وهي بفتح الطاء ، والباء الموحدة بينها ألف ساكنة
وبالراء المفتوحة بعدها ألف ، وفي آخرها نون . وهي إحدى بلدتي طوس ، بضم
الطاء المهملة ، وسكون الواو ، وبالسين المهملة ، وهي ناحية بخراسان ، تشتمل على
مدینتين : احدهما طبران ، والأخرى نوّقان ، بفتح النون ، وسكون الواو ،
وفتح القاف وبعد الألف نون . ولها ما يزيد على ألف قرية . والغزالى نسبة ، على
عادة أهل خوارزم وجرجان ، فلنهم ينسبون إلى القصار والعطّار ، فقالوا العطاري
والقصاري ، وقيل إن الرأى مخففة ، نسبة إلى غزلة من قرى طوس ، قالوا وهي
خلاف المشهور وأنا أقول : ينبغي أن يكون هو المشهور والله أعلم .

(١) المقصود «مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي مرت ترجمته .

وفي تاريخ بيروس ، وقيل إنه دخل بغداد ، ففُرمَ ملبوسـه ، ومرـكوبـه ،
بخمسة عشر قيراطـاً ، وسألـه بعض أصحـابـه قـبـيلـ الموت ، اوـصـيـ ، فـقـالـ : عـلـيكـ
بـالـاخـلاـصـ ، وـلـمـ يـرـلـ يـكـرـرـهاـ حـتـىـ مـاتـ . وـحـكـيـ أـخـوـهـ أـحـمـدـ ، قـالـ : لـمـ كـانـ يـوـمـ
الـاثـنـيـنـ وـقـتـ الصـبـاحـ ، تـوـضـأـ أـنـيـ أـبـوـ حـامـدـ ، وـصـلـىـ وـقـالـ : عـلـيـ بـأـكـفـانـيـ ،
فـأـخـذـهـ ، وـقـبـلـهـ ، وـتـرـكـهـ عـلـىـ عـيـنـيـهـ ، وـقـالـ سـعـاـوـطـاعـةـ لـلـدـخـولـ عـلـىـ الـمـلـكـ ، ثـمـ مـدـ
رـجـلـيـهـ ، وـاسـتـقـبـلـ الـقـبـلـةـ ، وـمـاتـ قـبـلـ الـاسـفـارـ ، وـلـبـعـضـهـمـ فـيـهـ شـعـرـ يـذـكـرـ فـضـائـلـهـ
وـبـعـضـ تـصـانـيـفـهـ ، فـيـ الـفـقـهـ وـالـمـذـهـبـ وـهـ شـابـ :

أـحـسـ اللـهـ خـلـاصـهـ شـيـدـ المـذـهـبـ حـبـزـ
وـوـجـيـزـ وـخـلـاصـهـ يـسـيـطـ وـوـسـيـطـ



ذكر كلام الزبيدي (١)

١٢٠٥

الحمد لله الذي أحيى بذكره قلوب عباده المارفين ، وأماط عن بواطفهم حجب
الخلفاء ، فقاموا لاحياء علوم الدين ، والصلة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد
الاولين والآخرين ، وصفوة الانبياء والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين وخلاصة الله
من خلفه أجمعين ، وعلى آله السادة الاكرمان ، وأصحابه الغر الميمان ، وأتباعهم
بإحسان الى يوم الدين . وبعد فهذه تقريرات شريفة ، وتحريات خفيفة ، املتها
على كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حين
سئل في اقرائه :
 (٢)
 وهذا بيان الكتب (٣) : التي منها أخذت ، وعنها بلا واسطة نقلت واستفدت .

(١) هو ابو الفيق محمد بن محمد المعروف بالمرتضى الزبيدي ولد في زبيد باليمن سنة
١١٤ وانتقل الى القاهرة وتوفي فيها . والكلام هنا من مقدمة كتابه الكبير « اخاف
السادة المتقيين بشرح اسرار الاحياء علوم الدين » .

(٢) لم أثبت المقدمة كاما وإنما اقتصرت على بعض الموضع التي لها علاقة بموضوع الكتاب
أو أكثر من غيرها .

(٣) أثبتت هذا الفصل لأهميته للباحث الذي يريد الرجوع الى المصادر التي اعتمد الزبيدي
عليها في شرحه للاحياء .

فمن ذلك في علم اللغة : شرح على القاموس الذي أحاط بجيد اللغة ، وحوشيه^ا
الذى إذا رأه المدقق البعيد عن المرا قال كل الصبر في جوف الفرا ، فاستغنىت
بمراجعةه عن جملة من الكتب المؤلفة في الفن ، وأوردت منه كل مستحسن ، ولم
أخل مع ذلك نظري في كتاب النهاية لابن كثير ، والفائدة للزمخشري ، والمفردات
لأبي قاسم الراغب ، وعمدة الحفاظ للحلاي ، والتوفيق المناوي ، وكتاب
الزينة لأبي حاتم الرازي ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ، فربما استفدت منها جملًا
كثيرة ، وأورتها مع مناسباتها في مواضعها .

ومن كتب أصول الفقه : التوضيح مصدر الشريعة ، وشرحه التنقیح للسيد
الجرجاني ، والتلویح لاسعد التفتازانی ؛ والمناج للبیدضاوی ، وشرحه محمد بن طاهر
القزوینی ، وشفاء الغلیل في مسالک التعلیل للمصنف .

ومن كتب الحديث التي احتاج الأمرو لمراجعته : شرح البخاري للحافظ
ابن حجر المسقلاني المسنی بفتح الباری ، وهو البحر التي تقف عنده الافهم
وتعترف من فيوضاته الاعلام ، مع اعادة النظر في كل من شروح القسطلانی ، وابن
الملقن ، والکورانی ، والزرکشی ، والسيوطی ، والسندي ، وشرح الجامع الصغير
للمناوي ، والسنن لکل من البهیقی ، والدارقطنی ، وشرح السيوطی على الترمذی ،
ومن المسانید للإمام أحمد ، وعبد بن حمید ، ومسدد ، وابن أبي شیبه ، والدیلی .
ومن المهاجم : الكبير والأوسط للطبرانی ولابن جمیع النسائی .

ومن الكتب التي اعتمد تخریج احادیث الكتاب علیها : المغني عن
حمل الاسفار لاحفظ العرافي في مجلد ، فاذکر کلامه عقیب الحديث ، ثم ازيد
عليه حسبما فوج اللہ علی^ف في مطالعی لكتب الفن ، وربما نقلت في بعض الموضع من
تخریجه الكبير عليه ، ولم أظفر منه الا على کراریس ؟ ومن ذلك الجامع الكبير
والصغير ، والذیل عليه ، الثلاثة للسيوطی ، ومواضیع ابن الجوزی ، والآلیء

المصنوعة في الأحاديث الموضعية ، استدراً كاً على ابن الجوزي لالسيوطى «مع الذيل» عليه ، له ، ونواذر الاصول للحكم ابي عبد الله محمد بن علي الترمذى ، والعمل للدارقطنى اثنا عشر مجلداً ، والكامل لابن عدي نحو ذلك ، والصلاح على المستدركة للعرaci الحافظ بخطه ، واقتضاء العلم العمل ، وشرف أصحاب الحديث ، كالاها لأبي بكر الخطيب الحافظ ، وتاريخه الكبير الحافل في عشر مجلدات ، والذيل عليه للبنداري في مجلد ، وأيضاً لابن البجبار الحنبلي في مجلدات ، وتجريدة الصحاح ، والسنن ، لرزين بن معاوية العبدري ، والسرقسطي ، والقول المسدد في الذب عن مسند الامام أحمد للحافظ السخاوي ، والامالي على مسانيد أبي حنيفة للرزين قاسم الحنفي الحافظ ، واللآلئ المنتشرة في الاحاديث المتواترة لابن طلوب الخنفي ، واطراف المسانيد العشرة للشهاب الابوصيرى ، وجمع الفوائد لمحمد بن سليمان ، وكتاب العلم لابن خثيمه زهير بن حرب النسائي ؛ الى غير ذلك مما استفدت من معاناتها واسرارها ، كشرح الملاعى على مختصر هذا الكتاب المسمى بعيان العلم والتربيـة الى محسن الشرـيعة للفضـال الشـاشـي ، والتربيـة الى مكارم الشرـيعـة لـابـي القـاسـم الراغـب^(١) والـبـحـرـاـزـاـخـلـأـبـيـ الطـيـبـ حـمـدانـ بـنـ حـمـدوـيـهـ، وجـواـهـرـ الـقـرـآنـ لـلـمـصـنـفـ، وـفـضـائـلـ الـقـرـآنـ لـلـقـرـطـىـ .

واما ما يتعلـقـ باـحـوالـ الدـينـ وـالـاعـتـقادـ وـالـفـقـهـ وـفـروعـهـ : فـسيـأـتـيـ بـيـاتـ مـاخـذـ كلـ ذـلـكـ فـيـ موـاضـعـهـ عـلـىـ ماـيـسـرـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ^(٢) فـيـ مـرـاجـعـهـ وـالـكـشـفـ عـنـ مـظـانـهـ ، فـأـذـكـرـ فـيـ كـتـابـ المـقـائـدـ ماـتـحـصـلـ لـدـيـ ، وـفـيـ الـعـبـادـاتـ كـذـلـكـ . وـأـمـاـ التـصـوـفـ وـالـرـقـائـقـ فـقـدـ طـالـعـتـ عـلـىـ كـتـبـاـ كـثـيرـ ، وـاجـلـهاـ مـقـدـارـ الـرسـالـةـ للـلامـ اـبـيـ القـاسـمـ الـقـشـيرـيـ ، وـشـرـحـاـهاـ لـابـيـ مـحمدـ عـبـدـ الـمعـطـيـ بـنـ حـمـودـ الـلـخـميـ وـلـشـيـخـ الـإـسـلـامـ زـكـرـيـاـ ، وـقـوـتـ الـقـلـوبـ لـابـيـ طـالـبـ الـمـكـيـ^(٣) ، وـعـلـيـهـاـ مـدارـ كـتـابـ

(١) اعتمد الغزالى على هذا الكتاب في كثير من ايجائه الاخلاقية .

(٢) قوت القلوب من اهم المصادر التي استفاد منها الغزالى .

«الشيخ غالباً ، ومنازل السائرين للشيخ الاسلام الهروي ، وعوارف المعرف للشهاب السهوردي ، والتعرف لابي نصر الكلابادني ، وتأيد الحقيقة العلية لاحفظ السيوطي ، ومنارات السائرين ومقامات الطائرين للشيخ نجم الدين داية ، ومفيض العلوم لابي بكر الخوارزمي ، والذهب الابريز في مناقب سيدى عبدالعزيز تأليف أفضل المتأخرين احمد بن مبارك المطاي السجلماسي .

ومن كتب التوارييخ : الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، والطبقات الكبرى لابن السبيكي ، وطبقات القطب الخضرى ، والحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقى .

وفي أسماء الرجال : الكافش لحافظ الذهبي ، والديوان له ، والمشتق له ، والكتي لابن المهندس ، والتبيصير لحافظ بن حجر .

وأما ما نقلت منه مسألة ، أو كلية غريبة ، أو فادرة عجيبة ، من أجزاء ومعاجم ومسانيد ومشيخات ورسائل وأمالي ومستخرجات ، فشيء لا أحصيه الآن كما ستقف عليه عند رفع الستور عن وجه البيان .

ارواهوا المفاهيم ، صنف هزا الكتاب وهي مستعملة على

أحد وعشرين فصل و خاتمة

الفصل الاول : في ترجمته

قال ابن السبيكي في طبقاته « هو الامام الجليل (١)

وزاد المناوى في طبقاته بعد قوله في اول الترجمة في المنطق منها والمفهوم بمانصه : بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر ، وبحر سما على السماء وأين للسماء مثل ماله من الزواهر ، وروضة عالم تستقل الرياض فنشرها أن تحكى مالديه من الاذاهر ، انتظمت بقدر العظيم عقود الملة الاسلامية ، وابتسمت بدرره ثغور

(١) انظر الكتاب ص ٩٤

الشريعة الحمدية ، فغاوص من العلوم في بحار عميقة ، وروض نفسه في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة .

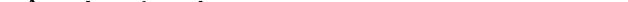
وقال أبو إبراهيم ، الفتح ، بن علي البغدادي في ذيله على تاريخ بغداد : هو من متر العيون مثله ، لساننا ، ونطقاً ، وبياناً ، وخطراً ، وذكاء ، وطبعاً .

وقال ابن المقري في تحفة الارشاد ، الى سبيل الرشاد ، ما نصه : باسمه تنشرح الصدور ، وتحيا النفوس ، وبرسمه تفتحن المحابر وتشهر الطروس ، ولسماعه تخشع الاصوات وتخضم الرؤوس .

وترجمة الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، في تاريخه ، فأطال فيها ؛ وكذلك
الحافظ ابن السمعاني نحو منه .

وقال الحافظ محب الدين بن النجاشي البهلي ، في ذيله على تاريخ بغداد مانصه :
إمام الفقهاء على الاطلاق ، ورباني الامة بالاتفاق ، ومحتمد زمانه ، وعين وفته
وأواهه ، ومن شاع ذكره في البلاد ، واشتهر فضله بين العباد ، واتفقت الطوائف
على تبجيله وتمظيله وتوقيره وتسكريمه ، وحافه المخالفون ، وانصر بحججه المناظرون
وظهر بتفقيحه فضائح المبتدعة والمخالفين ، وقام بنصر السنة وإظهار الدين وسارت
مؤلفاته في مسير الشهمس في المهرجة والجمال ، وشهد المافق والمخالف بالبهجة والكمال .

الفصل الثاني: في بيان مولده وشيء من أخبار نشأته

(1) 

الفصل الثالث : في بيان مبدأ طلبه للعلم

(4)

^١) أكثره من طبقات السبكي انظر الكتاب ص ٩٣ وما بعدها

٢) هذا الفصل مأخوذ كله من طبقات السبكي انظر الكتاب ص ٥ و ما بعدها

الفصل الرابع : في بيان ما آل إليه أمره .

(١)

ورأيت في بعض المجامع ، أن سبب سياحته وزهده ، أنه كان يوماً يعظ الناس
فدخل عليه أخوه أحمد فأنشد :

وخلفك الحمد إذا أسرعوا
وتسمع وعظاً ولا تسمع
تسن الحديد ولا تقطع
أخذت باعضاًهم إذ ونا

وأصبحت تهدي ولا تهتدي
فيما حجر الشح حتى متى

فكان ذلك سبباً في تركه علاقه الدنيا .

وذكر عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب نيسابور في ترجمته بعد أن وصفه
قال : وسلك طريق الزهد والتأله (٢)

بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة .

وما وجد بخط الزاهد قطب الدين محمد بن الارديلي قال : قال حججة الاسلام:
كنت في بداية أمري منكراً للأحوال الصالحة ، ومقامات العارفين ، حتى حظيت
شيفخي يوسف النساج بطوس فلم يزل يقصاني بالمجاهدة ، حتى حظيت بالواردات ،
فرأيت الله في المنام فقال لي : يا أبا حامد ، قلت : أو الشيطان يكلمني ، قال لا بل
أنا الله المحيط بجهاتك الاست ، ثم قال : يا أبا حامد ذر مساطرك ، واصحب أقواماً
جعلتهم في أرضي محل نظري ، وهم الذين باعوا الدارين بحبي ، فقلت بعزتك الا
أذقني برد حسن الظن بهم ، فقال : قد فعلت ، والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب
الدنيا ، فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً ، فقد أفضلت عليك أنواراً

(١) القسم الأكبر من هذا الفصل مأخوذ من طبقات السبكى انظر الكتاب ص ٩٣

(٢) انظر الكتاب ص ٤٢ - ٤٥

من جوار قدسي، ففز ونزل . فاستيقظت فرحًا مسروراً وجلست إلى شيخي يوسف النساج ، فقصصت عليه المقام ، فتبسم . وقال يا أبا حامد هذه الواحنا في البداية ، محو نها بأرجلنا ، بل إن صحبتي سيكمل بصر بصيرتك بإتماد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله ، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد مالا تدركه الأبصار فتصفو من كدر طبيعتك ، وترقى على طور عقلك ، وتسمع الخطاب من الله تعالى كمسى « إِنَّا لِهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » .

وَقُلِ الْقَطْبُ سِيدِي عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَجْوَبَةِ الْمُرْضِيَّةِ ، عَنِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ^(١) مَا نَصَهُ ، وَكَانَ النَّفَارِيُّ يَقُولُ : لَمْ أُرِدْتُ أَنْ أُخْرِطَ فِي سَلْكِ الْقَوْمِ ، وَأَشْرَبَ مِنْ شَرَابِهِمْ ، نَظَرْتُ إِلَى نَفْسِي ، فَوَجَدْتُ كُثْرَةَ حَجَبِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لِهِ شَيْخٌ إِذْ ذَاكَ – فَدَخَلَتِ الْخَلْوَةَ ، وَاسْتَغْلَتِ بِالرِّياضَةِ وَالْمَجَاهِدَةِ أَرْبَعينَ يَوْمًا فَاقْدَحَ لِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي ، أَصْفَى وَأَرْقَ مَا كَنْتُ أَعْرَفُهُ ، فَنَظَرْتُ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ قُوَّةُ فَقِيَّةٍ ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْخَلْوَةَ ، وَاسْتَغْلَتِ بِالرِّياضَةِ وَالْمَجَاهِدَةِ أَرْبَعينَ يَوْمًا ، فَاقْدَحَ لِي عِلْمٌ آخَرَ . أَرْقَ وَأَصْفَى مَا حَصَلَ عِنْدِي أَوْلًا ، فَفَرَحْتُ بِهِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِيهِ فَإِذَا بِهِ قُوَّةٌ مَزَوِّجَةٌ بِعِلْمٍ « وَلَمْ أُلْحِقْ بِأَهْلِ الْعِلْمِ الْلَّدُنِيَّةِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْكِتَابَةَ عَلَى الْمَحْوِ ، لَيْسَ كَالْكِتَابَةِ عَلَى الصِّفَاءِ الْأَوَّلِ وَالظَّاهَرَةِ الْأَوَّلِ ، وَلَمْ أُمِّيَّزْ عَنِ النَّظَارِ إِلَّا بِعِصْمَهُ أَمْرَرْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ رَحْمَةُ اللهِ أَبَا حَامِدٍ مَا كَانَ أَكْثَرُ إِنْصَافِهِ وَتَحْرِزَهُ مِنِ الدَّعْوَى . ا.ه.

الفصل الخامس: في ثناء الأكابر عليه من مشايخه وبهذا عاصمه وله أتى بعده
قال السبكى : حكى عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلى رضي الله عنه ،
وكان سيد عصره ، ولسان وقته ، وبركة زمانه ، أنه رأى النبي ﷺ في النوم ،

(١) محي الدين بن عربي

وقد باهى عليه الصلاة والسلام موسى وعيسى عليهما السلام ، بالامام الغزالى ، وقال
أفي أمتكم حبر مثل هذا قال: لا.

وسائل السيد العارف بالله سيد وقته أيضاً أبو العباس المرسي عن الغزالى ،
قال: أناأشهد له بالصدقية العظمى .

ونقل المناوى في طبقاته ، عن القطب الياافعى عن بعض العلماء الجامعين بين
علم الظاهر والباطن ، أنه قال : لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالى .

وشهد له القطب سيدى محى الدين بن العربي ، وناهيك به ، أنه من رؤساء
الطريقة وساداتهم ، ونقل عنه انه كان يرى المناسبة ، ويقول بها ؛ فرأى في بيت
المقدس حمامه وغراباً لصق احدها بالآخر ، وأنس به ، ولم يستوحش منه فقال :
اجتمعها لمناسبة فأشار إليها بيده فدرج فإذا بكل منها عرج . قال : والمناسبة في
مساق الأشياء صحيحة ، ومعرفتها من مقامات خواص أهل الطريقة ، وهي
غامضة ، موجودة في كل شيء ، حتى بين الاسم والمعنى . قال : والقائلون بها
من طريقتنا عظام أهل المراقبة والأدب ، ولا تكون إلا بعد كشف عملي ،
ومشهد ملكتي .

ويروى عن بعضهم قال : الأقطاب ثلاثة : قطب العلوم كحججة الإسلام ،
وقطب الأحوال كأبي يزيد البسطامي ، وقطب المقامات كعبد القادر الجيلاني ،
نقلته من كتاب القصر والسداد في مناقب القطب السيد عبد الله بأحداد .

وفيه أيضاً من كلام المترجم قدس سره ، هذا الشوب نسبجه الغزالى ، وقصه
عبد القادر الجيلاني ، أو قال الشعراوى أوها ونحن خيطناه ونقشناه ، وأين من
يلبسه ، قال : ففيه إشارة الى أن الغزالى والشعراوى ، قد بلغا من العلوم اللدنية ،
المبلغ الذي فاقا به الكل .

وقال السبكى في جواب كتاب أبي المفيف المطري وقد سأله عن الغزالى ما فيه :

وماذا يقول الانسان وفضله واسمه قد طبق الأرض ، ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه .

وقال محمد بن يحيى النيسابوري تلميذ الغزالى : لا يعرف الغزالى وفضله الا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله . قال ابن السبكي يعجبني هذا الكلام ، فإن الذي يجب أن يطلع على منزلة من هو أعلى منه ، في العقل يحتاج إلى العقل والفهم ، وبالعقل يميز ، وبالفهم يقظي ، ولما كان علم الغزالى في الغاية الفصوى ، احتاج من يريد الاطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل ، وأقول لابد مع تام العقل من مданاة مرتبته في العلم ، لمرتبة الآخر ، وحيثئذ فلا يعرف أحد من جاء بعد الغزالى قدر الغزالى ، الا بقدر علم الغزالى ، إذ لم يحيى به مثله ، ثم المداني له إنما يعرف قدره بقدر ما عنده ، لا بقدر الغزالى نفسه . سمعت الإمام الوالد يقول : لا يعرف قدر الشخص في العلم إلا من سواه في رتبته ، وخالفه مع ذلك : قال وإنما يعرف قدره بقدر ما أوتيه هو ، وكان يقول لنا : لا أحد من الأصحاب يعرف قدر الشافعى كما يعرفه المزنى ، قال وإنما يعرف المزنى من قدر الشافعى بقدر قوى المزنى ، والزائد عليها من قوى الشافعى لم يدركه المزنى . وكان يقول أيضاً : لا يقدر أحد النبي ﷺ حق قدره إلا الله تعالى ، وإنما يعرف كل واحد من مقداره بقدر ما عنده هو ، قال فأعرف الأمة بقدرها ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنَّه أَفْضَلُ الْأُمَّةِ ، قال وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ماتصل إليه قوى أبي بكر ، وثم أمور تقصّر عنها قواه لم يحط بها عالمٌ ومحيط بها علم الله وهو كلام نفيس .

وقال الحافظ ابو طاهر السلفي : سمعت الفقهاء يقولون كان الجوبى يعني إمام الحرمين يقول في تلامذته إذا ناظروا : التحقيق للخوافي ، والحدسات للغزالى ، والبيان لالكيا .

الفصل السادس في ذكر شيء من كراماته .

(١)

الفصل السابع في انتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة :

قالوا : ولم يزل موزعاً أو قاته على تلاوة القرآن ، وبمحالسة أرباب القلوب ، وإدامة الصيام والقيام ، حتى كان في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسينه . وفي كتاب «الثبات عند الممات» لابن الجوزي قال أَحْمَدُ أَخُو الغَزَّالِيِّ : لَا كَانَ يَوْمُ الْاثْنَيْنِ وَقْتُ الصَّبْعِ تَوْضِأُ أَخْرِيَّ وَصَلَّى ، وَقَالَ عَلَيْهِ بِالْكَفْنِ فَأَخْذَهُ وَقَبْلَهُ وَوَضْعِهِ عَلَى عَيْنِيهِ وَقَالَ سَمِعْاً وَطَاعَةً لِلْدُخُولِ عَلَى الْمَالِكِ ، ثُمَّ مَدَ رَجْلِيهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ فَانْتَقَلَ إِلَى رَضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الإِسْفَارِ ، طَيبَ النَّسَاءَ ، أَعْلَى مَنْزَلَةِ نَجْمِ السَّمَاءِ ، لَا يَكْرَهُهُ إِلَّا حَاسِدٌ أَوْ زَنْدِيقٌ ، وَلَا يَسُومُهُ بِالسُّوءِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ رِيبٌ ، أَوْ حَادَ عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقِ .

وقال فخر الدين ، ابن عساكر : مُضى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، يَوْمَ الْاثْنَيْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ جَمَادِي الْآخِرَةِ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَهُنْسَيْنَ ، وَدُفِنَ بِظَاهِرِ قَصْبَةِ طَبَرَانِ ، وَاللَّهُ يَخْصُهُ بِأَنْوَاعِ الْكَرَامَةِ فِي أَخْرَاهُ ، كَمَا خَصَّهُ بِغَنْوْنِ الْعِلْمِ فِي دُنْيَاهُ بَعْنَهُ وَلَمْ يَعْقِبْ إِلَّا بَنَاتٍ . وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ إِرْثًا وَكَسْبًا مَا يَقُولُ بِكَفَايَتِهِ وَنَفْقَةِ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ ، فَمَا كَانَ يِيَاسِطُ أَحَدًا فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ ، وَقَدْ عَرَضَتْ عَلَيْهِ فَمَا قَبْلَهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَأَكْتَفَى بِالْقَدْرِ الَّذِي يَصُونُ دِينَهُ وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى التَّعْرُضِ لِالْسُّؤَالِ وَالْمَنَالِ مِنْ غَيْرِهِ .

قال ابن السمعاني وقد زارت قبره بالطبران قصبة طوس .

سمعت أبا جعفر عمر ، بن أحمد الطوسي ، مذاكرة يقول : تمثل الإمام اسماعيل

(١) يرد الكرامات التي ذكرها السبكى . انظر الكتاب من ١٠٤ - ١٠٥ .

الحاكمي ، بعد وفاة الامام أبي حامد الغزالي بهذا البيت :

عجبت لصبري بعده وهو ميت . و كنت امرأً أبكي دمًا وهو غائب

و وجدت في كتاب بهجة الناظرين ، وأنس العارفين ، للعارف بالله محمد بن عبد العظيم الزموري ، ما نصه : وما حدثنا به من أدركنا من المشيخة ، أن الإمام أبو حامد الغزالي ، لما حضرته الوفاة ، أوصى رجلاً من أهل الفضل والدين ، كان يخدمه أن يحفر قبره موضع بيته ، ويستوصي أهل القرى القرية إلى موضعه ذلك بحضور جنازته ، وأن لا يباشره أحد حتى يصل ثلاثة نفر من الفلاة لا يعرفون في بلاد العراق ، يغسله أشنان منهم ، ويتقدم الثالث بالصلوة عليه ، بغير أمر أحد ولا مشورة . فلما توفي فعل الخادم كل ما أمره به . وحضر الناس ، فلما اجتمعوا لحضور جنازته ، رأوا ثلاثة رجال خرجوا من الفلاة ، فعمد أشنان منهم إلى غسله ، واحتفى الثالث ولم يظهر ، فلما غُسِّل ، وأدرج في أكفانه ، وحملت جنازته ، ووضعت على شفير قبره ، ظهر الرجل الثالث ملتفاً في كسهائه ، في جانبه علم أسود ، معهاماً بهامة صوف ، وصلى عليه ، وصلى الناس بصلاته ، ثم سلم وانصرف فتوارى عن الناس . وكان بعض الفضلاء من أهل العراق من حضر الجنازة ميزه بصفاته ، ولم يعرفه إلى أن سمع بعضهم بالليل هاتقاً يقول لهم : إن ذلك الرجل الذي صلى بالناس هو الشیخ أبو عبد الله محمد ، بن إسحق الشريف ، جاء من المغرب الأقصى من عبر القطر وان والذين غسلاه هم أصحابه ، أبو شعيب أيوب بن سعيد بن دازمور وأبو عيسى وازجيج . فلما سمعوا بذلك ، عملوا الرحلة من العراق إلى صنهاجة أزمور بالقرب الأقصى ، فلما وصلوا اليهم واستووهبوا منهم الدعاء ، انصرفو إلى العراق ، وأخبروا متصوفة العراق وأشاعوا كرامتهم . ثم إن جماعة منهم لما سمعوا بذلك أتوا إلى زيارتهم فوجدوهم أولئك الذين ميزوا ، واستووهبوا منهم الدعاء . وهو سياق غريب .

الفصل الثامن في ذكر شيء مما ورثي به بعد موته :

فمن ذلك قول أبي المظفر الأبيوردي قال يرثيه :

بكتى على حجة الاسلام حين ثوى^(١)

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافى

بكثير بعين واجم القلب واله^(٢)

الفصل التاسع في ذكر شيء من رسائله ومكاتباته الى اصحابه :

قال ابن السمعاني : قرأت في كتاب كتبه الغزالى الى أبي حامد أحمد بن سلامة بالوصل فقال في خلال فصوله : أما الوعظ فلا أرى نفسي أهلا له لأن الوعظ زكاة نصابه الاعظام ، فمن لا نصاب له فكيف يخرج الزكاة ، وفقد الشوب كيف يستر به غيره ، ومتى يستقيم الظل والمود أعوج ، وقد اوحى الله الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فإن تعظمت فعظ الناس ، والا فاستحي مني .^(٣)

وقال ابن السمعاني أيضاً : سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن علي المقرىء مذكرة ببرو ، يقول : دخلت على الامام أبي حامد موعداً ، فقال لي : احمل هذا الكتاب الى المعين أبي القاسم البهقى ، ثم قال وفيه شكالية على العزيز المتولى اللاؤقاف بطوس ، وكان ابن أخي المعين فقلت له كنت بهراء عند عميه المعين وكان الع vad الطوسي جاء بحضور فيه الثناء على المعين ، وعليه خطك وكان عميه قد طرده وهجره ، فلما رأى خطك وثناءك عليه ، قربه ، ورضي عنه ، فقال الامام الغزالى سلم الكتاب الى المعين وافقاً عليه هذا البيت وانشد :

ولم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا يساء اليها ثم نؤمر بالشكرا

(١) انظر الكتاب ص ٦٤

(٢) انظر الكتاب ص ١٠٨

(٣) انظر كلام السبكى . الكتاب ص ١٠٣ - ١٠٤

ذكر في الرسالة التي كتبها إلى بعض أهل عصره مانصه: بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والمعاقبة للمتقين ولا عذوان إلا على الظالمين والصلاه على سيد
المسلمين محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد : فقد انتسج بيني وبين الشيخ الأجل
معتمد الملك

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصْفِرْ فِي عَيْنِهِ الدِّينَا الَّتِي هِيَ صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْ يَعْظِمْ فِي عَيْنِهِ الَّذِي هُوَ عَظِيمٌ عِنْدَهُ وَأَنْ يُوْقِنَّا وَإِلَيْهِ لِرْضَاَتِهِ وَيَحْلِمَ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنْ جَنَّاتِهِ بِئْنَهُ وَفَضْلَهُ وَكَرْمَهُ .

الفصل العاشر : في ذكر شيء من فتاويه غير ما نصّنته فتاوى الشّيّورة
غيمة الكافر :

سئل ماقوله فيمن يعتاب كافراً ، أيّاًم بذلك ألم لا ، وهل يفترق الحال بين الذهبي والحربي ، وفيمن يعتاب مبتدعاً بغير بدعته أحيرم ألم لا ؟
الجواب : وبالله التوفيق الغيبة المنهى عنها هي أن يذكر المغتاب بما يكرهه إذا سمعه وإن كان صادقاً ، وهو في حق المسلم محذور لثلاث علل : إحداها ما فيه من الإيذاء إن سمعه ، أو يضيق بسبيه إن لم يسمعه ، والثانية أن فيه تقصص ماهو فعل الله تعالى فإن الله عز وجل هو خالق الخلق صفاتهم وأفعالهم وأخلاقهم حتى ينهى بسبب هذا عن مذمة الأطعمة الرديئة وتنقضها ، والثالثة أنه يضيع الوقت بما لا يغني وهو جار في النطق بما ليس فيه غرض صحيح ، والعملة الأولى تقتضي التحريم فإن إيذاء المسلم حرام ، والثانية تقتضي الكراهة وهو يطرد في الأطعمة والحيوانات ، والثالثة يقال إن تركه أولى وهو رتبة دون الكراهة ، ففيما ذكر ذلك من قوله عَزَّ وَجَلَ اللَّهُ مِنْ حَسْنِ اسْلَامِ الْمَرءِ تَرَكَهْ مَا لَا يَعْنِيهْ .

فإذا فهم هذا في المسلم فالكافر ان كان حريباً فايذأه ليس بحرام ، إذ لا عصمة له فترزول علة التحرير ، ويبيقى انه تنقص لما هو من خلق الله تعالى ،

(١) ذكرت هذه الرسالة في ترجمة السبكي لغز الي.

فإن كان ذلك تعرضاً لذميم أخلاقه لأنشأه خلقته وانضم إليه الإشعار وقال ذلك من أثر ضلاله وكفره تنفيراً عن الكفر وتحقيقاً له بيان أنه مما يتبع الأخلاق السيئة فهذا لا كراهيته فيه ، وإن لم يكن على هذا القصد ولا مع هذا الإشعار ولم تكن فيه فائدة التنبية من تحذير وتحقيق فالكراهية فيها أخف ؟ وإنما لا تستشعر النفس فيها كراهة ، لأنها يسبق إليها أن مذمتها مذمة الكفر وأشاره إليه وقد سبق أن ذلك لا يأس به ، وهذا بأن يكون مندوياً أشبه من أن يكون مكروهاً ، وأما التعرض لبشرة خلقته فالكراهية فيها أخف من التعرض للإطعمة والبهائم ، لأنها مما يستحق ايداؤه ، ويمكن أيضاً أن يوهم أن ذلك من شؤم ضلاله وأنه عذاب له على كفره .

وأما الذي فهو كالمسلم فيما يرجع إلى المنع من الایذاء لأن الشرع عصم عرضهم كما عصم دمهم وأموالهم .

وأما المبتدع أن كفر فهو كالحربي ، وإن لم يكفر فهو كالمسلم ، وأما ذكره ببدعته فليس مكروهاً ، وكذا ذكر أخلاقه في معرض التعلييل بشؤون البدعة ، فلا يأس به فاما ذكر خلقته فلا وجه له والله أعلم ، كتبه الغزالى .

الغرس في المسجد :

وسئل ما يقول ادام الله علوه هل يجوز الغرس (١) أم لا ؟ وإن غرس فالفاكهة الحاصلة منها من يملكتها ؟ وإن غرس على ان تكون الفاكهة مباحة للمسلمين هل يجوز أم لا ؟

الجواب : وبالله التوفيق ينظر إلى الفارس فإن كان لنفسه ، منع منه منها كان قصده الاتفاع بالمسجد ، فإن فعل وحصلت الفاكهة فهي له وعليه أجرة المثل للمسجد ، لأنه استوفى منافعه فهو كما لو أحرق خشباً من المسجد تلزمـه الغرامة ،

(١) يقصد الغرس في المسجد .

ويجوز الأكل من الفاكهة باذن المالك مادام حيا فإذا مات قبل أداء الأجرة تعلق حق الأجرة بالشجرة والثمرة ، وصار مرهوناً فلا يجوز الأكل منه باذن السابق فإنه متعلق بحق المسجد ، وإن غرس على أن يكون الغراس المسجد ويصرف الريع لصالحه فذلك غير جائز ، إلا أن يكون المسجد واسعاً ، وتكون فيه فائدة للمصلين بالاستظلال ، إن لم يكن فيه ما يجمع من الطيور ما ينجز المسجد فيرخص فيه ، كافي بناء السقف فإن فائدة الاستظلال من الشمس مقصوده وما يشغل الشجر من عرصة المسجد أقل مما تشغله الحيطان ، فاما إذا غرس على أن يكون وقفاً على قوم لا تعلق لهم بالمسجد فيمنع منه ، كما لو غرس لنفسه إذ لا يجوز صرف منافع المسجد إلا إلى مصلحة المسجد ومصلحة قيام الصلاة فيه ، وإن غرس على أن يكون وقفاً للجوازء والمصلين فهذا له تعلق بالمسجد محتمل جوازه ، ويكون أن لا يجوز صرف مال المسجد إذا فضل من صالحها إلى الجوازء وإن جاز صرفها إلى الإمام والمؤذن فمن هذا الوجه يكاد يتحقق الجواز بسائر المسلمين ، وإن أشكال الأمر ولم يدر أنه على نية قصد بالأصل بقاوئه على ملكه ، فيجعل كأنه غرسه لنفسه ، فعل المحتولي قلعه لأنه لا سييل إلى تركه مجاناً ، ولا إلى تركه للاجرة فإن ذلك اختيار يبع المنفعة في المستقبل ، بخلاف ما حصل فواته في الماضي ، فإن غرامه ذلك تشبه غرامه إتلاف الوقف والمستولده ، وأما التبقية اختياراً بالأجرة ، فشبهه اجارة المسجد وبيع الوقف والمستولدة . فينبغي أن يرد ما فضل من الأجرة بعد القلع إلى المالك أو وارثه ، وإن كان الفارس قد مات ولم يبق له وارث فهو متعلق أجرة المسجد ، فيؤخذ للمسجد بدل ما وجب من الأجرة ، فإن فضل شيء ألم تكن أجرة باقية فهو مال المصالح ، فإن رأى القاضي من المصلحة أن يتركه ويجعله وقفاً على المسجد فله ذلك وإن كان في المصالح ما هو أهون من المسجد ، وكان للمسجد فائدة باقائه للاستظلال

وأراد بقاءه ليأخذ من فاكنته للمسجد بقدر الأجرة ويصرف الفاصل إلى المصالح فهذا قد يصادم فيه محدودان ، أحدهما : قلعة مع أنه فيه قائدة الاستظلال كافي البناء ، والآخر ابقاءه بالاجرة وكأنه اجارة ، والأليق بمصلحة الجوانب الرخصة في البقاء ، إذ ليس في قلعة المسجد قائدة وله في ابقاءه قائدة ، ومع هذا فلو اتسعت خطة المسجد، وأراد المؤول أن يزرع بعض جوانب المسجد في تحيذه مستغلًا للمسجد ، أو يجعل بعض بيته مستغلًا لم يجز ، لأن ذلك اكتساب مال المسجد وليس في نفس الزرع للمصلين قائدة بخلاف الشجر ذات الظل ، فانها تقوم في دفع حر الشمس عن المصلين مقام السقف ، فلابد بذلك رخص في غرسه وابقاءه عند اتساع المسجد والله أعلم ، كتبه الغزالي .

حكم مصلى الأميد :

وسئل ، ما قوله دام علوه في المصلى المبني لصلاة العيد خارج البلد الله حكم المسجد في الاحكام أم لا وإن لم يكن لها سببه ولم يبن الا لصلاة ؟

الجواب: وبالله التوفيق لا يثبت له حكم المسجد في الاعتكاف ومكث الجنب وغيره من الاحكام لأن المسجد هو الذي أعدد لرواتب الصلاة ودين حتى لا ينفع به في ذيروها ، وموضع صلاة العيد معد للاجتماعات ولنزلول القوافل ولركوب الدواب ولعب الصبيان ، ولم تجر عادة من سلف المنع من شيء من ذلك فيه ، فلو اعتقادوه مسجدًا لصانوه عن هذه الاسباب ولقصد لإقامة سائر الصلوات ، فصلاة العيد تطوع وهو ايضاً لا يكثر تكرره ولا يعني ذلك لقصد الصلاة بل للاجتمع وتكون كالنبع في القصد ، والله أعلم ، كتبه الغزالي .

اقطاع الرسول الدارمي :

وسئل ما قوله دام علوه فيما أقطع رسول الله ﷺ فيما الداري رضي الله عنه من الشام قبل ان ملكه أهل الإسلام ما واجه صحته مع انه جرى قبل الملك ولم يتصل به القبض ، ولم يجر تحديد محل الاقطاع ؟ وهل يجوز للإمام ان ينتزع ذلك .

من يد أولاده ، ومتى يحصل الملك المقطوع ؟ يتفضل بشرح القول فيه .

الجواب : وبالله التوفيق ذلك اقطع صحيح ، والملك حاصل لتميم الدارمي ، ومنتقل الى اعقابه بالوراثة وقت حصول الملك عند تسليم الامام المستولي عليه اليه ، ووجه صحته انه كان عليه السلام مختصاً بالصفايا من المفاسد ، حتى كان يختار من الفتن ما يريد ، ويرفع ملك المسلمين عنه بعد استيلائهم ، وكذلك له ان يستثنى ذفعه من ديار الكفار عن ملك المسلمين ، ويعينه لبعضهم فصيير ملكاً له ، ويكون سبب الملك تسليم الامام أمر رسول الله عليه السلام بالتسليم ؛ وقد نقل امثال ذلك من التخصيصات قبل الاستيلاء وليس ذلك لغيره من الائمة ؟ فانه كان عليه السلام مطلعاً بالوحى على مasicمه لملك في المستقبل وعلى وجه المصلحة في التخصيص والاستثناء ، وغيره لا يطلع عليه ؟ وأما قول من قال لا يصح اقطاعه لانه قبل الملك فهو كفر محض اذ يقال له هل حل لرسول الله عليه السلام فعله او كان ظالماً بتصرفة قبل الملك ، فان جعله ظالماً فقد كفر ؛ وان قال عليه السلام له ذلك ولكن الملك لا يحصل به فيقال وهل علم ان الملك لا يحصل به ألم لا ؟ فإن قال انه لم يعلم فقد جعله بحكم وهذا كفر ، وان قال علم ذلك فيقال لا يقى لا قدامه عليه مع العلم ببطلانه إلا تطيب قلب تميم الدارمي رضي الله عنه بما لا حاصل له ولا طائل تحته وهو محسن الخداع والتلبيس ؟ ومن نسبة الى شيء من ذلك فهو كفر ؟ وأما قوله ان القبض لم يتصل به فهو باطل من وجوهين احدهما ان افعال رسول الله عليه السلام حجة تعرف بها شرط الافعال ، فاما ان يتحكم عليها بالشرط فلا ، ففعله يبين أن ذلك ليس بشرط ، وهو كما لو نكح بغير ولد ولا شهود ، او يبين به أن ذلك خاصيته ، ونكاح تسع نسوه من هذا القبيل ؟ بل لو اقطع مثلاً زوجة مسلم لسلم آخر لوجب ان يقال قد اوحى اليه انها حرمت على زوجها وحلت للآخر ، فإن فعله عليه السلام نص في الجواز ؛ والثاني ان الاقطاع ليس بتمليك في الحال حتى يشترط اتصاله بالقبض بل هو كما لو اقطع الامام بعض أراضي الموات ليحييه المقطوع فإنه لا يملكه الا بالحياة ، وفي الحال

لأيملكه والقبض ليس شرطاً في صحة هذا التخصيص ، وأما ذكر الحد فليس شرطاً للصحة لاسباب في الامور السلطانية وإنما يشرط للتسليم ، واللامام عند التسليم إن يعول فيه على الاشتهر وله ان يسامح في ما وقع منه في محل الاشتباه فإن مبني هذه الامر على المساهلات بخلاف التصرفات الجزئية والله أعلم ؛ كتبه الغزالي .

شهادة المتصل بالسلطان :

وسئل ما قوله دام علوه فيمن له أدرار من سلطان العصر أقبل شهادته أم لا ؟
 فإن لم تقبل فما حكم القضاة الذين لهم أدرار من السلطان امنعلون أم لا ؟ الجواب
 وبالله التوفيق : ادرار السلطان منقسم الى ماهو حلال ، كالجزية والفيء فأخذ ذلك
 لا يوجب الفسق . ان كان الأخذ من تقتضي مصلحة بوجه من الوجوه أن يصرف
 اليه ومها كان من فطنة المصلحة واتصل به اجتهد السلطان فلا يفسق ، فأما الذي
 ليس بفقير ولا مرتب لعمل ولا مصلحة للناس مثل كونه فقيها أو طبيعاً أو معلماً أو
 غيره بل هو بطال في نفسه عن هذه الاشغال غير مقتدر ايضاً اليه فأخذ ذلك
 لارخصة فيه ، وآخذه فاسق لا تقبل شهادته ؛ وأما الفقيه ومن يجري في مجراه
 فهو على الجملة من قبيل من يصرف اليه مال المصالح ، وان كتب له ادرار على ملك
 للسلطان أحياه أو اشتراه لم يفسق بأخذنه وإن لم يكن من أهل مال المصالح فان
 ذلك ينزع ، وما يثبت عن ملك اشتراه السلطان في الذمة هو ملكه ، وان كان
 الشمن الذي فيه لم يكن من حله فالشمن في ذاته بعد ، والثابت من الارض ملكه
 وإن اجتنابه من الورع ؛ وان كتب الادرار على الخزانة وهي جامعة للخراج
 المأخوذ من المسلمين وهو حرام ، والجزية والفيء والمواريث وهي حلال ،
 والهدايا وهي في محل الاجتهد ، أعني هدايا الملوك فإن كان الغالب على مال ذلك
 السلطان جهات الحل لم يفسق بأخذنه ، وكذا إذا لم يكن جانب التحرير غالباً
 الا أن يعلم عين ما يأخذنه على الخصوص من جهة محمرة ، وان كان الغالب حرام
 ولكن احتمل ان يكون ما يأخذنه من جملة ما يحصل فهذا حل قد عارضه غالباً اذ
 الاصل في الاموال الحل وفي اليدى الدلالة على الملك وقد عارضه الغالب فهو

قريب من قول الشافعي رضي الله عنه في تعارض الاصل ، والغالب في النجاسات .
كطين الشوارع وغيره ، ولكن كما توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة
نصرانية والغالب النجاسة . ثم كانوا إذا أراد احتمال التحرير في المأكول الى
هذا الحد يتقدحون عنه ، دل على أن الأمر في الحلال والحرمة أضيق منه في
الطهارة والنجاسة ، فهذا في محل الاجتهاد والرأي فيه الى القاضي ، وال الاولى أن
لاترد شهادته إن كان يأخذ مثل ذلك عن حاجة ، وان ترد شهادته ان كان يأخذ
مع الاستغناء ، واذا اخذ القاضي من الادار ما قضينا بالتفسيق فيه فيتعين على
السلطان عزمه ، ولكن لا يحكم بانزعاله لاجل المصلحة فان استمرار الولاية لو
اشترط فيه استمرار العصمة من موجبات الفسق مع أن الشهوات غالبة والشيطان
بالمرصاد لادى بذلك الى ان لا يدوم قضاء قاض الا ساعة قريبة فنقضي باطراد الولاية ،
ووجب العزل والاستبدال منها ظهر ذلك للسلطان والله أعلم بكتبه الغزالى .
في المقصبين على أبواب السلاطين :

وسئل ما قوله دام علوه في المقصبين على ابواب السلاطين والوزراء من ارباب
الحشمة والجاه من العلماء وغيرهم لقض ارادات الناس وتسويفاتهم ودفع ظلاماتهم
وقضاء حقوقهم طمعاً في مال صاحب الحق اذا قضي حقه ، أيحل له ذلك المال
أولاً؟ وكيف يحل له وربما لم تصدر منه إلا كلمة واحدة يشفع بها الى السلطان
فقط فهذا مقابلة الجاه والخشمة بمال فما طريق حلله له؟ وما معنى الرشوة المحرمة
في الشرع . وان لم يحل لهم هذا اصلاً فربما افضى ذلك الى حرج ، إذ لاغنية بالناس
عن ذلك وهل يفرق الحال بين ان يتعب هذا في قبض الادار في تكريير
المراجعة والمطالبة وتکثير القاضي واللاحاج أولاً يتعب بل يتكلم على سبيل الشفاعة؟
الجواب وبالله التوفيق : إنه إن كان السعي الملتمس منه حراماً لم يحل
أخذ المال عليه ، وان كان فرض عليه مثل إقامة الشهادة على من ظلمه أو ما يجري .
محراه لم يحل اخذ المال ، وان كان من قبل فرض الكفايات في دفع الظلامات او

كان مباحاً نظر، فإن كان فيه تعب بحيث لو كان الفعل معلوماً الصبح الاستئجار عليه جازأخذ المال عليه بطريق الجهة، وإن لم يكن فيه تعب نظر، فإن لم يكن فيه ابتدا حشمة وجاه لم يجعل أخذ المال فان مقابلة مالاً يقوم بالمال غير جائز، وإن كان المتباذل يحتاج اليه حتى لو اشتري حبة حنطة ليجعلها في فخ طائر حيث لا يجد غيرها لم يجوز، وصورة هذا أن لا يلتمس منه إلا وضع القصة بين يدي السلطان أو يقول للباب لا تغلق الباب دونه فهذه الكلمة الخفيفة لا يجوز أخذ جعل عليها وإن كان فيه تبذل من حيث الحشمة ولكن الفعل قليل في نفسه فهذا في محل النظر، والأشبه المنع من مشارطة الجعل عليه فإن تحوزه لامتناد له إلا تحليمة الناس والراضي في المفاوضات وبذل المال في مقابلة ما فيه عوض، ولا خلاف في أنه لا يجوز مقابلة المال بأساطح حق الشفعة، وخيار الرد، وأمور أخرى فيها اعتراض فهذا يدل على أن المال يشرط في مقابلة بضم أو مال أو عمل متocom، والجاه ليس من هذا القبيل، وأما مسيس الحاجة إليه فالطريق فيه ترك المشارطة للجعل وهو العادة ولا يتعين على ذي الحاجة أن يقبل هدية من المحتاج بطريق المبة، وإن كان يعلم أنه لم يبذل إلا طمعاً في معونة ولكن قوله عليه السلام تهادوا تحابوا وقوله تعالى «فحموا بأحسن منها أو ردوها» يوجب الرخصة فإن المهدى يستجاب محبة المهدى إليه، وبواسطة الحبة يستحوذه على بذل الجاه في مقابلته، فهو ذه هبة تقتضي تواباً بقرينة الحال، وال الصحيح أن ذلك جائز وإن الثواب واجب في هذه الصورة فلربما يهدى الفقير إلى ذي الحاجة طمعاً في أن يمكنه من أن يشي بين يديه فرسه في معرض الغلام ليكون له بالاتتساب إليه جاه فيحصل لدى الحاجة بخدمته زيادة جاه مع المال، ولا يمكن أن يجعل ذلك معارضة ولا يمنع التوصل إلى مثل ذلك بالهدية، بل أقول يجعل للقاضي أن يقبل المهدية وإن كانت لا تهدى إليه لو لم يكن قاضياً، ولكن إنما يجوز إذا علم أن المهدى يعني مودته وحشمته وعناته في أمور لاتحرم عليه ولا تحب وحجب عين بحكم القضاء وإنما الرشوة المحرمة التي يبذلها صاحبها

جعل على حكم بالحق واجب ، أو ميل بالظلم محروم ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لابن مسعود وقد ولاء بلداً أحب الداعي ، ولا تقبل المدية ، وليس بمحرام ، ولكنني أخشي عليك القيل والقال . وإذا منعنا المشارطة بطريق الحمالة في مثل هذا فيتعذر النظر في مثل بذلك العمل على فعل لا تعب فيه ، ولكنك عظيم المدحوى بسبب علم صاحبه فرب سيف ومنواله معوج تضيق قيمته بدقة واحدة من بصير محل الدق ، والا شبه ان انفهام العلم الى الفعل القليل لا يكون كانفهام الحاه ، وان أخذ العمل على هذا يجوز فإن هذه صناعة مكتسب لكسب المال ، ودون هذا ما لو علم الطبيب دواء ولم يذكره الا يجعل المال على مجرد التبيه عليه من غير عمل باليده فيه نظر ، وهو بين مسألة السيف ومسألة بذلك الحاه في كلمة والله أعلم . كتبه الفزالي .

نقلت هذه الفتاوي أجمعها من خط الامام أبي الفضل محمد بن محمد بن فضل بن مظفر العبدى البحارى ، قال : فرغت من نسخه ، في تاسع محرم سنة ٥٦٤ بدمشق .

الفصل الحادى عشر في بيان حال المنتسب اليه :

قال صاحب « تحفة الارشاد » نقلأ عن الامام النووي ، في « دقائق الروضة »: التشدید في الغزالی هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير ، وبلغنا أنه قال منسوب إلى غزاله بتخفيف الزاي ، قرية من قرى طوس ، قلت : وهكذا ذكره النووي أيضاً في التبيان .

وقال الذهبي في العبر ، وابن خلkan في التاريخ ، عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصارى والجبارى بالياء ، فيها ، فنسبوه للغزل ، وقالوا الغزالی ومثل ذلك الشحاجي .

وأشار لذلك ابن السمعانى أيضاً وأنكر التخفيف ، وقال : سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها ، وزيادة هذه الياء قالوا : للتأكيد ، وفي تقرير بعض

شيوخنا ، للتمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة ، وبين المنسوب إلى من كان صنعة والده وجده .

ولكن في المصباح للفيومي ما يؤيد التخفيف ، وأن غنّة القرية بطوس ، واليها نسب الامام أبو حامد ؛ قال : أخبرني بذلك الشيخ محمد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه ، بن أبي الفضل ائل بن عبيد الله بن سنت المنا ، بنت أبي حامد الغزالي ببغداد ، سنة عشر وسبعينه ، وقال لي أخطأ الناس في تقليل جدنا ، وإنما هو مخفف .

وقال الشهاب الخفاجي في آخر «شرح الشفا» ويقال إنه منسوب الى غنّة ابنة كعب الاخبار ، وهذا إن صح فلا محيد عنه .

والمعتمد الآن عند المؤرخين من أئمة التاريخ والأنساب ، أن القول قول ابن الأثير أنه بالتشديد .

وسمعت شيخنا القطب السيد العبد روس نفع الله به يقول : إنه هكذا سمعه من لسان النبي ﷺ في واقعة منامية ، وعليه أنشدنا شيخنا المرحوم عبد الخالق بن أبي بكر الرجائي بزيهد ، لأحد الشعراء اليمينيين وقد أجاد :

ما للعواذل في هواك ومالي روحي فداك ياحبيب ومالي
غنّال طرفك إن رنا أحيا به وكذلك الإحياء للغزالى
الفصل الثاني عشر في بيان من تكتن بأبي حامد من شيوخ هذهبه قبله :

(١)

الفصل الثالث عشر في شيوخه في الفقه والتصوف والحديث (٢)
أول مشايخه في الفقه كما تقدم الامام أبو حامد ، احمد بن محمد الراذكاني

(١) لم أثبتت هذا الفصل لعدم ضرورته في سياق موضوع الكتاب .

(٢) أثبتت هذا الفصل لضرورته للباحث لمعرفة منابع المذهب .

الطوسي ، ثم أبو نصر الاسماعيلي ، ثم إمام الحرمين ، قرأ على الأول بطوس ،
وعلى الثاني بجرجان ، وعلى الثالث بنيسابور .

وفي التصوف الامام الزاهد ، أبو علي الفضل بن علي الفارمدي الطوسي ، من
أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري ، صاحب الرسالة توفي بطوس سنة ٤٩٧ ، ومن
مشايخه أيضاً يوسف النساج .

وفي الحديث أبو سهل محمد بن محمد بن أحمد بن عبيدة الله الحفصي المروزي ،
والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي ، وأبو محمد عبد الله بن
محمد بن الخواري ، خوار طبران ، محمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزروزني ،
والحافظ ابو الفتیان عمر بن أبي الحسن الرؤاسی الدعستانی ، ونصر بن إبراهيم
المقدسي على قول الذهی ؟ وقال غيره لم يدركه .

فهو لاء شیوخه في العلوم الثلاثة . ولم أطلع على أسماء شیوخه الذين قرأ عليهم
في الكلام ، أو الجدل ، فان عثرت على شيء من ذلك بعد ، ألحقت به ، إن شاء الله تعالى .
وأما علوم الفلسفة فلا شیوخ له فيها ، كما صرحت بذلك في كتابه
المنقد من الضلال .

الفصل الرابع عشر في تفصیل ما سمع من هؤلاء ورواهم :

قال ابن السمعاني : لما عاد إلى وطنه كانت خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث
ومجالس أهله ، وقراءته ، ونسخه ، واستدعي الحافظ أبي الفتیان عمر بن أبي الحسن
الرؤاسی إلى طوس ، وأكرمه واغتنم أيامه ، وسمع منه الصحيحين . وما أظن
أنه حدث بشيء ، وإن حدث فليسير لأن رواية الحديث ما انتشرت عنه .

.....

(١) يکرر هنا ما ذکر الفارسی وابن عساکر والذهبی والسبکی عن رواية الغزالی
للحادیث وضفتہ فیه .

الفصل السادس عشر :

في ذكر شيء من كلامه المنشور قال البدري: «إن قلمه أمن طبقات المناوي وغيرها».

قال رحمه الله «الدنيا مزرعة الآخرة»، وهي منزل من منازل المهدى، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المزاراتين».

وقال رحمه الله «ربما وجد بعضهم في نفسه أنساً وتقريراً في عبادته وجلسه، فظن أنه بها يغفر لمجتمع من حضره»، فضلاً عنده، ولو أنه تعالى عامله بما يستحقه على سوء أدبه في ذلك لأهلكه».

وقال رحمه الله «إنما تفرق كل سالك بالنزل الذي يبلغه في سلوكه، وما خلفه من المزال؟ وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقة علمه»، بل قد يصدق به إيماناً بالغيب».

وقال رحمه الله: «أنوار العلوم لم تحجب من القلوب بمحن ومنع من جهة المنم، تعالى عن ذلك، بل نحبث وكدوره وشغل من جهة القلوب، فإنا كالآواني ما دامت ملوءة بملاء لا يدخلها الهواء، والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله».

وقال رحمه الله: «أشرف أنواع العلم، العلم بالله عز وجل، وصفاته، وأفعاله؛ وفيه كمال الإنسان، وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الحلال والكمال».

وقال رحمه الله: «جلاء القلوب والأبصار يحصل بالذكر، ولا يمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتفوى بباب الذكر، والذكر بباب الكشف، والكشف بباب الفوز الأكبر».

وقال رحمه الله «من ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه، تجلى له الملك والملائكة في قلبه، فيرى جنة عرضها السموات والأرض».

وقال رحـمه الله « عـالم المـلـكـوت هو الأـسـرـارـ المشـاهـدة عن مشـاهـدة الـأـبـصـار »
الـخـصـوصـة بـإـدـراكـ الـبـصـر ، وـجـمـلة عـالمـ الـمـلـكـ وـالـمـلـكـوتـ تـسـمـيـ الحـضـرةـ الـرـبـوـيـةـ، لـأـنـهـاـ
مـحـيـطـةـ بـكـلـ الـمـوـجـودـاتـ ، إـذـ لـيـسـ فـيـ الـوـجـودـ سـوـىـ اللهـ وـأـفـعـالـهـ وـمـلـكـتـهـ وـعـبـيدـهـ
مـنـ أـفـعـالـهـ ». .

وقال رحـمه الله « مـدارـ الطـاعـاتـ وـأـعـمـالـ الـجـوـارـحـ كـلـهاـ تـصـفـيـةـ الـقـلـبـ ، وـتـزـكـيـتـهـ
أـشـرـاقـ نـورـ الـمـعـرـفـةـ ». .

وقال رحـمه الله « إـيمـانـ ثـلـاثـ مـرـاتـبـ : إـيمـانـ الـعـوـامـ وـهـوـ
إـيمـانـ التـقـلـيدـ الـمـحـضـ ، وـالـثـانـيـةـ إـيمـانـ الـمـتـكـامـلـينـ وـهـوـ مـزـوـجـ بـنـوـعـ اـسـتـدـلـالـ ، وـالـثـالـثـةـ
إـيمـانـ الـعـارـفـينـ وـهـوـ الـمـشـاهـدةـ بـنـورـ الـيـقـيـنـ ». .

وقال رحـمه الله « ظـنـُّ مـنـ يـظـنـ أـنـ الـعـلـومـ الـعـقـلـيةـ مـنـاقـضـةـ لـلـعـلـومـ الـشـرـعـيـةـ وـأـنـ
الـجـمـعـ بـيـنـهـاـ غـيرـ مـمـكـنـ ، ظـنـُّ صـادـرـ عـنـ عـمـىـ فـيـ عـيـنـ الـبـصـيرـةـ ، نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـهـ ،
الـعـلـومـ الـعـقـلـيةـ دـنـيـوـيـةـ وـأـخـرـوـيـةـ ، فـالـدـنـيـوـيـةـ كـالـطـبـ ، وـالـحـسـابـ ، وـالـنـجـومـ ،
وـالـحـرـفـ ، وـالـصـنـائـعـ ؛ وـالـأـخـرـوـيـةـ كـلـمـ أـحـوالـ الـقـلـبـ ، وـآفـاتـ الـأـعـمـالـ ، وـالـعـلـمـ بـالـلـهـ ،
وـصـفـاتـهـ ، وـأـفـعـالـهـ ، وـهـاـ عـلـمـانـ مـتـنـاقـضـانـ ، أـعـنـيـ ، مـنـ صـرـفـ عـنـيـاتـهـ إـلـىـ أـحـدـهـاـ
حـتـىـ يـعـقـ فيـهـ ، قـصـرـتـ بـصـيرـتـهـ عـنـ الـآـخـرـ عـلـىـ الـأـكـثـرـ ». .

وقال رحـمه الله « مـهـاـ سـمـعـتـ أـمـرـاـ غـرـيـباـ مـنـ أـمـورـ الـدـيـنـ ، جـحـدـهـ أـهـلـ
الـكـيـاسـةـ مـنـ سـائـرـ الـعـلـومـ ، فـلـاـ يـنـفـرـنـكـ جـحـودـهـ عـنـ قـبـولـهـ ، إـذـ مـحـالـ أـنـ يـظـفـرـ
سـالـكـ طـرـيقـ الشـرـقـ بـمـاـ فـيـ الـغـرـبـ ». .

وقال رحـمه الله « تـهـبـ رـيـاحـ الـأـطـافـ ، فـتـكـشـفـ الـحـجـبـ عـنـ أـعـيـنـ الـقـلـوبـ ،
فـيـتـجـلـيـ لـهـاـ بـعـضـ مـاـ هـوـ مـسـطـوـرـ فـيـ الـلـوـحـ الـمـحـفـظـ ». .

وقال رحـمه الله « مـيـلـ أـهـلـ التـصـوـفـ إـلـىـ الـعـلـومـ الـإـلـهـامـيـةـ دـوـنـ الـتـعـلـيمـيـةـ ،

ولذلك لم يحرموا على دراسة العلم ، وتحصيل ما صنف المصنفوون ، والبحث عن الأقوال والأدلة » .

وقال رحمة الله « ليس الورع في الجبهة حتى تقطب ، ولا في الخد حتى يصفر ، ولا في الظهر حتى ينحني ، ولا في الرقبة حتى تطأطئ ، ولا في الذيل حتى يضم ، إنما الورع في القلوب ، أما من تلقاه يبشر ، فيليقاك ببعوس ، يمن عليك بعلمه ، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله » .

وقال رحمة الله « قلب المؤمن لا يموت ، وعلمه عند الموت لا ينمحى ، وصفاؤه لا يتهكم ، وإليه أشار الحسن بقوله ، التراب لا يأكل محل الإيمان ، إنما ما حصل له من نفس العلم ، أو ما حصله من الصفاء والاستعداد بقبوله » .

وقال رحمة الله « العلم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه » .

وقال رحمة الله « القرآن متصريح بأن التقوى مفتاح المداية والكشف ، وذلك علم من غير تعلم » .

وقال رحمة الله « العلم المدни الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مأئوي من خارج » .

وقال رحمة الله « إذا حضر في القلب ذكر شيء ، انعدم عنه ما كان فيه من قبل » .

وقال : « أعظم أنواع علوم المعاملة الوقوف على خداع النفس ، ومكائد الشيطان ، وذلك فرض عين على كل جسد وقد أهمله الخلق واستقلوا بعلوم تجر إليهم الوسواس ، وتسلط عليهم الشيطان » .

وقال رحمة الله « منها رأيت العلماء ، يتغافرون ويتحاسبون ولا يتآنسون ، فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة ، فهم خاسرون » .

وقال رحمة الله « كل من ادعى مذهب إمام ، ولا يسير سيرته ، فذلك الإمام خصمك ، يقول له : كان مذهبي العمل دون الحديث والاسان ، وكان الحديث والاسان لأجل العمل لا للهذاين ، فما بالك خالفتي في العمل والسيرة التي هي مذهبى الذي سلكته ، وذهبت فيه إلى الله ، ثم ادعيت مذهبى كاذباً فهذا مدخل من مداخل الشيطان أهلك به أكثر العالم » .

وقال رحمة الله: « أشد الناس حمامة أقوام اعتقاداً في فضل نفسه ، وأثبت الناس غفلاً أشدهم اتهاماً لنفسه » .

وقال رحمة الله « العامي إذا زنى أو سرق ، خير له من أن يتكلم في العلم ، فإنه من تكلم فيه من غير إتقان العالم في الله وفي دينه ، وقع في الكفر من حيث لا يدرى ، كمن ركب في البحر ولا يعرف السباحة » .

وقال رحمة الله « أورع الناس وأقحهم وأعلمهم ، من لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضا ، وبعضهم بعين السخط . وعين الرضا عن كل عيب كليلة » .

وقال رحمة الله « منها رأيت إنساناً سيء الظن بالله ، طالباً لعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن ، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق » .

وقال رحمة الله « حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى ، وتطهيره من الصفات المذمومة ، وإلا فيكون الذكر حديث نفس ولا سلطان له على القلب ، ولا يدفع الشيطان » .

وقال رحمة الله « الروح أمر رباني ، ومعنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم المكاشفة ، ولا رخصة في إظهاره ، إذ لم يظهره الرسول ﷺ » .

وقال رحمه الله « الشهوة إذا غلت على القلب ، ولم تتمكن من سويفاها ، فيستقر الشيطان في سويفاها ، وأما القلوب الخالية من الصفات المذمومة فيطر لها الشيطان ، لا لشهوات ، بل لخلوها بالغفلة عن الذكر ، وإذا عاد للذكرة خنس ». .

وقال رحمه الله « كما أنك تدعوه ولا يستجيب لك ، فقد شرط الدعاء ، فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان ، فقد شرط الذكر ». .

وقال رحمه الله « الشياطين جنود جهنمة ، ولكل نوع من المعاصي شيطان ، يخصه ويدعوه إليه ». .

وقال رحمه الله « الصورة في عالم الملائكة تابعة للاصفة ، فلا يرى المعنى القبيح إلا في الصورة القبيحة ، فيرى الشيطان في صورة نحو الكلب والضفدع والخنزير ، والملك في صورة جميلة ، فت تكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ، وبذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث ، والشاة على إنسان سليم الباطن ، وكذا كل أنواع التعبير ». .

وقال رحمه الله « خالص الرياضة وسرها ، ألا تتمتع النفس بشيء ، لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة ، فيقتصر من أكله ونكافحة ولباسه وسكنه على قدر الحاجة والضرورة ، فإنه لو تمعن بشيء منه ألهه ، وإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا ، ولا يتمنى الرجوع إليها إلا من لا حظ له في الآخرة ». .

وقال رحمه الله « النفس إذا لم تمنع بعض المباحثات ، طمعت في المحظورات ». .

وقال رحمه الله « المستقل بنفسه من غير شيخ ، كشجرة تنبت بنفسها ، فإنها تجف عن قرب ، وإن بقيت مدة وأورقت لم تتعز ». .

وقال رحمه الله « النوم يقسى القلب ويعيشه ، إلا إذا كان بقدر الضرورة ، فيكون سبيلاً لـ الكاشفة أسرار الغيب » .

وقال رحمه الله « لا بد للسائل من ضبط الحواس إلا من قدر الضرورة ، وليس ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم ، فإن لم يكن ، فيلتف رأسه في الجيب أو يتذرّب بكساء ، أو إزار مثل هذه الحالة ، ليسمع نداء الحق ، ويشاهد جلال حضرة الربوبية ، أما ترى أن نداء المصطفى ﷺ بلغه ، وهو بهذه الصفة ، فقيل يا لها المدثر ، يا لها المزمل » .

وقال رحمه الله « البطن والفرج باب من أبواب النار ، وأصله الشبع به والذل والانكسار باب من أبواب الجنة ، وأصله الجوع ؛ ومن أغلى باباً من أبواب النار ، فقد فتح باباً من أبواب الجنة لتقابلهما ، فالقرب من أحدهما بعد عن الآخر » .

وقال رحمه الله « السعادة كلها في أن يملأ الرجل نفسه ، والشقاوة كلها في أن تملأه نفسه » .

وقال رحمه الله « الشبع ينبع العبادة وإشراق القلب والفكر وينقص العيش ، والجوع يدفع ذلك كله ، لأن قلة الأكل تصحيح البدن وبكثرته تحصل فضلة الأخلاط في المعدة والمرور » .

وقال رحمه الله « حد المرأة كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه ، والجادلة قصد إفحام الغير وتعجيزه وتفتيصه بالقدح في كلامه ، ونسبته إلى القصور والجهل فيه » .

وقال رحمه الله « من عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته ، وملكته أرضه وسمائه ، صار ذلك عنده أذناً من كل نعيم ، فلذة هذا في عجائب

الملكت على الدوام ، أعظم من لذة من ينظر إلى ثمار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة ، هذا حالم وهم في الدنيا ، فماطن عند اكتشاف الغطاء في العقبى » .

وقال رحمة الله « إن كنت لا تستيقن إلى معرفة الله فأنت معذور ، فالعين لا يستيقن إلى لذة الواقع ، والصي لا يستيقن للملك ، والشوق بعد الذوق ، ومن لم يذق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشتاق ، ومن لم يشتاق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقي من المخربين في أسفل سافلين » .

وقال رحمة الله « من فاته المحقق بدرجات الأكابر في الدين لم يفته ثواب حبه لهم ، منها أحب ذلك » .

وقال رحمة الله « الحسد ليس مظلة يجب الاستحلال منها ، بل معصية يبنك وبين الله ، وإنما يجب الاستحلال مما يجب على الجوارح » .

وقال رحمة الله « دنياك وأخرتك ، عبارتان عن حالتين من أحوال قلبك ، فالطرف الداني منها يسمى دنيا وهي كلها قبل الموت ، والآخر يسمى آخرة وهي ما بعده ، وكل مالك فيه حظ وشهوة عاجلة قبل الوفاة فهي الدنيا في حركك » .

وقال رحمة الله « لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاثة صفات : صفاء القلب أعني طهارته من أدناس الدنيا ، وأنسه بذكر الله ، وحبه لله ؛ وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا ، والأنس لا يحصل إلا بكثرة الذكر ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر » .

وقال رحمة الله : « ليس الموت عدماً وإنما هو الفراق لحب الله للقدوم على الله » .

وقال رحمة الله : « معنى الربوبية التوحيد بالكمال ، والتفرد بالوجود على

سبيل الاستقلال ؟ والمنفرد بالوجود هو الله إذ لا موجود معه سواه ، فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته ، بل هو قادر به .

وقال رحمة الله : « من لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس ، فأكثر عبادته تعب ضائع ، تفوت عليه الدنيا ويختسر في الآخرة ». .

وقال رحمة الله « الكبر دليل الأمان ، والامان مهلك ، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد » ..

وقال رحمة الله « من ادوية الكبر ان يجتمع مع اقرانه في المخالف ، ويقدمهم ويجلس تحتهم ، وللشيطان هنا مكيدة ، وهو ان يقعد في صف النعال ، او يجعل بينه وبين اقرانه بعض الارذال ، فيظن انه متواضع وهو عين التكبر ، لايهمه انه ترك مكانه بالاستحقاق فيكون تكبراً باظهار التواضع ، بل يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ، ولا ينحط الى صف النعال » .

وقال رحمة الله « أساس السعادات كلها العقل ، والكياسة ، والذكاء ؛ وصححة غريرة العقل نعمة من الله في أصل الفطرة ، فإذا ماتت يblade أو حماقة فتُنذر أركانه ». .

وقال رحمة الله « كن من شياطين الجن في الأمان ، واحذر شياطين الانس فإنهم أراحو شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال ». .

وقال رحمة الله « علماء الآخرة يعرفون بسياه من السكينة، والمذلة، والتواضع، أما التمشدق، والاستغراب في الصحك، والحمدة في الحركة والنطق، فمن آثار البطر والعفة، وذلك من دأب ابناء الدنيا ». .

وقال رحمة الله « من شرط من له حاجة ، أن لا يفتر ذلك النهار حتى تقضي ولو عند الغروب ». قال بعضهم : وقد جربناه فصح ، لأن الانسان اذا شبع ، بفداء وله كثيرون يخرجون غير وتر مشدود .

وقال رحمه الله « من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة ، وهو ادعاء الرجل الولاية مع فقدها منه ». .

وقال رحمه الله « ليس كل أحد له قلب » وقد سئل عن تفسير هذا القول القطب السيد عبد الله بادحداد ، شيخ بعض شيوخنا ، فأجاب بما فيه غالية التحقيق تركته لطوله ، وهو مذكور في آخر كتاب القصد والسداد .

وله رحمه الله دعاء عجيب الشان ، جربه أهل العرفان عند حلول الفاقفة وهو هذا : « الاهم يا غني يا حميد يا مبديء يا معيد ، يا رحيم يا ودود ، أغتنى بخلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك » قال من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

ورؤي رحمه الله في النوم فسئل عن حاله فقال : لو لا هذا العلم الغريب لكننا على خير كثير . قال ابن عربي : فتاوله علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق ، قصد إلينيس بهذا الطريق الذي زينه لهم ، أن يعرضوا عن هذا العلم ، فيحرموا هذه الدرجات أتراء أمر بأن يطلب الحجاب عن الله تعالى » .

الفصل السادس عشر

« في بيان شيء من الشعر المنسوب له وما أنشده لنفسه »

قال ابن السبكي : أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري ، إذناً خاصاً عن أبي الفضل أحمد بن هبة الله ابن عساكر ، عن أبي الطفرا عبد الرحيم ، أخبرنا والدي الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أنشدنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليبي أملأء بنو قان في الجامع ، أنشدنا الإمام أبو حامد الفزالي رحمه الله .

أردد بيال امرئ يسي على ثقة أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُه ^(١)

(١) السبكي يذكر صدر هذا البيت على شكل آخر . انظر الكتاب من ١٠٧

فالعرض منه مصون لا يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من محلل بساحتها
لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه

قال وكتب أحمد بن أبي طالب المسند ، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود ،
عن أبي عبد الله محمد بن احمد بن سليمان الزهرى ، أنشدني ابو محمد عبد الحق بن
عبد الملك العبدري ، أنشدني ابو بكر العربي ، أنشدني ابو حامد الغزالي :

سقهي في الحب عافيتي
وجودي في الموى عدي
وعذاب ترتصون به
ما لضر في محبتكم

ومنها ينسب للإمام الغزالى أنه قال في أيام سياحته :
قد كنت عبداً والموى مالكى
فصرت حرراً والموى خادمى
في في أحلى من النعم
عندنا والله من لم

وصرت بالوحدة مستأنساً
ذو الجهل بالأشياء كالعالم
ما في اختلاط الناس خير ولا
يالامي في ترككم جاهلاً

وكان نقش خاتمه « وما وجدنا لأكثربهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم
لفاسقين » .

وبالسند الى الحافظ أبي عبد الله قال : قرأت على أبي قاسم بن اسعد البزار ، عن
يوسف بن أحمد الحافظ ، أنشدنا محمد بن أبي عبد الله الجوهري ، قال أنشدنا لأبي
حامد الغزالى رحمة الله :

فقهاؤنا كذبالة النبراس هي في الحريق وضوءها للناس
حبر دميم تحت رائق منظر كالفضة البيضاء فوق نحاس (٢)

(١) ذكر السبكى هذه الآيات . انظر الكتاب ص ١٠٧

(٢) انظر الكتاب ص ١٠٧

وقال ابن السبكي أيضاً أخبرنا علي بن الفضل الحافظ أنسدني أبو محمد عبد الله بن يوسف الآمدي ، أنسدني أمية بن أبي الصلت ، أنسدني أبو محمد التكريتي ،
أنسدني أبو حامد الغزالي لنفسه :

حلت عقارب صدغه في خده
قرأ بخل بها عن التشيه
ولقد عهدناه يخل بيرجه
ومن العجائب كيف حلت فيه^(١)

وذكر ابن السمعاني في الذيل ، والعماد في الخريدة له :

حلت عقارب صدغه في خده
وحظيت منه بشئ خد أزهر
إني اعترلت فلا تلوموا أنـه
أضحي يقابلني بوجه أشعر

قلت : ولشيخنا السيد القطب عبد الرحمن بن السيد مصطفى العيدروس أمعن
الله به في هذا المعنى بيت واحد وهو مما سمعنا ، ومن لفظه ، وكتبه عنه بالطائف
وقد أجاد :

وقيل لم اعترلت فقلت لما
يقابلني بوجه أشعر
ومما أنسد الغزالي ببغداد في اثناء درس الاحياء ، ورواه عنه أبو سعيد
النوqاني ، الآتي ذكره في الرواية عنه :

مارب قضاها الفؤاد هنالـكـا
وحبب أوطان الرجال إلـيـهـم
عهود الصبا فيها فتحـنـوا لـذـكـرـهـمـ
إذا ذـكـرـوا أوـطـانـهـمـ ذـكـرـهـمـ
قال فـكـاـ وأـبـكـيـ الحـاضـرـينـ .

ورأه بعضهم^(٢) في البرية ، عليه مرقطة ، وبيه ركرة وعكاز ، بعد أن
كان رأه يحضره في مجلسه ثلاثة مدرس ، ومائة من أمراء بغداد ، فقال يا إمام

(١) انظر الكتاب ص ١٠٧

(٢) رویت هذه الحادثة عن القاضي ابن العربي انظر شذرات الذهب لابن المادفي مادة سنة ٥٠٥

أليس تدریس العلم أولى فنظر اليه شذرًا وقال: لما بزغت بدر السعادة في فلك
الارادة ، وجنحت شمس الافول الى مغرب الوصول ، وأنشد :

تركت هوى ليلي وسعدي منزل
 وعدت الى مصحوب أول منزل.
 فنادني الأشواق مهلاً فهذه
 منازل من تهوى رويدك فنزل.

وما ينسب اليه ، هذه الآيات في أسرار الفاتحة رحمة الله عليه :
 إذا ما كنت ملتمساً لرزق
 ونيل القصد من عبد وحر
 وتأمن من مخالفة رغدر
 لما أمللت سراً أى سر
 ففاتحة الكتاب فان فيها
 فالزم ذكرها عقبى مساء
 وفي صبح وفي ظهر وعصر
 وقمي قارئاً في كل ليل
 إلى التسعين تتبعها بعشرين
 تسل ماشت من عز وجهه
 وعظام مهابة وعلو قدر
 وستر لا تغيره الليالي
 بجادته من النقصان تجري
 وتأمن من مخاوف كل شر
 ومن بطش الذي نهى وأمر
 ومن عري وجوع واقتطاع

الفصل السابع عشر : في بيان بعض ما اعترض عليه والجواب عنه .

قال الفخر ابن عساكر : وما كان يعترض به عليه ، وقوع خلل من جهة
 التحو في أنساء كلامه ، ورجح فيه فانصف من نفسه ، واعترف بأنه مامارس
 ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه من كلامـه ، مع أنه كان يؤلف الخطب ،
 ويشرح الكتب بالعبارات الرائعة التي تعجز الادباء والفقهاء عن أمثالها ، وأذن
 للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل من جهة المفظ أن يصلحوه ويعذروه ، فما
 كان قصده الا المعاني وتحقيقها ، دون الالفاظ وتلقيفيها .

وَمَا نَقَمْتُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَفْظَارِ الْمُسْتَبْشَعَةِ بِالْفَارَسِيَّةِ ، فِي كِتَابِهِ كِيمِيَّاءِ السُّعَادَةِ وَالْعِلُومِ ، وَشَرَحْ بَعْضِ الصُّورِ وَالْمَسَائِلِ ، بِحِيثُ لَا يَوَافِقُ مَرَاسِمُ الشَّرْعِ ، وَظَوَاهِرُ مَا عَلَيْهِ قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ الْأُولَى وَالْحَقُّ أَحَقُّ مَا يُقَالُ تَرْكُ ذَلِكَ التَّصْنِيفِ ، وَالاَعْرَاضُ عَنِ التَّسْرِحِ بِهِ ، فَانَّ الْعَوَامَ رَبِّا لَا يَحْكُمُونَ أَصْوَلَ الْقَوَاعِدِ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحِجَاجِ ، فَإِذَا اسْتَعْوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَخْيِلُوا مِنْهُ مَا هُوَ الضَّرُّ بِعْقَائِدِهِمْ ، وَيَنْسِبُونَ ذَلِكَ إِلَى مَذَاهِبِ الْأَوَّلِيَّاتِ ، مَعَ أَنَّ الْمِنْصَفَ الْبَيِّنَ ، إِذَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ ، عَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا ذَكَرَهُ ، نَمَارِزَنَ إِلَيْهِ إِشَارَةَ الشَّرْعِ وَانَّ لَمْ يَبْعَدْ بِهِ ، وَيُوجَدُ أَمْثَالُهُ فِي كَلَامِ مَشَايخِ الطَّرِيقَةِ مَرْمُوزَةً وَمَصْرَحَّاً بِهَا ، مُتَفَرِّقةً ، وَلَيْسَ لَفْظُ مِنْهُ إِلَّا وَكَانَ يُشَيرُ أَحَدَ وَجْوهِهِ بِكَلَامِ مَوْهِمٍ ، فَانَّهُ يَشْعُرُ سَائِرَ وَجْوهِهِ بِمَا يَوَافِقُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْمَلَةِ ، فَلَا يَجِبُ إِذَا حَمَلَهُ إِلَّا عَلَى مَا يَوَافِقُ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ مَتَعْلَقٌ ، إِنْ أَمْكَنَ أَنْ يَبْيَنَ لَهُ وَجْهًا مِنَ الصَّحَّةِ يَوَافِقُ الْأَحْوَالَ ، عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَدْرُ يَحْتَاجُ إِلَى مِنْ يَظْهُرُهُ وَيَقُولُ بِهِ ، وَكَانَ الْأُولَى نَيْرَكُ الْأَفْصَاحِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِ بِمَجْلَّاً فِي سَائِرِ كِتَبِهِ .

وَكَذَلِكَ أَنْكَرَ عَلَيْهِ إِبْنُ الصَّلَاحَ قَوْلَهُ فِي أَوَّلِ الْمُسْتَصْفَى ، هَذِهِ مُقْدَمَةُ الْعِلُومِ كُلُّهَا ؛ وَمَنْ لَا يَحْيِطُ بِهَا فَلَا ثَقَةُ لَهُ بِعِلْمِهِ أَصَلًا .

وَقَدْ نَحَمَنْجَاهُ إِبْنَ الْقِيمِ ؛ فِي مَفْتَاحِ دَارِ السُّعَادَةِ ، وَأَفَاقِ النَّكِيرِ عَلَيْهِ ؛ وَعَلَى مَنْ يَقُولُ بِعِلْمِ الْمَنْطَقِ ؛ مَمَّا سَيَأْتِي بِعَضُهُ فِي الْبَابِ الثَّانِي . وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ التَّقِيُّ السَّبِيْكِيُّ وَأَوْسَعَ فِيهِ مَا نَقَلَهُ عَنْهُ وَلَدَهُ التَّاجُ فِي الْطَّبَقَاتِ فَرَاجَعَهُ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِهِ الْأَحْيَاءِ فَسَيَأْتِي كَلَامُ الْمُنْكَرِينَ عَلَيْهِ وَالْجَوابُ عَنْهُ عِنْدَ ذَكْرِ هَذَا الْكِتَابِ فِي مَصْنَفَاتِهِ .

الفصل الثامن عشر في بيان كونه مجدداً للقرن الخامس

ولنذكر أولاًً الحديث الذي استبطنه العلامة التجدد.

روى أبو داود في الملاحم ؛ والحاكم في الفتن وصححه ؛ والبيهقي في كتاب المعرفة له ؛ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ رفعه ، «ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» قال العراقي وغيره : سنته صحيح ؛ أي يقين لها على رأس كل مائة من المجرة أو غيرها ، من بين السنة من البدعة ؛ ويكثر العلم وينصر أهله ؛ ويدل أهل البدعة . قالوا ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة . فكان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ؛ والثانية الشافعي ؛ والثالثة الأشعري أو ابن سريح ؛ والرابعة الأسفرايني أو الصعلوكي أو الباقلاني ؛ والخامسة حجة الإسلام الغزالى . وقال ابن السبكي : يتعين عندي تقديم ابن سريح في الثالثة على الأشعري ؛ فإن الأشعري وإن كان أيضاً شافعياً المذهب ؛ إلا أنه رجل متكلم ؛ كان قيامه للذب عن اصول العقائد دون فروعها ؛ وكان ابن سريح فقيها وقيامه للذب عن هذا المذهب . فكان أولى بهذه المرتبة ؛ لاسيما وان وفاة الأشعري تأخرت عن رأس القرن إلى بعد العشرين . وقد صح أن هذا الحديث ذكر في مجلس ابن سريح ؛ فقام شيخ من أهل العلم ، فقال : أبشر أهـما القاضـي ، فإن الله بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى الثانية الشافعي ، وبعثت على رأس الثلاثمائة ثم انشأ يقول :

اثنان قد مضيا فبورك فيها عمر الخليفة ثم خلف السؤدد
الشـافـعـي الـأـلـعـي مـحـمـد إـرـثـ النـبـوـة وـابـنـ عمـ مـحـمـد
أـرـجـوـ أـبـاـ العـبـاسـ أـنـكـ ثـالـثـ منـ بـعـدـهـ سـقـيـاـ لـتـرـبـةـ أـحـمـدـ
فـصـلـاحـ اـبـنـ سـرـيـحـ فـيـاـ يـحـكـيـ وـبـكـيـ ، وـقـالـ لـقـدـ نـعـيـ إـلـيـ نـفـسـيـ ، وـقـيلـ

إنه مات في تلك السنة . وقال : وأما الرابعة فقد قيل أن الشيخ أبي حامد الأسفرايني هو الم Burton فيها ، وقيل : بل الاستاذ سهل الصعلوكي ، وقد كان من لا يدفع عن هذا المقام بوجهه ، يتضمن ، لمشاركة الشيخ أبي حامد في الفقه ، وقرب الوفاة من رأس المائة ، بخلاف الأشعري مع ابن سريج . قال : والخامس الغزالى وقد قال في قصيدة نظمها في أسمائهم :

والخامس الحبر الإمام محمد هو حجة الإسلام دون تردد
وكذلك ذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في أرجوزة له فقال :
والخامس الحبر هو الغزالى وعده ما فيه من جدال
وقال فيها :

والشرط في ذلك أن تضي المائة
يشار بالعلم الى مقامه
 وأن يكون جاماً لكل فن
 وأن يكون في حديث قد روی
وكونه فرداً هو المشهور
وهو على حياته بين الفئه
وينصر السنة في كلامه
 وأن يعم عame أهل الزمان
من أهل بيت المصطفى وقد قوي
قد نطق الحديث والجمهور

ونقل العراقي ، عن البعض ، أنه جعل في الرابعة أبي اسحق الشيرازي »
وفي الخامسة أبي طاهر السلفي ، ولا مانع من الجمجم فقد يكون المجدد أكثر من واحد ؟ قال الذهبي : هذا للجمع لا للمفرد ، فتقول مثلاً على رأس الثلاثمائة ابن سريج في الفقه ، والأشعري في الأصول ، والنسياني في الحديث ؟ وقال في جامع الأصول : قد تكلموا في تأويل هذا الحديث فكل أشار الى العالم الذي هو في مذهبها ، وحمل الحديث عليه ، والأولى العموم ؟ فإنه يقع على الواحد والجمع ، ولا يختص أيضاً بالفقهاء ، فإن انتفاع الأمة أيضاً يكون بأولي الأمر ، واهل الحديث ، القراء ، الوعاظ ؟ لكن الم Burton ينبغي أن يكون

مشاراً إليه ، في كل من هذه الفنون . في رأس الأولى من أولى الأمر عمر بن عبد العزيز ، ومن الفقهاء محمد الباقر ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، والحسن ، وابن سيرين ؛ ومن القراء ابن كثير ، ومن المحدثين الزهري . وفي رأس الثانية من أولى الأمر المؤمّن ، ومن الفقهاء الشافعى» والمؤلّئي من الحنفية ، وأشبّه من المالكية ، وعلي بن موسى الرضي من الإمامية ، والحضرمي من القراء ، وابن معين من المحدثين ، والكرخي من الرهاد . وفي الثالثة من أولى الأمر المقتصد ، ومن الفقهاء ابن سريج ، ومن الحنفية الطحاوى ، ومن المتكلمين الباقلاوى ، وابن فورك ، ومن المحدثين الحاكم ، ومن الزهاد الدينوري ؟ وهكذا يقال في بقية القرون . ومن كلام النووي ما يشير إلى ذلك . وأيده الحافظ بن حجر في الفتح وقال كل من اتصف بشيء من تلك الأوصاف عند رأس المائة هو المراد تعدد أم لا . والبحث في هذا المقام يستدعي لذكر مسبّب ولكن اقتصرنا على المقصود منه .

الفصل التاسع عشر : في ذكر مصنفاته التي سارت بها الركبان

قال المناوي : نقل النووي في بيته ، عن شيخه التفلسي ، قال نقلأً عن بعضهم ، أنه أحصيت كتب الغزالى التي صنفها ، وزوّدت على عمره فشخص كل يوم أربعة كراريس ، قلت : وهذا من قبيل نشر الزمان لهم وهو من أعظم الكرامات . وقد وقع كذلك لنمير واحد من الأئمّة كابن جرير الطبرى ، وابن شاهين ، وابن النقيب ، والنويوى ، والسبكي ، والسيوطى وغيرهم .

ثم إن الإمام الغزالى رحمه الله تعالى له تصانيف في غالب الفنون ، حتى في علوم الحرف ، واسرار الروحانيات ، وخصوص الاعداد ، ولطائف الأسماء الالهية وفي السيميات وغيرها على ما سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى .

فمن أشرف مصنفاته ، وأشهرها ذكرًا وأعظمها قدرًا ، هذا الكتاب المسمى:
(الإحياء علوم الدين)^(١)

(١) يذكر الزبيدي هنا شرحاً عن كتاب الإحياء وما انكر عليه بعض العلماء من مسائله ثم يعقد فصلاً لمن خدم الاحياء أو اختصره . وقد اكتفيت بتشخيص كلامه عن الذين خدموا الاحياء أو اختصروه مكتفيًا بما اوردناه من كلام الذهبي والسبكي في الانكار عليه والدفاع عنه .

بيان من خدم الاحياء : لم أر من شرح هذا الكتاب ولا تعرض أحد لا يوضح صياغة المستطاب الا ما كان من المصنف نفسه لما بلغه انكار بعض المذكرين على مواضع فقد كتب في الرد عليهم كتاباً صغيراً اسمه «الاملاع على الاحياء » وسيأتي ذكره في تعداد مصنفاته ، وإنما خرج أحاديثه الامام زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، رحمه الله تعالى ، في كتابين أحدهما : كبير الحجم في مجلدات وهو الذي صنفه في سنة ٧٥١ هـ وقد تقرر فيه الوفوف على بعض أحاديثه ، ثم ظفر بكثير مما عزب عنه الى سنة ٧٦٠ ، ثم اختصره في مجلد وسماه «المقني عن حل الاسفار » اقتصر فيه على ذكر طريق الحديث ، وصحابيه ، ومخرجه ، وبيان صحته ، وضيق مخرجه ، وحيث كثر المصنف الحديث ، اكتفى بذلك في أول مرة ، وربما اعاده لغرض من الاغراض .

ثم أتى تلميذه الخافظ شهاب الدين بن حجر المسقلاني ، فاستدرك عليه ما فاته في مجلد .
وصنف الشيخ قاسم بن قططوبنا الحنفي ، كتاباً سماه تحفة الاحياء ، فيما فات من تحرير
أحاديث الاحياء .

ولابن السبكي كلام على بعض أحاديثه المتكلم فيها سرده على ترتيب الأبواب ، في آخر ترجمته من طبقاته الكبرى .

بيان من اختصر كتاب الاحياء : أول من اختصره اخوه المؤلف أبو الفتوح محمد بن محمد الغزالى توفي ٢٠٥ هـ وسماه بباب الاحياء ثم اختصره احمد بن موسى الموصلى ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، ثم محمد بن سعيد البهانى ، ومحمد بن أبي الحتر اليمنى ، ومحمد بن عمر بن عثمان البلخي وسماه «عين العلم » وعبد الوهاب بن علي الخطيب المراغي ، وسماه «باب الاحياء » ألفه في بيت المقدس وهو عندي . والشمس محمد بن علي بن جعفر العجلوني المشهور بالبلالى وهو شيخ خانقه سعيد السعيد بصرى توفي ٨٢٠ قال الخافظ السجاوي هو أحسن المختصرات .
والجلال السيوطي الحافظ وأخرون .

حرف الالف : (إحياء علوم الدين) «الإملاء على مشكل الاحياء» أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه في كتابه ويسمى أيضاً الاجوبة المسكونة عن الاستئلة المبتهة ، وهو مؤلف لطيف عندي .

ومنها «الاربعين» وهو قسم من كتابه المسمى بجواهر القرآن ، وقد أجاز أن يكتب مفرداً فكتبوه وجعلوه مستقلاً وهو عندي .

ومنها كتاب أسماء الله الحسنى .

ومنها «الاقتصاد في الاعتقاد» .

ومنها «إنجذاب العوام عن علم الكلام» .

ومنها اسرار معاملات الدين .

ومنها «أسرار الانوار الإلهية بالآيات المتنورة» وهو مرتب على ثلاثة فصول .

ومنها اخلاق «الأبرار والنجاة من الشرار»

ومنها «أسرار اتباع السنة»

ومنها «أسرار الحروف والكلمات»

ومنها «ايها الولد» وهي فارسية عربها بعض العلماء . وسماه بهذا الاسم مشهور

حروف الباء : «بداية المدحية» وهو مختصر في الموعظة ، ذكر فيه ما لا بد

منه للعامة من المكاففين ، من العادات والعبادات .

ومنها «البسيط في فروع المذهب» وهو كالمحظوظ لنهاية المطلب لشيخه إمام

الحرمين ، الذي قال فيه ابن حلكان ماصنف في الاسلام مثله ،

ومنها «بيان القولين» للشافعي .

ومنها «بيان فضائح الاباحية»

ومنها بدائع «الصنيع»

حروف اللاء : «تنبية الغافلين» .

ومنها «تلميس ابليس»

و منها « تهافت الفلسفه » صدره بأربع مقدمات قد ردّ فيها على الفلسفه ، ثم ذكر بعدها المسائل التي تناقض مذهبهم فيها ، وهي عشرون مسألة ، وذكر في خاتمه ما يقطع القول بـ كفرهم من ثلاثة وجوه . وقد صنف في الرد عليه أحد علماء الأندلس القاضي أبو الوليد محمد بن رشد^(١) ، قال فيه في آخره: لا شك أن هذا الرجل أخطأ على الشريعة ، كما أخطأ على الحكمة ، ولو لضرورة طلب الحق ، ما تكلمت في ذلك . ثم تكلم فيما بعد في المحاكمة بينها من علماء الروم مصطفى بن يوسف البرموني ، المعروف بخواجة زادة ، والمولى علاء الدين علي الطرطوسي ؛ وعلى الأول منها تعليقة لابن كمال باشا

و منها « التعليقة في فروع المذهب » كتبها بحر جان عن الاسماعيلي

و منها « تحصين الأدلة »

و منها « تفسير القرآن العظيم »

و منها « التفرقة بين الإيمان والزندقة » ذكره عياض في آخر الشفاء .

حروف الجيم : « جواهر القرآن » ذكر فيه أنه ينقسم إلى علوم وأعمال ظاهرة وباطنة والباطنة إلى تركية وتحليلية ، فهي أربعة أقسام . وكل قسم يرجع إلى عشرة أصول ، فيشتمل على أصول القرآن ؛ وهو عندي .

حروف الخاء : « حجۃ الحق »

و منها « حقيقة الروح »

و منها « حقيقة القولين »

حروف الماء : « خلاصة الرسائل إلى علم المسائل » في فروع المذهب واحد الكتب المشهورة ذكر فيها انه اختصره من مختصر المزني وزاد عليه

حروف الراء : « رسالة الأقطاب »

(١) كتاب تهافت التهافت لابن رشد .

ومنها «رسالة الطير»

ومنها «الرد على من طفى»

ومنها «الرسالة القدسية بأداتها البرهانية» في علم الكلام ، كتبها الأهل القدس
وقد شرحها المصنف .

حرف السين : «السر المصور» وهو مؤلف صغير رتب فيه الآيات القرآنية
على أسلوب غريب ، يذكر بعد كل جملة منها ، أعداؤنا إن يصلوا علينا بالنفس ،
ولا بالواسطة ، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا ، بحال من الأحوال

حرف الشين : «شرح دائرة علي بن أبي طالب» المسماة نخبة الاسماء وهو
مشهور بين أيدي الناس

ومنها «شفاء الغليل في بيان مسألة التعليل» رتبه على مقدمة وخمسة أركان ،
وهو عندي . المقدمة في بيان معاني القياس والعملة والدلالة ، الركن الأول في
إثبات غلة الأصلة ، الثاني في الملة ، الثالث في الحكم ، الرابع في القياس ، الخامس
في الفرع الملحق بالأصل .

حرف العين : «عقيدة المصباح»

ومنها «عجبائب صنع الله»

ومنها «عنقود المختصر» وهو تلخيص المختصر المقتصر من المزي لأبي محمد الجوني

حرف الغين : «غاية الغور في مسائل الدور» ألفها في المسألة السريجية على
عدم وقوع الطلاق ثم رجع وافتى بوقوعه

ومنها «غور الدور» في المسألة المذكورة وهو المختصر الاخير ألفه بغداد

سنة ٤٨٣

حرف الفاء : «الفتاوی» مشتملة على مائة وتسعين مسألة غير مرتب

« فاتحة العلوم » وهو مشتمل على فصلين
« فضائح الإباحية »
« المفكرة والعبرة »
« فواتح السور »
« الفرق بين الصالح وغير الصالح » ذكره في كتابه نصيحة الملاك
حرف الفاف : « القانون الكلبي »
ومنها « قانون الرسول »
ومنها « القرابة » إلى الله عز وجل
ومنها « القسطاس المستقيم » مختصر جمله ميزاناً لإدراك حقيقة المعرفة
« قواعد العقائد » وهو في علم الكلام شرحه السيد ركن الدين الأسترابادي ،
والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرقاوي
« الرد الجليل على من غير الأنجيل »

حرف الكاف : « كيمياء السعادة والعلوم » بالفارسية وهو كتاب كبير يقال
إنه ترجم فيه كتابه الإحياء ، وقد رأيته بكتة ، وقد تكلم عليه في مواضع منه
تقدمت الاشارة إليه . وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سمّاه كذلك
وهو عندي
« كشف علوم الآخرة »
« كنز العدة »

حرف اللام : « الباب المتخل في الجدل »

حرف الميم : « المستصفى في أصول الفقه » مؤلف خصم رتبه على مقدمة ،
وأربعة أقطار ، وخاتمة . فالمقدمة فيها التوطئة والتمهيد ، والقطر الأول في الأحكام
المشتملة على لباب المقصود ، الثاني في الأدلة الحكيمية ، الثالث في ذكر الاشتئار

والماءسية ، والراجم في الاستمرارات ، والملائمة في الایقاعات . وذكر في أوله أنه صنفه قبل الأحياء . واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الشبلي ، المتوفى سنة ٩٥١ وشريحه الفاضل أبو علي الحسين بن عبد المزير الفهري المتوفى سنة ٩٧٦ ، وعليه تعلقة لسلمان بن داود الغرناطي المتوفى سنة ٩٨٣ .

« التحول في الأصول » قال ابن السبيكي ألفه في حياة مستاذه إمام التبريزين ، قلت : وللذي يقتضي سياق المستصنفي في أوله أنه متأخر عن الأحياء . وكتبه في الجماعة ويحوارها في القرآن ، لأن فيه بعد ما ذكر هذه الكتب ثلاثة قال : ثم يماقي القديس الأنطون إلى التصدير للتبريزين ، فكتب من تقريري في علم أصحاب الفقه ، فحصلوا تصنيفها على طريق لم يقع بها في تهذيب الأصول ، فلما كثروا من صنوفه على لم أخفي ، سمعهم ، وسميتة المذكور ، والشيخ شخص الأئمة الكردي الحنفي في الرد عليه ، صنف لطيف ، وهو عندي .

الآن في الخلافات بين الحنفية والشافعية .
إلا أن ، والبيانات في أسرار المعرفة المكتوبة .

« الجلس الفرزالية » ذكر ابن السبيكي ، أنه لما قدم مجلسه للخطب ، وجدوا أنهم الناس عليهم ، فكان بدون مجلس وعلوه من دراء الناس ، الشيء صادق ابن فارس ، المروف ببن البان ، فبلغت مائة وثلاثة وثمانين مجلساً ، ثم توالت بهم ذلك ، عليه فأجازها ، بعد أن سمعها . فيبيضا في مجلدين فخمين .

« مقاصد الفلسفية » جرس ، فيه مقاصد ثم حكى من ملوكها .

المقدم من الغبار والمفصح عن الأحوال بـ في غالية الزيار وآسرارها وآسرارها ، ورد فيه على الحكمة والفلسفة ونبيهم إلى الكفر والصلال وهو عبودي ،
صيغ المظفر

صيغ المعلم في المطلق .

«محك النظر»

«مشكاة الانوار في لطائف الاخبار» في الموعظة حصر مقصوده في ثمانية وأربعين باباً، قال في أوله : انكشف لأرباب القلوب ، أن لا وصول للسعادة للانسان ، الا باخلاص العلم والعمل للرحمٰن ، فسنج في خاطري ، أن أجمع كتاباً جاماً جمع أشياء من آيات القرآن العظيم ، وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكلمات الأولياء ، ونكت المشايخ رحمهم الله ، وحكم أهل العرفان ، وأخذت من كل مما يشرف القلب اليه سبحانه وتعالى . ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ، ويرغبها في الآخرة ودرجاتها ، الى آخر ما قال ، وهو عندي .

«المستظاهري في الرد على الباطنية .

«میزان العمل»

«مواهم الباطنية» قال ابن السبكي : وهو غير المستظاهري في الرد عليهم .

«المنهج الأعلى»

«مراج السالكين» وهو مختصر أورد فيه الموعاظ والتذكير .

«المكئون في الأصول»

«مسلم السلاطين»

«مفصل الخلاف في أصول القياس»

«منهاج العبادين الى جنة رب العالمين» قيل : هو آخر تأليفه رتبه على سبعة عقبات وقال في أوله : صنفنا في قطع طريق الآخرة ، وما يحتاج اليه من علم وعمل كتبنا ، كاحياء العلوم ، والقربة الى الله عز وجل ، فلم يحسنوها . فأيما كلام أصح من كلام رب العالمين ، فقد قالوا أساطير الأولين ، واقتضت الحال الى كافة خلق الله بعين الرحمة ، وترك المراة ، فابتلهت الى الله سبحانه ، أن يوفقني الى كتاب يقع عليه الاجماع ، ويحصل بقراءته الانتفاع ، فأجابني وأطلعني بفضله وكرمه ،

على أسرار ذلك ، وألماني ترتيباً عجيناً لم أذكره في التي تقدمت . وقد شرحه شمس الدين البلانسي ، شرحين كبيراً وصغيراً ، ثم اختصر المنهج في جزء سماه بغية الطالبين ، قلت : ولم يذكره ابن السبيكي في تعداد مصنفاته . ورأيت في كتاب المسامرة للشيخ الأكبر محى الدين بن عربي قدس سره ، مانسه ، أن الشيخ أبو الحسن على بن خليل السبكي ، كان عالماً بالحقيقة ، عارفاً بمحول الذكر ، رأيته بسبته وتباحثت معه ، ورأيت له منه تصانيف ، منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالى ، وليس له . وهو غريب يستفاد .

حروف النون

« نصيحة الملوك » فارسي نقله بعضهم إلى العربية وسماه التبر المسبوك .

حروف الواو

« الوجيز في الفروع » أخذه من البسيط والوسيل وزاد فيه أموراً . وهو كتاب جميل عمدة في المذهب ، شرحه الفخر الرازي ، وأبو الثناء محمود بن أبي بكر الارموي ، والعاد أبو حمد محمد بن يونس الأربلي ، وأبو الفتوح العجلبي ، وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعى ، وسماه العزيز على الوجيز ، وقد تورع بعضهم فسماه فتح العزيز ؛ وقد اختصر النwoي في شرح الرافعى كتاباً سماه الروضة ، وقد خدم الوجيز علماء كثيرون يقال إن له نحو سبعين شرحاً ، وقد قيل لو كان الغزالى نبياً لكان معجزته الوجيز . وأما من خرج أحاديثه فإن المقن في سبع مجلدات ، سماه البدر المنير ، ثم اختصره في أربع مجلدات سماه الخلاصة ، ثم نلخصه وسماه المتنقى في جزء ، وهو عندي . ولنصله أيضاً الحافظين حجر ، ومنهم البدر بن جماعة ، والبدر الزركشي ، والشهاب البوصيري ، والجلال السيوطي ، وآخرون . « الوسيط في فروع الفقه » وهو ملخص من البسيط مع زيادات ، وهو أحد

الكتاب الحمس المتداولة ، شرحه تأييده محمد بن يحيى التيسابوري ، سماه المحيط ، في ستة عشر مجلداً ، وشرحه نجم الدين أحمد بن علي بن الرفق في ستين مجلداً ، وسماه المطلب ، وشرحه النجم القمي ، وسماه البحر المحيط ، وشرحه الظاهر جعفر بن يحيى التزني ، ومحمد بن عبد الحكم ، والعز عمر بن أحمد المدجلي ، وأبو الفتوح العجلبي ، وابراهيم بن عبد الله بن الدسم ، وابن الصلاح من الربع الأول في ضربين ، والكمال أحمد بن عبد الله الحلي الشهير بـ ابن الاستاذ ، في أربع مجلدات وبحيى بن أبي الخير اليمني ، وعليه حواش للهاد عبد الرحمن بن علي المصري القاضي ، وشرح أحاديث الوسيط السراج بن الملقن ، سماه تذكرة الاختيار بما في الوسيط من الاخبار في مختصر ، واختصره التور ابراهيم بن هبة الله الأسيوي ، وشرح فرازنه فقط ابراهيم بن اسحق المداوي ، وقد مدح كتابه الأربعية أبو حفص عمر ابن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي فقال:

هذب المذهب حبر أحسن الله خلاصه
وسيط ووسيله ووجيز وخلاصه

محبوب في اليماني

«ياقوت التأويل في تفسير التنزيل» أربعون مجلداً .

تفعيه : (كتب لبيست لغزالى) اعلم أنه قد عزى الى الشيخ أبي حامد الغزالى كتب ، وقد صرخ أهل التحقيق أنها ليست له . من جملتها :

«السر المكتوم في اسرار النجوم» ونسب هذا الكتاب الى الامام الفخر ، فأفکر كونه له أيضاً ، لكن أصحاب الروحانين ، وأهل التصحیح ينقولون منه أشياء كثيرة بقولهم قال الفخر الرازي ، في كتابه السر المكتوم في اسرار النجوم كذا وكذا . قال صاحب تحفة الارشاد : وهو موضوع عليه .

ومنها «كتاب تحسين الظنون» وله فيه :

لا نطلوا الموت مؤننا وإنما طيبة وإنما الشفاعة التي
أحسنوا الظن برب راحم تشکروا السعي وتأتوا أمنا
ما أرى نفسي إلا أنت وأعْتَدْتُكِ أنكم أذْتُمْ إِنْ
وقد صرخ الشيخ الأكابر أنه موضوع ،
ومنها «كتاب النفع والتنسو» فـ^ف كذلك موضوع عليه .

ومنها «المضتون به على غير أهله» قال ابن السبكي : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إليه وقال : معاذ الله أن يكون له ، وبين كون سببه مختلفاً موضوعاً عليه ، والأمر كما قال . واشتهر على التصريح بقدم المسمى ، وفي علم القديم بالجنبئيات ، وكل واحد من هذه يكتفى الفزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون ، فكيف يتصور أنه يقولها ؟ وهو عذبي . وفي المعاصرة أنه من تأليف علي بن سنيل السبكي . وكذلك صريح شاهد تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه وفاته صرف أبو بكر محمد بن عبد الله الفزالي كتاباً في ذرته وتوفي في سنة ٤٥٧هـ .

الفصل العشرون في بيان من تلقته عليه وتنبه به وصحبه وروي عنه :

وفي أثناء ذلك نور دبغض أستاذينا للإمامية .

فهؤم القاضي أبو نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفزالي ، منسوب إلى خمسة قرى وتعرف بـ^{بن عبد الله} . ولد سنة ٤٦٩هـ وتنبهه بطوس على أبي حماد الفزالي ، وسمح له ، من أخرين توفي سنة ٤٨٤هـ .

ومنهم الإمام أبو الفتح أشداد ، بن علي ، بن محمد ، بن برهان ، بفتح الموجده ، الأصولي . كان حنانياً ثم انقلب دينه على الشافعي ، وأبي جعفر الفزالي ، والكيا . وكان يدرس في النظامية في أحوال الطلوم ، وكان يدرس لهم في الإحياء في فصف

المائل ، وقد سمع الحديث من ابن البطر ، وأبي عبد الله النعالي ، وسمع البخاري
قراءة على أبي طالب الزبيني . ولد سنة ٤٧٦ ، وتوفي سنة ٥١٨ .

ومنهم أبو منصور محمد ، بن اسماعيل ، بن الحسين ، بن القاسم العطاري
الطوسى الوعظ ، الملقب بمحفدة توفي سنة ٤٨٦ ، وتفقه بطوس ، على أبي حامد
الغزالى ، وبرأ على أبي بكر السمعانى ، وسمع من البغوى كتبه ، وأبي الفتیان
الدهستاني الحافظ توفي بمرو سنة ٥٧٣ .

ومنهم السيد أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد التوqانى ، تفقه على أبي حامد
الغزالى ، وقتل في مشهد علي بن موسى الرضي توفي سنة ٥٥٤ هـ في واقعة النغر .
ومنهم أبو عبد الله محمد ، بن عبد الله ، بن تومرت المصودي ، الملقب
بالمهدي ، صاحب دعوة سلطان المسلمين ، عبد المؤمن ، بن علي ، ملك المغرب .
دخل المشرق ، فتفقه على أبي حامد الغزالى ، والكيا ، وأخباره طوبية ذكرها
الأخباريون .

ومنهم أبو حامد محمد ، بن عبد الملك ، بن محمد الجوزقانى ، الأسفراينى ، تفقه
على أبي حامد الغزالى ببغداد ، وسمع ابن أبي عبد الله ، الحميدي الحافظ ، لقيه ابن
السمعانى بأسفراين .

ومنهم أبو عبد الله محمد ، بن على ، بن عبد الله العراقي ، تفقه على أبي حامد
الغزالى ، والكيا ، والشاشى ، وبقي بعد الأربعين وخمسائة .

ومنهم أبو سعيد محمد ، بن علي الجاوانى ، الكردى ، حدث بكتاب إلجام
العوام للغزالى ، عنه ، وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها .

ومنهم الإمام أبو سعيد محمد ، بن يحيى ، بن منصور النيسابوري ؟ ولد سنة
٤٧٦ وهو من أشهر تلامذة أبي حامد الغزالى ، تلقى عليه ، وشرح كتابه
البسيط ، وسمع الحديث من أبي حامد بن عبدوس ، ونصر الله الحشناني ، وعلمه

تفقه الموفق الخوشناني ، المدفون تحت رجلِ الإمام الشافعي بمصر . استشهد في رمضان سنة ٤٨٥ في واقعة النفر .

ومنهم أبو طاهر ، إبراهيم بن الطهير الشيباني ، حضر دروس إمام الحرمين ، نيسابور ، ثم صحب الغزالى ، وسافر معه إلى العراق ، والمحجاز ، والشام ، ثم عاد إلى وطنه بحر جان ، وأخذ في التدريس والوعظ . قتل شهيداً سنة ٥١٣ .

ومنهم أبو الفتح نصر ، بن محمد ، بن إبراهيم الأذربيجاني ، المراغي ، الصوفى ، حكى عن أبي حامد الغزالى وغيره ، حكى عنه أبو سعد بن السمعانى ، قال : سمعت أبا الفتوح نصر بن محمد بن ابراهيم المراغي إملاء ، بأصل طبرستان ، يقول : اجتمع الأئمة أبو حامد الغزالى ، واسعىيل الحاكمى ، وإبراهيم الشباكى ، وأبو الحسن البصري ، وجماعة كثيرة من أكابر الغرباء ، في مهد عيسى عليه السلام . وأنشد فقال كهذين البيتين :

فديتك لولا الحب كنت فديتني
ولو كنت تدري كيف شوقي أتيتني

فتواجد أبو الحسن البصري وجداً أثرياً في الحاضرين ، ودمعت العيون ، ومنقت .
البيوب ، وتوفي محمد الكازوني من بين الجماعة في الوجد ، قال المراغي : و كنت .
معهم حاضراً وشاهدت ذلك .

ومنهم أبو عبد الله الحسين ، بن نصر ، بن محمد ، بن الحسين الجبني الموصلى ،
تفقه على الغزالى ، وسمع من طراد الزيني ، وابن البطر ، توفي سنة ٥٥٢ .

ومنهم خلف بن أحمد النيسابوري ، من تفقه على الغزالى ، وله عنه تعليةة به ، ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط ، وقال : بلغني أنه توفي قبل الغزالى .

ومنهم أبو الحسن سعد الخير ، بن محمد ، بن سهل ، بن سعد الأنبارى .

البلنسوي ، الحدث ، أئمدة السياحيين ، تقىة بغداد على الغزالى ، وشيخها من طراد ، وإن البطرى ، روى عنه السمعانى ، وإن الجوزي ، وأبنته فاطمة ، بنت سهل ، قُرٰى في سنة ١٠٣٩ .

ومنهم أبو عبد الله شافعى ، بن عبد الرشيد ، بن القاسم الجليل ، تقىة كل ، الكيا ، والغزالى ، وشيخ الحديث بالبصرة . روى عنه ابن السمعانى قُرٰى سنة ٥٤١ .

ومنهم أبو عاصى دفعى ، بن علي ، بن أبي العباس المعمور المعنوى ، خير بالطوس ، وأقام عند أبي ساوى الغزالى مدة ، وأخذ عنه . قُرٰى في ١٠٢٧ .
ومنهم الاستاذ أبو طالب عبد الكريم ، بن على ، بن عبد الله ، وابن عاصى ،
تقىة كل ، الغزالى يعداد ، والكيا هدى بن البت المخجلى ، روى عنه ابن
الغافرى ، مؤرخ هرات ، وكان أبو طالب يحفظ الإحياء صرفاً في ما يكتبه
فيه في سنة ٨٢٨ .

يعتبر الإمام أبو منصور سعيد ، بن قاسم ، بن منصور المؤذن ، ولذلك
كان يُقال عنه كل الشائى ، والغزالى ، والشوكى ، والبلطري ، والذى ، والذى ،
والبلطري ، قُرٰى في ١٠٣٩ . وروى أبو سعيد ، في غرب مصر ، في تanta ، وروى سعيد
بن حبيب ، بن سعيد ، بن سعيد ، كلامه محتداً ، ذكر شفاعة في شرق مصر ،
وقد ذكر شفاعة في سعيد ، بن محمد ، بن شهرياً ، والبلطري ، وهو أبو سعيد
الإمام ، أبو اليه بطروس ، وتقىه عليه ، روى الحديث من مصر ، ثم اشتغل ،
وقد ذكر شفاعة في سعيد ، بن محمد ، بن عبد الله ، بن حرازيم ، لقبه بالبلطري
وقد ذكر شفاعة في سعيد ، لقبه بغيريه حكمها الشهاب أحمد ، ابن عبد الله ، بن القاضى
السبطى ، في كتابه الأصلحة .

وَهُنْمُ أَبُو الْحَسْنِ عَلَيْهِ بْنُ الْمَالِكِ ، بْنُ مَكْتَبِي ، بْنُ مَقْلَصِي الْمَيْمُونِي ، هُنْ كُبَّارٌ تَلَاقَتْهُمُ الْفَرَّازِيُّ فِي الْفَقَهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبْنَى الْبَطْرِ ، وَطَبَقَتْهُ ، رُوِيَ عَنْهُ أَبُو عَسَّاكِرٍ ، قَوْنِي مَدْنَةٍ ٤٢٥ .

وَهُنْمُ سَرْوَانُ بْنُ عَلَيْهِ ، بْنُ سَلَامَةِ ، بْنُ مَزْوَانِ ، بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، الطَّافِزِيِّ ، مَنْ قَرَأَهُ بِدَارِيْكَرْ . وَرَدَ بِغَدَادِ ، وَتَفَقَّهَ بِهَا عَلَى الْفَرَّازِيِّ ، وَالشَّائِيِّ ، رُوِيَ عَنْهُ أَبُو عَسَّاكِرٍ ، قَوْنِي بَعْدَ مَدْنَةٍ ٤٣٥ .

وَهُنْمُ أَبُو الْحَسْنِ عَلَيْهِ ، بْنُ مُسْلِمَ ، بْنُ حَمْدَ ، بْنُ عَلِيِّ السَّلَمِيِّ ، جَمَّالُ الْإِسْلَامِ ، لَازَمَ الْفَرَّازِيَّ مَقَامَهُ بِدَمْشَقِ ، وَأَخْذَ عَنْهُ . يُحَكَّى أَنَّ الْفَرَّازِيَّ قَالَ : إِنِّي خَرَجْتُ مِنَ الشَّامِ ، خَافَتْ بِالشَّامِ شَاهِيْاً أَنْ يَعْلَمَ كَانَ لَهُ شَأْنٌ يَقْوِيُّ جَهَالَ الْإِسْلَامِ هَذَا ، فَسَكَّانُ كَاتَبَ قَاتِلَنِيْ فِيهِ .

وَهُنْ رُوِيَ عَنْهُ الْمَاطِفِيُّ أَبُو الْقَاهِمِ ، بْنُ عَسَّاكِرٍ . يَا لَمَنِيفَ الصَّافِيِّ ، وَبِرَّ كَاتَبَ الْمَشْوِيِّ ، وَالْقَاهِمِ بْنُ عَسَّاكِرٍ . آتَاهُمْ وَلَدَهُ الْقَاضِيُّ عَبْدُ الصَّمَدِ الْمُؤْسَفَانِيِّ^(١) .

مَلَاسِطَة : وَيَقُولُ الْمُؤْسَفَانِيُّ مَقَادِدَ " الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ تَرَاهُ " فِي الْاعْتَدَارِ عَنِ الْمَسْئَةِ . فِي إِشَارَةِ الْمُؤْسَفَانِيِّ إِلَيْهِ فِي الْمَلَاسِطَةِ فِي الْمُقْلِلِ وَالْمُوَلِّيَّةِ وَقَدْ رَأَيْنَا إِلَيْهِ كَثِيرًا أَوْرَدَهُ لِحَلْيَتِهِ بِسَيِّقِ مَوْضِعِ الْكَابِرِ .

(١) أَكْتَفَيْنَا بِذِيَّتِ هَذَا الْبَزَرِ مِنَ الفَصْلِ وَمِنْ أَرَادَهُ التَّوْسِعِ ، ذَلِكَ بِعِنْدِهِ مَذَاهِلَةٌ لِلْخَاقَانِ

الترتيب الزمني لمؤلفات الفزالي^(١)

- ١ - المرحلة الأولى (من ٤٦٥ - ٤٧٨ هـ) أي قبل وفاة إمام الحرمين :
- ١ - التعليقة في فروع المذهب
 - ٢ - المنحول في أصول الفقه

* * *

٢ - المرحلة الثانية (من ٤٧٨ - ٤٨٨ هـ) :

- ٣ - البسيط
- ٤ - الوسيط
- ٥ - الوجيز
- ٦ - خلاصة اختصار وتفاوه المعتصر ، أو الخلاصة في الفقه
- ٧ - المتاحل في علم الجدل
- ٨ - مأخذ الخلاف
- ٩ - باب النظر
- ١٠ - تحقيق المأخذ
- ١١ - المباديء والغايات
- ١٢ - شفاء الغليل
- ١٣ - فتوى (لابن تاشفين) - ٤٨٤ -
- ١٤ - الفتوى التيزيدية
- ١٥ - غاية الغور في درأة الدور (في المسألة السريجية) - ٤٨٤ -

(١) أكثره مستقى من كتاب بوبيج.. Essai de chrono logie وهو يذكر هنا الكتب التي تحقق من تاريخ تأليفها ويشير إلى باقي تصانيف الفزالي التي لم يتحقق من فترتها الزمنية تماماً

- ١٦ - تهافت الفلسفه - ٤٨٨ -
- ١٧ - مقاصد الفلسفه - ٤٨٧ -
- ١٨ - معيار العلم « بعد التهافت » وقبل سفره إلى دمشق
- ١٩ - معيار العقول - ٤٨٧ - ٤٨٨ -
- ٢٠ - محك النظر في المنطق (٤٨٧ - ٤٨٨) وينذّر الذهي أنه ألهه بدمشق.
- ٢١ - ميزان العمل (٤٨٧ - ٤٨٨) يخالف ذلك سليمان دنيا في كتابه الحقيقة عند الفزالي ويرى أنه ألف هذا الكتاب في آخر حياته .
- ٢٢ - المستظاهري - ٤٨٨ -
- ٢٣ - حجّة الحق =
- ٢٤ - الاقتصاد في الاعتقاد - ٤٨٨ - (يخالف حنا فاخوري وخليل الجرجاني في كتاب الفلسفة العربية في بيان انه ألفه عام - ٤٨٩ -)
- ٢٥ - الرسالة القدسية في العقائد - ٤٨٨ - ٤٨٩ -
- ٢٦ - المعارف المقلية والأسرار الألهية - ٤٧٨ - ٤٨٩ -
- ٢٧ - قواعد العقائد - ٤٨٨ - ٤٨٩ -
- ★ ★ ★
- ٣٠ - المرحلة الثالثة » « مرحلة العزلة (من ٤٨٨ - ٤٩٩)
- ٢٨ - إحياء علوم الدين بين ٤٨٩ و ٤٩٥
- ٢٩ - كتاب في مسألة كل مجتهد مصيبة . كتبه في دمشق
- ٣٠ - جواب (الغرالي على مؤيد الملك بشأن دعوته للتدرис في نظامية بغداد)
- ٣١ - مفصل الخلاف
- ٣٢ - جواب المسائل الأربع التي سألها الباطنية بهمدان

٣٣ - المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسني - بين ٤٩٠ - ٤٩٥ كاريوي
صاحب الفلسفة العربية -

٣٤ - رسالة في رجوع أسماء الله إلى ذات واحدة على رأي المترلة وال فلاسفة

٣٥ - بداية المداية (يحدد صاحب الفلسفة العربية وقت تأليفه بين ٤٩٠ - ٤٩٥)

٣٦ - الوجيز في صَفَرٍ ٤٩٥

٣٧ - جواهر القرآن - ٤٩٥ - ٤٩٨

٣٨ - الأربعين في أصول الدين - وهو قسم من الجواهر كتبة في طوس بعد عودته

٣٩ - المصنون به على غير أهله - يرى ماسينيون أن المصنون اثنا عشر كتابا

بين ٤٩٥ - ٥٠٥

٤٠ - المصنون الصغير

٤١ - كتاب الدرج المرقوم بالجدائل - بين الجواهر والقسططاس -

٤٢ - القسططاس المستقيم - ٤٩٧ -

٤٣ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ٤٩٧

٤٤ - القانون الكافي في التأويل

٤٥ - كيمياء السعادة (بعد الجواهر) - يحدد ماسينيون وقت تأليفه
بين ٤٩٥ - ٤٩٠

٤٦ - أيها الولد - يرى صاحب الفلسفة العربية أنه ألفه في نيسابور سنة ٥٠٠

٤٧ - نصيحة الملوك - بعد عودته من الشام - ٤٩٨ - ٤٩٩

٤٨ - زاد أخرا (فارسي)

٤٩ - رسالة إلى أبي الفتح أحمد بن سلامة بالموصل - قبل ٥٠٠

٥٠ - الرسالة الالدية

٥١ - رسالة إلى بعض أهل عصره

٥٢ - مشكاة الأنوار - قبل ٥٠٠ -

٥٣ - تفسير ياقوت التأویل

٥٤ - الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين - جواه ٤٩٠ -

٥٥ - تلبيس إبليس - إن صح أنه له - بعد الاحياء



٤١ - المرحلة الثانية من التعليم - بين ٤٩٩ - ٥٠٣ -

٥٦ - المنفذ من الضلال - ٥٠١ - ٥٠٢

٥٧ - في عجائب الخواص

٥٨ - غاية النور

٥٩ - المستصفى من علم الأصول (٦ محرم ٥٠٣ في نيسابور كاريوي ابن الاثير)

٦٠ - سر العالمين وكتشاف ما في الدارين

٦١ - الاملاء على الاحياء - في نيسابور - ٥٠٣ -



٦٢ - السنوات الأخيرة : - من ٥٠٣ - ٥٠٥ -

٦٣ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة

٦٤ - الجام العوام عن علم السلام - بين ٥٠٤ - ٥٠٥ -

٦٤ - منهاج العبادين (يقول محي الدين بن عمري إنه لابي الحسن على المسفر

الستي) والمستشارون ينقسمون في نسبة هذا الكتاب له إلى مؤيدین في نسبته له

مثل جاردنز ، وجوش ، وأسين بالاسيوس ، ودوبور ، وشاکین في هذه النسبة

مثل ماسينيون (١) .

(١) يرى ماسينيون ان كتاب منهاج العبادين كتب بين ٤٩٢ - ٤٩٥؛ ويرى كارادوفو في
كتابه وأي بوجي أنكر كتبه آخر حياته .

ولم يشر ماسينيون الى مدارج السالكين الذي يرى صاحبها الفلسفة العربية أنه كتبه في هذه
المراحل بين ٥٠٤ - ٥٠٥

أَهْمَمُ مَا طَبَعَ مِنْ مَوْلَاهَاتِ الْغَزَّالِيِّ

١ - إِحْيَاء عِلُومِ الدِّينِ :

يتَأَلِفُ مِنْ أَرْبَعِ مُجَدَّدَاتٍ تَتَنَاهُلُ أَرْبَعَةً مَوَاضِعًا : ١ - الْعِبَادَاتُ ٢ - الْعَادَاتُ
الْمَهَلَكَاتُ ٤ - الْمَنْجِيَاتُ . وَهُوَ اشْهُرُ كِتَابِ الْغَزَّالِيِّ وَقَدْ شُرِحَ وَاحْتَصَرَ مِنْ قَبْلِ
كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمِنْ أَهْمَمِ الشَّرْوُحِ «ابحاث السادة المتقيين» لِلْمُرْتَضَى الزَّيْدِيِّ .

٢ - الْأَرْبَعَينُ فِي أَصْوَلِ الدِّينِ :

وَهُوَ قَسْمٌ مِنْ جَوَاهِرِ الْقُرْآنِ وَيُشَبِّهُ فِي بَحْثِهِ عِلُومَ الدِّينِ وَيَتَأَلِفُ مِنْ أَرْبَعَةِ
أَقْسَامٍ : الْأُولُّ فِي الْعِلُومِ وَأَصْوَلَهَا وَفِيهِ عَشْرَةُ فَصُولٍ . الْثَّانِي فِي الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ
وَهِيَ عَشْرَةُ أَصْوَلٍ . الْثَّالِثُ فِي تَزْكِيَّةِ الْقَلْبِ عَنِ الْإِحْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَفِيهِ عَشْرَةُ
أَصْوَلٍ . الرَّابِعُ فِي الْإِحْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَهِيَ عَشْرَةُ أَصْوَلٍ .

٣ - آدَابُ الصَّوْفِيَّةِ :

رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الْآدَابِ الصَّوْفِيَّةِ .

٤ - اسْعَادُ الْأُمَّةِ (مُخْتَصَرُ مَوْهَظَةِ الْمُتَقِينِ) :

مِنْ مَوَاضِيعِهِ فَضْيَلَةُ التَّعْلِمِ وَالْتَّعْلِيمِ ، وَالْكَسْبِ ، وَالْحُضُنِ عَلَيْهِ ، وَوُجُوبِ
الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الْخَ .

٥ - الْاِقْتَصَادُ فِي الاعْتِقادِ :

وَهُوَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَيَدِئُهُ مِبْرَرَاتُ الْخُوضِ فِي هَذَا الْعِلْمِ وَفِرْقَ الْحَائِضِينَ
فِيهِ ، وَكَيْفَ أَنِ الْبَحْثُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَتَطَلَّبُ الْحَدِيثَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ ، ثُمَّ

صفاته ، ثم أفعاله ، ثم عن إثبات نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام والتصديق بالعقل والسمع الخ ...

٦- الجام الـوـام عن دـلـمـ الـكـلام :

ويتألف من ثلاثة أبواب :

الأول : في حقيقة مذهب السلف بالنسبة لصفات الله وأفعاله وذاته .

الثاني : في البرهان على أن الحق فيه مذهب أهل السلف .

الثالث : في فضول متفرقة من نفس الفن .

٧ - الـأـمـلـاء عـلـى مشـكـلـات الـاحـيـاء (الأـجـوـبـة المسـكـتـة عـلـى الأـسـئـلـة المـبـهـة).

يرد فيه على بعض الاشكالات والانتقادات التي وجهت لكتاب الاحياء .

٨ - الأـدـبـ فـيـ الدـين :

مجموعـة من الأـدـابـ الـاسـلـامـية مثل آدـابـ المؤـمـنـ بين يـدـيـ اللهـ ، وـآدـابـ الـوـاعـظـ والـصـوـفـيـ والنـاسـكـ ، وـالـوـلـدـ معـ الـوـالـدـ ، وـالـرـعـيـةـ معـ الـسـلـطـانـ الخـ...

٩ - أـئـمـاـ الـوـلـدـ :

وـهـيـ رسـالـةـ صـغـيرـةـ وـلـكـنـهاـ منـ أـهـمـ تـأـلـيفـهـ وـسـبـبـ تـأـلـيفـهـ أـنـ وـاحـدـاـًـ منـ الطـلـبـةـ الـذـيـنـ لـازـمـواـ الـإـمـامـ أـرـادـ أـنـ يـعـلـمـ مـنـهـ أـيـ الـعـلـومـ أـفـضلـ لـهـ فـيـ عـاقـبـتـهـ ، وـقـدـ بـيـنـ لـهـ أـنـ بـعـضـ مـسـائـلـهـ لـاـيـحـابـ عـلـيـهـ بـالـكـتـابـ وـالـقـوـلـ لـأـنـهـ دـقـيقـةـ وـبـعـضـ يـسـتـقـيمـ لـهـ الـجـوابـ وـقـدـ ذـكـرـهـ فـيـ الـإـحـيـاءـ وـغـيـرـهـ مـنـ كـتـبـهـ ، وـثـمـ نـصـحـهـ بـهـانـيـةـ أـمـورـ يـأـخـذـ بـأـربعـ مـنـهـ وـيـدـعـ أـرـبـعاـ .

١٠ - أـمـرـارـ الـحـجـ :

رسـالـةـ فـيـ الـحـجـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ الشـافـعـيـ .

١١ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

مجموعة من الآداب الإسلامية والصوفية مثل آداب دخول المسجد والمعيشة
واعتبار الماضي الخ ..

١٢ - **البيهقي المسووك في نعيمة المؤذنة** (نعيمة في تقويم بيدل الريان)
يشكّل في نسبته إليه ، ويختبر في تقويمه ، وتصحّ في تقويمه ، وتحفه فيه
فيه عن الأعيان وأصوله وفروعه ، وأصل العذر (النعيمة) ، وذلك بمجموعه
من الكلمات والحكم المنشورة عن يده في غلوبي ومحكم ، ثم مقدمة ببيانه
الوزراة والوزراء والكتاب إلى ..

١٣ - الأوفق :

يودعه بعد البسمة «الإستفادة بالله فتقول «هذا برق انت الشفاعة الالهى»
ويذهب يقوله : بصيل الواهق لعله «لهن الكافية الصدقة» بعوده في هذا
الكتاب يفتت على الحيوانات صفات الله .. «هر يفتت» ، لأنها موقعة أسلمة لافتات الله
في قبور ، فالكتاب يتألف من ثلاث فوائد في الأوصاف

١٤ - **الكتاب في الملاحم** :

عن الشوكبي الذي كان مما يأمر الناس في التكثير الإسلامي ، يرمي فيه على بعض
الآراء الفلسفية ، ويختلف من عشرين سنة وزمان ، التي في وثائقه ،
يكفرهم في ثلاثة منها ويهدّعهم في الباقي

وقد شرح هذا الكتاب من قبله ، في «رسالة في علم الدين» عليه ابن روشد في كتابه
«تماًه المغافر» .

١٦ - جواهر القرآن :

يتكلم فيه عن القرآن وعلومه وأنواعها .

ويتألف من ١٩ فصلاً منها : أن القرآن هو البحر الخيط المنطوي على أصناف النفائس ، وحصر مقاصد الكتاب وشرحها ، وكيفية انشعاب العلوم الدينية وسائر العلوم ، والتنبيه على الرموز تحت الالقاب ، وأسرار الفاتحة وآية الكرسي والإخلاص وحال العارفين ..

١٧ - الحكمة في مخلوقات الله عز وجل :

وهو في حكمة خلق جميع المخلوقات ، ومن أبحاثه : التفكير في خلق السماء والعالم ، وفي حكمة خلق الشمس ، والقمر ، والكواكب ، والارض ، والماء ، والهواء ، والنار ، والإنسان ، والطير ، والبهائم ...

١٨ - خلاصة التصانيف :

ألفه بالفارسية وترجمه محمد أمين الكردي إلى العربية.

١٩ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة :

يتتحدث عمما يشعر به الإنسان حين الموت ، وما يصير اليه بعده ، وعن أحوال القبر والجنة والنار .. الخ ..

٢٠ - رسالة الطير :

رسالة رمزية يهدف منها إلى وجوب عدم الغرور ، والعودة إلى كنف الله .

٢١ - الرسالة القدسية بأداتها البرهانية :

أوردتها في كتاب الإحياء ، في قواعد العقائد.

٢٢ - رسالة في الوعظ والاعتقاد (الرسالة الوعظية)

رسالة صغيرة تقع في حوالي ١٠ صفحات

٢٣ - **الرسالة الالهية**

فيها شرح لمعنى النفس والروح والعلم الشرعي والعقلي وبيان طرق تحصيل العلم ومراتب النفوس في تحصيله .

٢٤ - **روضة الطالبين وعemma السالكين**

فيها بعض الآداب الإسلامية وتقرب أبحاثها من أبحاث الإحياء، ومن أبوابها : أركان الدين ، معنى الأدب والسلوك والوصول ، والنفس والروح والقلب والعقل ، الآفات وحيل الشيطان ، حسن الخلق ، الصبر ، والتوبة ..

٢٥ - **سر العالمين وكشف ما في الدارين**

في جهاد النفس والتدبر ، وفي الخضر والمنامات وحكايات الانبياء .

٢٦ - **عقيدة أهل السنة**

من قواعد العقائد في الإحياء .

٢٧ - **فاتحة العلوم**

في العلم وشرفه ، والتعلم والتعليم ، وشروط العلم والتعليم ..

٢٨ - **فضائح الباطنية (المستظہری)**

يرد فيه (بتكليف من الخليفة المستظہر) على ما أسماه «مجموعة حيل الباطنية» وهي تحدث عن معتقداتهم في النبوات ويرد على فكرة «الإمام المعصوم» ويفتني بـ **كفارهم** .

٢٩ - **في جواب مسائل سئل عنها**

نشرها Malter في فرانكفورت .

٣٠ - فیصل التفروقة بين الاسلام والزندقة

تظهر فيه حرية تفكير الغزالي وعدم استساغته التقليد المطلق ولذلك يبين أن خالفة الامام الاشعري ليست كفراً وكذلك من خالف غيره من المذاهب ، ثم يتحدث عن حد الكفر ويعرفه بأنه « تكذيب الرسول في شيء مما جاء به»، ويعرف الآيات بأنها « تصديقه في جميع ما جاء به »

٣١ - القسططاس المستقيم

السبب في تأليفه مناظرة جرت له مع أحد الباطنية ، تحدث فيه عن أنواع القياس والبراهين والموازن العقلية ويربط هذا كلها بآيات من القرآن الكريم ، كما يسرد فيه على فكرة الامام الموصوم .

٣٢ - قواعد الطريق العشرة

يرد فيه قواعد الطريق الصوفي العشرة في رأيه : النية ، العمل لله بلا شريك ، موافقة الحق ، الاتباع ، المهمة ، العجز والذلة ، الخوف والرجاء ، الورود ، المداومة على المراقبة ، علم يجب الاشتغال به ظاهرًا وباطنًا .

٣٣ - قواعد العقائد

هو نفس قواعد المقاديد في كتاب الاحياء

٣٤ - الكشف والتبيين في غرور الخلق اجمعين

من جملة أبحاثه : تقسيم الخلق الى حيوان وغير حيوان ، والحيوان الى مكلفين وغير مكلفين ، والمكلفين الى مؤمن وكافر ، والمؤمن الى طائع وعاص وكل من الطائع والعاصي عالم وجاهل والغورر فيهم جميعاً ويكشف عنه في الرسالة ، ويعقد فيها فصلاً خاصاً عن غرور العلماء والصوفية .

٣٥ - كيمياء السعادة

يتكلم فيه عن النفس والقلب واللذة والسعادة ، ويشبهه حديثه هنا حديثه في
الإحياء عن عجائب القلب .

٣٦ - محك النظر في المنطق

في القياس ، وأنواعه ، وشروطه ، واليقين ، والاعتقاد ، وأصنافها .. الخ ..

٣٧ - المستصفى في أصول الفقه

وهو من أشهر كتب أصول الفقه .

٣٨ - مشكلة الانوار ولطائف الاخبار

وهو رسالة صوفية يبدو فيها التأثير اليوناني .

٣٩ - المضنوون به على غير اهله

شك فيه ابن الصلاح وافقه على الشك فيه السبكي والزميدي وغيرهما وعارضه آخرون والكتاب الموجود بين أيدينا بهذا الاسم ليس فيه ما يدعوه إلى الشك فيه وهو يتتألف من أربعة أركان : الاول في معرفة الروبية . الثاني في معرفة الملائكة . الثالث في حقائق المعجزات . الرابع في معرفة ما بعد الموت .

٤٠ - المضنوون الصغير (الأجوبة الفرزالية في المسائل الأخرى)

من أبحاثه : معنى قوله تعالى « فإذا سويته وفتحت فيه من روحي » ، ومعنى قوله ﷺ « إن الله خلق آدم على صورته » وقوله « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، وهل الأرواح حادثة مع الأجساد ، وقوله ﷺ « خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام » ثم بيان اللوح والقلم .

٤١ - معواج السالكين

وفيه سبعة معراج : في النفس وإثباتها ، وحدود الجسم والإرادة ونور
السموات والأرض ومعنى النبوة والخير والموت .

٤٢ - منهاج المارفين

من أبوابه : البيان نحو المربيدين « الخوف والرجاء والخوب » .. وسر الأحكام « أنواع رفع وفتح وخفض ووقف فرفع القلب » ، وما يجب على المربي من اعات « النية ، الشكر .. الخ ... »

٤٣ - معيار العلم في المنطق

يتكلم فيه عن مدارك العلوم ، والقياس وأنواعه وكتاب أقسام الوجود ، وهو على الجملة أربع كتب : القياس وفيه كتابان ، الحدود ، وأقسام الوجود ..

٤٤ - مقاصد الفلسفه

كتبه ليكون مقدمة لكتابه « تهافت الفلسفه » وهو يعرض فيه لآراء الفلسفه عرضاً موضوعياً فيرى أن علومهم أربعة :

- أ - الرياضيات (لا تختلف العقل ولا تقابل بإنكار وتجدد)
- ب - الإلهيات (أكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق)
- ج - الطبيعيات (الحق فيها مشوب بالباطل)
- د - المنطقيات (أكثرها على منهج الصواب والخطأ منها نادر ومخالفتهم لأهل الحق بالأصطلاحات)

٤٥ - المقصد الأسمى في شرح اسماء الله الحسنى

والكتاب يتتألف من فترين : الفن الأول في السوابق ، والمقدمات في اسماء الله . والفن الثاني في المقاصد والغايات في شرف معاني اسماء الله ..

٤٦ - مكاشفة القلوب

ال الحديث فيه عن النفس بالمعنى الصوفي وغير ذلك من المواضيع وهو مختصر من مكاشفة القلوب الكبير

٤٧ - مكاشفة الالهوب الكبير

يشبه كتاب الاحياء

٤٨ - منهاج العابدين إلى الجنة

لشرح فيه المقربات في طريق الجنة : عقبة العلم ، والتوبة ، والشيطان ،
والعوارض ، والبواعث ، والقواعد ، والمجد ، والشكر .. الخ ..

٤٩ - المنقد من الضلال

من أوائل الكتب التي يتحدث فيها المؤلف عن حياة الفكرية وبسميه
الغريون «اعترافات الغزالي» ويتألف من مقدمة ثم الحديث عن أصناف الطالبين
«علماء الكلام ، الفلسفة ، الباطنية ، الصوفية». وأهم ما فيه الحديث عن فترة الشك
التي مر بها وكيف انتهى إلى الإيمان واليقين .

٥٠ - ميزان العمل

محضر في علم النفس ، وطلب السعادة التي لا تزال إلا بالعلم والعمل ، وبيان
شرف العقل والعلم والتعليم .

٥١ - معارج القدس في مدارج معونة النفس

وهو أكبر كتاب له في النفس إذ يتحدث عن تعريفها وما هيها وأنواعها
وفوائدها ... الخ ويقترب في آرائه من آراء ابن سينا والفلسفة اليونانية .
شك بعض الباحثين في نسبة هذا الكتاب للغزالي ، وقدلاحظ آسرين بالاسيوس أن
الغزالي لم يخل عليه في كتبه كاهي عادته ، واعتبر البعض أن هذه الملاحظة كافية لاشك
في الكتاب ولكن بوضوح يتردد في الشك فيه ، وأما سليمان ذنيا في كتابه الحقيقة
في نظر الغزالي فانه يفند آراء الذين يشكرون في نسبة هذا الكتاب للغزالي .

٥٢ - الوجيز في الفروع

أخذه من البسيط وال وسيط وها له . وقد شرح من قبل الكثيرين .

من آثاره المخطوطة

- ١ - البسيط في الفروع في مكتبة «الاسكوريال» ودار الكتب المصرية (فقه)
- ٢ - البدور في أخبار البعث والنشر في دار الكتب المصرية (تصوف)
- ٣ - التجريد في عالم التوحيد = = = = (عقائد)
- ٤ - جامع الحقائق بتجريد العلائق = مكتبة «الاسكوريال» (تصوف)
- ٥ - حقائق العلوم لأهل الفهوم = = «باريس» (فلسفة)
- ٦ - رسالة في المؤاخاة في الله = = المكتبة الأزهرية (أخلاق)
- ٧ - رسالة الموت = بلدية الاسكندرية (تصوف)
- ٨ - زهد الفاتح = المتحف البريطاني (=)
- ٩ - شرح الصلاة على النبي (الصلة للفزالي والشرح للشيخ احمد بن حاجي الفشنبي) في دار الكتب المصرية (تصوف)
- ١٠ - شرح الفزالي على حديث «لا إله إلا الله» في المكتبة الأزهرية (عقائد)
- ١١ - غابة الغور في مسائل الدور = المتحف البريطاني (فقه)
- ١٢ - فضائل القرآن = دار الكتب المصرية (عقائد)
- ١٣ - في أسرار الروبية = المكتبة الأزهرية (تصوف)
- ١٤ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك في مكتبة «الاسكوريال» (=)
- ١٥ - المعارف العقلية والحكمة الاليمية في مكتبتي «باريس» و«أوكسفورد» (عقائد)
- ١٦ - المنحول في الاصول في دار الكتب المصرية (أصول الفقه)
- ١٧ - نور الشمعة في بيان ظهر الجمعة = مكتبة «ليدن» (فقه)
- ١٨ - الوسيط المحيط بأقطار البسيط = مكتبتي «مونش» و«أوكسفورد» ودار الكتب المصرية (فقه)

أهم صادرات من مؤلفات الغزالي إلى اللغات الأوروبية

إلى اللاتينية :

- مقاصد الفلسفة : Gundisalvi Venetie سنة ١٥٠٦

إلى الإفرينية :

- الدرة الفاخرة : L. Gautier سنة ١٨٧٨

- المنقد من الضلال : ترجم عدة مرات منها ترجمة Schmolders سنة ١٨٤٢ .

وترجمة B. de Meynard . وترجمة اليونسكو

إلى الانكليزية :

- كيمياء السعادة : ترجمة H. A. Homes سنة ١٨٧٢ . وترجمة

C. Field سنة ١٩٠٨ .

- اعترافات الغزالي « المنقد من الضلال » : ترجمة C. Field

إلى العبرية :

- مقاصد الفلسفة ترجمة اسحق البلخ . القرن الثالث عشر الميلادي

وترجمة يهودا ناثان . القرن الرابع عشر الميلادي

- تهافت الفلسفة : Jerahiaik. ha Levy : القرن الخامس عشر

- في جواب مسائل سئل عنها : Malter . H. سنة ١٨٩٣ .

- مشكاة الأنوار : اسحق بن يوسف الفاسي .

كتاباً ترجم إلى التركية :

١ - نصائح الملوك ((التبير المسبوك))

٢ - كيمياء السعادة ..

فهرس

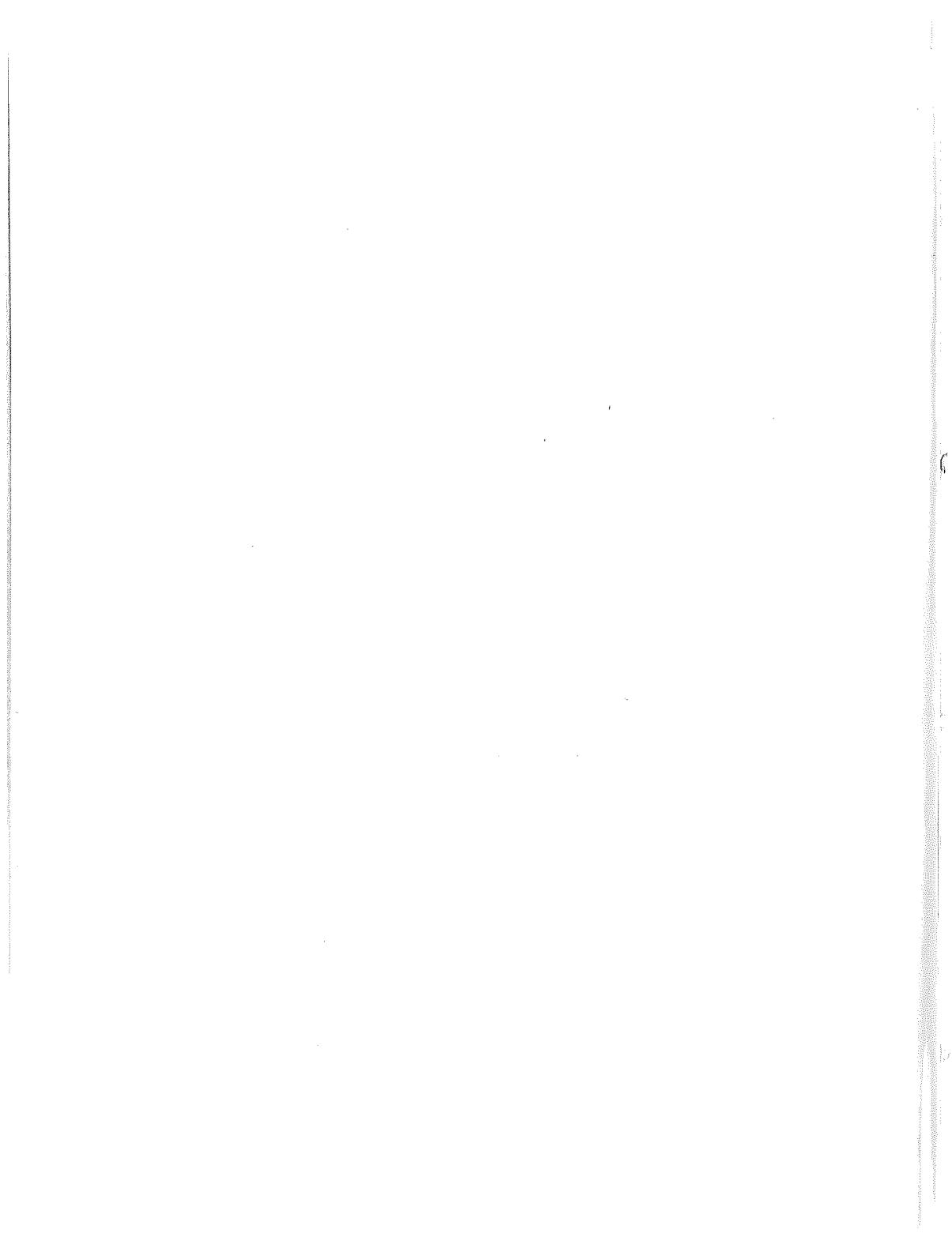
الموضوع	صفحة
تقديم. للدكتور أحمد فؤاد الأهوازي	٥
المقدمة	١١
ـ ذكر كلام عبد الغافر الفارسي	٤١
ـ = ابن عساكر الدمشقي	٤٩
ـ = أبي الفرج بن الجوزي	٥٩
ـ = ياقوت الحموي	٦٣
ـ = ابن خكان	٦٥
ـ = الذهي - مخطوط بدار الكتب المصرية	٦٧
ـ = اليافي الياني	٨٤
ـ = السبكي	٩٣
مبدأ طلب حجۃ الاسلام للعلم	٩٥
ذكر بقايا من ترجمته	١٠٣
من الروایة عن حجۃ الاسلام	١٠٦
ذكر عدد مصنفاته	١٠٨
ـ = كلام الطاعنين عليه ورد	١٠٩
ـ = منام أبي الحسن	١٢٣

- ١٢٤ رسالة الامام إلى بعض أهل عصره
 ١٢٥ من الفتوى عنه
 ١٢٥ جوابه على من يقول بسقوط التكاليف
 ١٣٦ معنى ارتفاع التكاليف عن الولي
 ١٣٧ هل يسقط وقع العبادة من القلب بتتكلف المواظبة عليها
 ١٣٨ هل يستغنى المرء عن وسيلة الوصول
 ١٣٩ من غرائب المسائل عنه
 ١٤٠ صلاة في جماعة بلا خشوع وفي انفراد بخشوع
 ١٤٣ ذكر كلام ابن المقн - من مخطوط - بدار الكتب المصرية
 ١٤٥ ذكر كلام العيني - من مخطوط - بدار الكتب المصرية
 ١٤٩ = = الزبيدي
 ١٤٩ الكتب التي أخذ عنها
 ١٥٠ ترجمة الغزالى
 ١٥٤ في بيان ما آتى إليه أمره
 ١٥٥ في ثناء الأكابر عليه
 ١٥٨ في انتقاله من دار الدنيا إلى الآخرة
 ١٦٠ في ذكر شيء من رسائله ومكتاباته إلى أصحابه
 ١٦١ في ذكر شيء من فتاويه
 ١٦١ - غيبة الكافر
 ١٦٢ الغرس في المسجد
 ١٦٤ حكم مصلى العيد
 ١٦٤ اقطاع الرسول ﷺ للدارمي
 ١٦٦ شهادة المتصل بالسلطان

-
- | | |
|-----|---|
| ١٦٧ | في المنتسبين على أبواب السلاطين |
| ١٦٩ | في بيان حال المنتسب اليه |
| ١٧٠ | في شيوخه في الفقه والتصوف الحديث |
| ١٧١ | في تفصيل ماسع من هؤلاء ورواه عنهم |
| ١٧٢ | في ذكر شيء من كلاماته المشورة البدعة |
| ١٨٠ | في بيان شيء من الشعر المنسوب له وما أنسده لنفسه |
| ١٨٣ | في بيان بعض ما اعتبره عليه والجواب عنه |
| ١٨٥ | في بيان كونه مجدداً للقرن الخامس |
| ١٨٧ | في ذكر مصنفاته |
| ١٩٦ | كتب نسبت الغزالى |
| ١٩٧ | في بيان من تلمذ عليه وتفقه به وروى عنه |
| ٢٠٢ | الترتيب الزمني لمؤلفات الغزالى |
| ٢٠٦ | أهم مطبع من مؤلفاته |
| ٢١٥ | من آثاره المخطوطة |
| ٢١٦ | أهم مترجم من مؤلفاته إلى اللغات الأخرى |

ملاحظة : ورد سهواً في رأس الصفحة (٤٩) الرقم ٩٤٩ فالرجاء حذفه
كما أن هناك بعض المفوات التي وردت سهواً ولا تخفي على القارئ .

﴿ اذْهَى بِعُونَهُ تَعَالَى ﴾



دار الفکر للطباعة والتوزيع والنشر

دمشق : هاتف ١١٠٤١ - ص.ب. ٩٦٢

وكيل التوزيع في بغداد

مكتبة المشي

1006

مطابع دار الفکر للطباعة والتوزيع والنشر
١١٠٤١ ص.ب.

٢٥٠ ق.س